الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأعياد المجيدة

في ظل المسيرة الجديدة

من خلال الجهاد الشاق الطويل الذى خاضه العرش والشعب طيلة عهد الحماية البغيض تبلور المفهوم الموضوعى للاستقلال ، وتحددت ابعاده ، وارتسمت فى الاذهان صورته المشرقة ، واتضح الاطار الوطنى والسياسى والفكرى والحضارى لمستقبل البلاد .

كان الجهاد الاسلامى الوطنى الذى حمل لواءه العرش العلوى وتحمل أعباءه أبناء الشعب جميعا تجربة سياسية رائدة ، ومدرسة وطنية تخرجت منها افواج المناضلين الذين واصلوا الكفاح فى صبر وصمود ، وثبات وثقة ، وجسدوا ارادة الامة فى معارك ومواقف وملاحم أرغمت الاستعمار على استنفار كل قواته ، وتغيير استراتيجيته العدوانية مرارا فى ظرف سنوات قليلة .

ولقد انطلقت الوطنية المغربية من القصر ، وانبثقت من عقيدة الاسلام ، وكانت ضمير الامة ، وصوتها المعبر فى شجاعة وقوة عن تطلعاتها المشروعة نحو الحرية والاستقلال ، وكان أشد ما يغيظ دهاقنة الاستعمار ويقض مضاجعهم هذا التلاحم القوى المتين بين جلالة المغفور له محمد الخامس – رحمه الله – وبين جماهير شعبه المتوثب المتحفز المستعد للتضحية فى كل وقت وحين . فلم يكن كفاح الشعب بمناى عن توجيه وتدبير وارشاد وتخطيط العرش ، ولم تكن معارك الشوارع والجبال والسهول والصحراء تدور فى حلقة مفرغة ، او تنشد أهدافا مجردة غير واضحة المعالم ، بل كانت معارك منضبطة ، موجهة ، واهدافا مرسومة ، محددة ، وغايات واضحة معلومة . ولم يكن العرش منعزلا متقوقعا كما خطط له الاستعمار واراد ، ولكنه كان فى قلب المعركة ، يوجه الاحداث ، ويقود الركب ، ويلهم الاحساس ، ويثرى الوجدان ، ويشحن النفس بالامل والاصرار وروح التحدى ، ولم يفتر قط الحماس الملتهب ، ولم تخمد جذوة الشجاعة والاقدام والتضحية ، ولم يفت فى عضد الملك والشعب

تآمر الاستعمار وارهابه وجبروته وطغيانه ، ولم يتزعزع اليقين فى الله قيد انملة ، بل على العكس من ذلك تماما ، فقد زادت التحديات الشرسة والمعارك العنيفة من ايمان الشعب بحتمية الاستقلال وقوت فى أعماقه الرغبة فى الحرية وشحذت عزيمته ، وأكسبته قدرة على المواجهة وفجرت فى نفسه طاقة نضالية هائلة جعلته يواجه مصيره بقلب ثابت ونفس مطمئنة وتصميم أكيد على تحرير الوطن من رجس الصليبية الجديدة .

كان الاستقلال فى المفهوم الشعبى يتجسم فى عودة جلالة المغفور له محمد الخامس الى عرشه باعتباره رمز المشروعية وعنوان السيادة وضامن الوحدة الوطنية ، وقد اعطى هذا التلازم بين الاستقلال وعودة الملك الشرعى للبلاد نفسا قويا للمعركة وأضفى عليها طابعا حضاريا أصيلا ، ذلك ان خروج الاجنبى ، وجلاء جيوشه لا يعنيان شيئا فى نظر الشعب اذا لم يعد صاحب العرش الى وطنه وتستأنف الحضارة المغربية دورتها الجديدة . ولذلك فحينما نصب الاستعمار بيدقا من بيادقه العفنة على سدة الحكم اضطربت البلاد من اقصاها الى اقصاها وتضاعفت المقاومة واتسع نطاقها واشتد أوار حرب التحرير الشعبية فى احياء المدن واعالى الجبال وشعاب الصحراء ، تعبيرا عن رفض الشعب اغتصاب المشروعية واعتساف السلطة وابتزاز الحكم من أصحابه الشرعيين الذين تربطهم به أواصر البيعة الشرعية الخالدة ، ووشائج الولاء الصادق الواعى ، وروابط الاعتراف بالجميل والفضل للاسرة الحاكمة الشريفة . وكان الشعب بجمع فئاته يرى فى هذه العودة المرتقبة الشرط الاساسى الوحيد الذى بدونه لا يتم استقلال ، ولا تكمل حرية ، ولا يستقر حال .

وتداخلت عوامل سياسية متعددة ، وأسباب استراتيجية كثيرة وظروف الكفاح المتواصل الذى لم يكن أحد يعلم له نهاية قريبة ، فى التمهيد لانهاء الوجود الاستعمارى فى الجزء الاكبر من ترابنا الوطنى .

وحل يوم 16 نوفمبر 1955 . .

وعاد محمد الخامس والى يمينه الامير مولاى الحسن الذى شاءت له ارادة ربه أن يقضى فترة تدريب معنوى واستعداد روحى الى جوار المعلم الاول والده فى دار الغربة والنفى تلقى خلالها دروسا فى الصبر الجميل والتفكير الرصين والتدبير الهادىء كأن الله سبحانه وتعالى كان يهيء الامير الشاب الشجاع للمهام الجسام والمسؤوليات الضخمة والاعباء الثقيلة بعد الاستقلال . وبذلك صح القول بأن النفى كان مدرسة جديدة للوطنية والاعداد السياسى المتين بقدر ما كانت سنوات الكفاح الطويلة فى عهد الحماية مدرسة للوعى الوطنى والشعور الحاد بخطورة الوضع فى ظل الاحتلال والحجر والعبودية . ويتم ذلك كله فى الوقت الذى كان يستعد الامير مولاى الحسن لتحضير أطروحة الدكتوراة فى القانون ، فكان التخصص العالى فى الكفاح والوطنية الحقة أسمى درجة علمية ينالها راضيا مطمئنا مرتاحا .

وحل يوم 18 نوفمبر 1955 . .

وحلت معه مسؤوليات جسيمة ، واستبدل المغرب سلاح الحديد

والنار بسلاح الفكر والعمل والانتاج ، وانبسطت امامنا آفاق رحبة ، وانفتحت ميادين واسعة متعددة ، وبدات المعركة الجديدة ، قادنا فيها محمد الخامس خمس سنوات ، ثم لقى ربه فرحا مغتبطا مطمئنا مرتاح الضمير قرير العين ، بعد ان سلم الامانة الى وارث سره وخليفته من بعده جلالة الملك الحسن الثانى ، وبدأت العبقرية تتفتق ، وسنوات الاعداد الوطنى فى المنفى تؤتى أكلها ، وتربية معلم الوطنية وملهم الكفاح تثمر أشهى الثمار .

وتوالت الملحمات وتتابعت المواقف الخالدة ، فمن نصر الى نصر ، ومن غزو للتخلف بسلاح العصر ، الى مواجهة حاسمة لرواسب عهود الاستعمار ، الى بعث اسلامى ، الى انطلاقة اقتصادية ، الى تعبئة عامة لاسترجاع المناطق المغتصبة ، الى المسيرة الخضراء ، الى دخول الصحراء ، الى تجربة الشورى الاسلامية الفريدة التى نعيش اليوم فى أجوائها الصحية المنعشة .

كفاح طويل شاق ، وجهد جبار مرهق ، وسعى متواصل دؤوب ، من أجل الخير والحرية والسلام .

وكأن محمدا الخامس لم يلق ربه ، وكأن احدى وعشرين سنة لم تمض من عمر الزمن ، وكأن الماضى المشرق التليد يتجسم أمامنا اليوم بجلاله وجماله ، ينعش نفوسنا ، ويرهف احساسنا ، وينفخ فينا روح المثابرة والمواظبة والاستمرار والتواصل ، ويلهمنا سواء السبيل ، ويثلج صدورنا ببرد اليقين ، ويشحذ ارادتنا بنور الايمان .

ان استحضارنا لهذه الصور الجميلة من الكفاح الوطنى بقيادة العرش العلوى المجيد ، ليس من قبيل التباهى والتفاخر ، او ضربا من ضروب التعلق اللاواعى بالماضى واجترار ذكريات الامس ، ولكنه نوع من الاستمداد والاقتباس والتلقى يزيد من تعلقنا بالعرش المجاهد ، ويمنحنا الثقة فى ابن محمد الخامس ، وحفيد الملوك الاشراف ، وسليل الدوحة النبوية .

واذا كان محمد الخامس — قدس الله روحه — أدى الامانة كأشرف ما يكون الاداء ، وحرر البلاد بجهاده وتحديه وصموده ورفضه الانصياع لاوامر المستعمر الغاصب ، فان جلالة الحسن الثانى يواصل اليوم نفس الدور التاريخى العظيم ، ويمضى على الطريق الذى اختطه والده ومهده بالعرق والالم والتضحيات ، ثابت الجنان ، رابط الجأش ، قوى الثقة بنفسه ، صادق الاخلاص لشعبه ، يقطع أشواط النمو حثيثا ، ويحرز على الانتصارات دأبا ، لا يرهبه تآمر المتآمرين ، ولا يثنيه عن عزمه مكر الماكرين ، ولا يفت فى عضده تقلب المتقلبين ، رسالته البناء ، وغايته الرقى بالبلاد ، وهدفه استكمال التحرير ، وضالته بناء المغرب الجديد ، على قاعدة الشورى وأساس العدل .

وليس هناك أدل على نبل المقصد ، وحسن الطوية ، واستقامة ميزان النظر والحكم من الدخول فى تجربة الانتخابات فى جو من الصفاء

والوحدة والتراضي بين جميع الفئات السياسية والاستعداد للمشاركة فى اعباء المسؤولية الوطنية بروح الزمالة والمواطنة الحقة والتعاون المخلص لما فيه الصالح العام · وذلك بعد ان اجتمعت كلمة الامة فى معركة الصحراء، وتحمل كل فرد وهيئة قسطه من النضـــال ، وسار الجميـــع فى المسيرة الخضراء ، جنبا الى جنب ، ويدا فى يد ، وقلبا على قلب ، فعبر الشعب بملحمته تلك ، عن نضجه ، ووعيه ، وحصافته ، وقدرته على الاختيار ، وأهليته لتسيير شؤون البلاد . فلم تكد تكتمل سنة على ذلك الحدث العظيم حتى أجريت الانتخابات الجماعية فى جو من السلم الاجتماعى الذى أوصى به جلالة العاهل شعبه ، وفى اطار من الانضباط العاقل المتبصر ، والنظام الواعى المسؤول . فدخلنا بذلك المعركة الحضاريـــة ، وبدأنـــا المسيرة الجديدة ، على هدى من الله ورضوان ·

وما كان المغرب الذى صمد فى وجه تيارات الهدم والتخريب قرونا ذوات العدد ، ليقف اليوم عاجزا متخاذلا أمام الغارة التترية الحديثة الوافدة من شرق ومن غرب على سواء ، والهادفة الى اقتلاع جذور الايمان من قلوب المسلمين فى مشرق العالم الاسلامى ومغربه ، وزرع بذور الشك فى نفوس الاجيال الصاعدة لتذهل عن دينها ومنبع قوتها ، وتفرط فى عزتها النفسية وكرامتها الفكرية . فان من رسالة العرش المغربى حماية الاسلام واعلاء كلمته ، ولم يكن لهذه « الحماية » من معنى عبر تاريخنا كله الا التصـــدى لاعـــداء الحـــق ، وردع خصـــوم الحقيقـــة ، وحـــراســـة عقيدة الامة وفكرها ولغتها وتراثها . ولم يكن لـــ « اعلاء كلمة الاسلام » من مفهوم الا نشر الفكر الاسلامى ، واشاعة الوعى الدينـــى اليقـــظ ، وتعميق المفاهيم الصحيحة المؤمنة ، والتمكين للعدل والعدالة الاجتماعية والشورى واقامة المجتمع الاسلامى السوى الذى يعيش فى كنفه الناس جميعا مطمئنين على أرزاقهم وعقائدهم ، متحابين ، متكافلين ، متضامنين يشد بعضهم بعضا كأنهم البنيان المرصوص ·

ومن نافلة القول ان محور فكر جلالة الملك الحسن الثانى هو اقامة البنيان المرصوص فى مغرب التحرير والحرية والوحدة .

وليس من شك أن هذا هو المحتوى الفكرى للتجربة المغربية الراهنة ، وهو أيضا البعد الحضارى للمسيرة الجديدة نحو الرخاء والخير .

وانطلاقا من هذا الفهم الواضح لحقائق الاشياء ، والادراك السليم لطبيعة الاحداث والانتصارات المتتالية التى يعيشها المغرب اليوم ، فان السياسة الرشيدة لجلالة الملك القائد تقتبس من الفكر الاسلامى ، وتستمد من الاصالة المغربية . وفى ذلك ضمانة مؤكدة للانتصار ، واستثمار للمستقبل وكسب للرهان ، وفوز فى معارك الحاضر والمستقبل ان شاء الله .

ومن أجل هذا كافح محمد الخامس — رحمه الله — وخاض معركة الاستقـــلال .

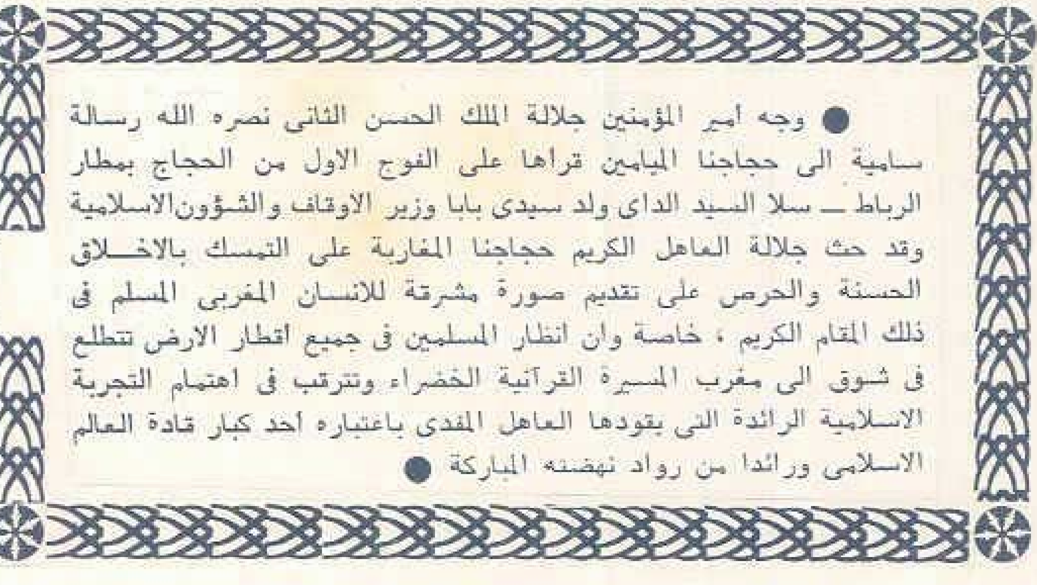
ومن أجل هذا يكافح الحسن الثانى نصره الله وايده وسدد خطاه وألهمـــه التوفيـــق والرشاد .

وحول هذه المحاور جميعا تدور مسؤولية قادة الفكـــر ، ورجـــال الثقافة ، وحملة الاقلام . فان الجهاد الفكرى باق بقاء الحياة . وسلاح هذه الجمهرة المؤمنة ، والصفوة المختارة من الامة ، التى حباها الله تعالى بالعلم والفهم والقدرة على التبليغ ، هو الكلمة المؤمنة ، الملتزمة بالحق والامانة ، الصادقة الولاء لله ورسوله وأمير المؤمنين .

« دعوة الحق »



الرسالة الملكية السامية إلى حجاجنا الميامين



● وجه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثانى نصره الله رسالة سامية الى حجاجنا الميامين قراها على الفوج الاول من الحجاج بمطار الرباط ـ سلا السيد الداى ولد سيدى بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية وقد حث جلالة العاهل الكريم حجاجنا المغاربة على التمسك بالاخلاق الحسنة والحرص على تقديم صورة مشرقة للانسان المغربى المسلم فى ذلك المقام الكريم ، خاصة وان انظار المسلمين فى جميع اقطار الارض تتطلع فى شوق الى مغرب المسيرة القرآنية الخضراء وتترقب فى اهتمام التجربة الاسلامية الرائدة التى يقودها العاهل المفدى باعتباره أحد كبار قادة العالم الاسلامى ورائدا من رواد نهضته المباركة ●

الحمد لله   والصّلاة والسلام على رسول الله



معشر الحجاج الميامين

قال الله تعالى في كتابه العزيز: " وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت ألاّ تشرك بي شيئاً، وطهّر بيتيَ للطائفين والقائمين والركّع السجود "

إنّ من أغلى الأماني التي تجيش بها نفس المومن ويهفو إليها قلبه، أن يُهيّئ الله له الفوز بزيارة بيته الكريم، والتملّي بإشراقات الخير وتجليات الفضل في المقامات الشريفة التي أشعّ منها نور النبيّ الأمين، ويَسّر له بأداء هذه الفريضة الجليلة، فريضة الحج، السبيلَ لاستكمال أركان الدين، وتمام الإيمان واليقين، وتحصيل خير الدّارين، الدّنيا والآخرة.

وقد أتم الله عليكم -حجاجنا الأبرار- نعمته، وأولاكم صنيعه ومنّته فَسَلَكَكم في جملة مَن تطهّر لهم البيت ليطوفوا في كريم رحابه ويقوموا، ويركعوا على صعيده الطيّب ويسجدوا، وهيّأ لكم من الأسباب والوسائل، وأزاح من المصاعِب والحوائل، ما هو حريّ بأن يتحقق لكم به الرجاء الكريم مَناله، ويتسوّغ مُرادُكم تتعلق به أماني المومن وآماله.

فطوبى لكم -حجاج بيت الله- وقد تفتحت أمامكم الآفاق النيّرة والمجالات الخيّرة، لتُشبعوا شوقاً طالما راودكم داعيه، وتُرضوا حنيناً شدّ ما ألحّ عليكم حافزه، وترِدوا منهلاً غاصّاً بالخيرات، زاخراً بالبركات، عامراً بجليل المعاني وعظيم الدلالات، حافلاً بكل ما ينشده المومن -في توجّهه إلى ربه

من إشراق نفس وشفوف وجدان، وطمانينة قلب، وتفتح بصيرة، وما يلتمسه من حسن حال في حياته ومعاده.

إن متوجهكم لبلد باركه الله تعالى وطهره واختاره لأن يكون مبعث خير رسله، ومهبط الوحي المنزل بكلماته، ومشرق النور الهادي لخلقه إلى يوم الدين.

بلد هو قبلة المسلمين أنى كانوا في صلواتهم ودعواتهم، ومهوى أفئدتهم حيثما وجدوا في غدوهم ورواحهم، وينبوع هويتهم، ومتميز شخصيتهم في ماضيهم وحاضرهم، وصدر الأسس التي نهضت عليها قيمهم الحضارية في مشرق الأرض ومغربها.

أيها الحجاج الأبرار

إن مما يقتضيه حمد الباري عز وجل، على ما من به عليكم من حسن الاستطاعة، ووهبكم من موفور القدرة على القيام بهذه الفريضة الجليلة أن تحرصوا كامل الحرص على أدائها بأكمل وجه وأتمه، جاعلين وكدكم العمل على استيفاء الأغراض الروحية العظيمة التي شرعت لها، واستكمال المنافع المشهودة فيها، وتحدوكم في كل ذلك حوافز الإنابة إلى الله، والتطارح على بابه، واستحضار عميق شعور الضراعة والخضوع في مناجاته، وإصفاء النية وإخلاص الباطن في دعائه، والتبتل إليه سبحانه وتعالى والقنوت له في السر والعلن، وشكره عز وجل على ما أجزله من كريم العطاء وجليل المنن.

وإنكم معشر الحجاج، رسل بلدكم إلى ذلك الجمع الإسلامي الأكبر، والحشد الأوفر، الذي هو صورة مصغرة عن العالم الإسلامي ونموذج معبر عن متانة وحدته، وترابط أواصره، والتحام وشائجه، والتقاء كل شعوبه على البر والتقوى، والمحبة والإخاء.

فليهدف كل منكم إلى أن يكون خير رسول لبلاده على صعيد ذلك اللقاء، وأكرمَ ممثل فيه لخصال أمته الأخلاقية، وخصائصها الحضارية، وما هي متشبعة به من جميل السجايا ونبيل الشيَم، ملتزماً - ممّا يستلهمه من أخلاقياته هذه - بحسن التعامل مع إخوانه المسلمين، متحلياً بصفات السماحة والمروءة، وسمات الشهامة والأريحية في اتصالاته بهم، وتصرّفه إزاءهم، متشبثاً بالحسنى والسلوك الأسنى، فيما يأتيه أو يذره، صادراً عن طيب سريرة وحسن دخيلة، وصفاء طوية، فيما يقوله أو يفعله.

ولْتعملوا - ما وسعكم ذلك - على الإفادة - فكرياً - من لقاءاتكم مع إخوانكم الحجاج، فتتبادلوا معهم من المعلومات والأفكار، ما ينتفع كافتكم بعرفانه، وتتعاطوا وإياهم من الدلالات والمفاهيم، ما تستنير أذهانكم جميعاً بدرايته والإلمام به.

ولتكن لكم عناية بتعريف مَن تلتقون بهم بأحوال وطنكم الغالي وما يقطعه من شاسع الخطوات على درب التطوير والإعمار، والإنماء والاستثمار، وما يخوضه من ظافر المعارك، ويحققه من مبين الانتصارات في ميادين البناء الحضاري، والتحرّر من بقايا الاستعمار.

ونوّروا أذهان مَن تتعرفون إليهم، وتنعقد لكم أسباب بهم، بملحمة النصر، ومأثرة العصر، ملحمة المسيرة الخضراء، ومأثرة الفوز الذي حققناه باسترجاع الصحراء.

إن وطنكم ليحتفل هذه الأيام بالذكرى الأولى لهذا الإنجاز التاريخي الذي توطدت به شروط وحدته، واكتملت منه دعائم حريته وركائز سيادته، فاستحضروا وأنتم في أجلّ المواقف وأكرمها، وأعظمها شأناً في حياتكم وأشرفها - قيمة هذه المكرُمة التي منّ الله بها على بلادكم، وتوّج بها

بهاد ملكم وأمتكم، شاكرين المولى تعالى على ماهدى إليه وأرشد، ووفق وسدّد، حتى تم لهذا الوطن العزيز، اجتماع شمله بأبنائه، والتحام جنوبه بشماله، وتسنى له بفضل ما أوتي من ذلك، استكمال حريته وسيادته، وصيانة عزته وكرامته، وتعزيز فاعلية عمله في سبيل الحق والخير والسلام.

وستلمسون خلال رحلتكم للربوع المقدّسة، مدى الجهود التي يبذلها الأشقاء السّعوديون لتأمين الترتيبات الكفيلة بحسن استقبال الحجيج وإيوائهم، وتوفير الأسباب الميسّرة لهم استيفاء شعائر حجّهم ومناسك سعيهم.

فلتقدُروا - حق التقدير - هذه العناية النبيلة التي توليها السلطات السعودية الشقيقة لكم، ولكافة الوافدين لأداء الفريضة من إخوانكم، حريصين على الإسهام بما تتسمون به من رصانة طبع، ورحابة صدر، وانضباط سلوك، وروح تفهم في تسهيل مأمورية تلك السلطات، متعاونين معها فيما تبذله لفائدتكم من حميد المجهودات.

ولتتوجهوا إلى ذي العزة والجلال، بأكف الضراعة والابتهال، سائلينه تعالى أن يمدّ عاهلكم بموصول عنايته، ويبارك جهوده في خدمة بلاده وشعبه، ويجعل التوفيق مقرونا بخطواته، متوجا لأعماله ومبادراته، وأن يكلأ وليّ عهد المملكة بمتين حفظه، ويحفه بحياطته وحرزه، ويشمل برعايته كافة أفراد الأسرة الملكية الشريفة، ليتولى عرش بلادكم بتأييده وتأزيره، وتسنيده وتعضيده.

ولا تنوا عن الضراعة إلى العلي القدير أن يهب النصر للأمة الإسلامية في الجهاد الذي تخوضه من أجل تحرير الأرض، واستخلاص الحق، ويعجل بتحرير أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ويرفع عن المسلمين فيه ما حل بهم من عدوان المعتدين، وطغيان الطاغين.

أيها الحجاج الأبرار

هنيئاً لكم بما دعيتم إليه، ووفقتم له، ولتصاحبكم السلامة بحول الله في وجهتكم وأوبتكم، وأنى حللتم وارتحلتم، مثابين من الله عز وجل، وناعمين بكريم مغفرته وشامل رضوانه.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

حرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الجمعة 12 ذي القعدة عام 1396 هـ الموافق 5 نونبر سنة 1976 م.

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يقارن بين حركة المطالبة بالاستقلال وبين المسيرة الخضراء :

• المغرب لم يفقد استقلاله

كان احتفال المغرب بالذكرى الاولى للمسيرة الخضراء المباركة مظهرا من مظاهر الاعتزاز بالاصالة المغربية التى تجلت كاروع ما يكون التجلى فى الاستجابة الحماسية لنداء قائد الامة جلالة الحسن الثانى .

ولقد تميز يوم سادس نوفمبر هذه السنة بالاستعراض الذى نظمه ممثلو افواج المسيرة فى رحاب مسجد حسان امام جلالة الملك المعظم الذى القى حفظه الله الخطاب التالى :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبى العزيز :

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الحكيم بعد بسم الله الرحمن الرحيم « **من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** » صدق الله العظيم .

شعبى العزيز :

كانت هذه الآية فى قلبى وعلى شفتى صباح اليوم عند ما كنت ارتب واستودع رايات المسيرة واعلامها ، استودعها روح والدى ووالدنا جميعا ، واستاذى واستاذنا فى الوطنية وفى الغيرة على البلاد .

واننى شعبى العزيز سوف ابقى مدينا لك طول العمر على أن سهلت على المامورية ، وجعلتنى ابر بقسمى ؛ ذلك القسم الذى قدمته بين يدى جلالة والدى محمد الخامس طيب الله ثراه ، حينما عقد لى بيعة ولاية العهد وحينما اقسمت بين يديه وامامك على اننى ساكون دائما مدافعا عن حوزة البلاد وعن كرامة ترابها .

وهكذا شعبى العزيز ، ها هو طرف مما تعاقدنا عليه ، قد اديته وصرت بذلك برا بقسمى ، ولهذا اقول لك شعبى العزيز اننى سأبقى مدينا لك طول العمر ،

فى السنة الماضية ، شعبى العزيز ، فى مثل هذا اليوم ، اعطينا امرنا بانطلاق المسيرة ، عالمين موقنين بأن النصر لا محالة ، سيحالفنا ويواكبنا ، ولكن شعبى العزيز لم تكن انت ولم اكن انا على علم اليقين من المدة التى سيستغرقها نضالنا حتى أن نرجع الى ديارنا ظافرين منتصرين ، وان الاحداث وسيرها ، بل يمكن لى ان اقول وعدوها كذبت جميع التخمينات والتخطيطات التى كانت تجرى فى الاذهان بالذات ، ذلك ان الله سبحانه وتعالى بنصر وتأييد من عنده جعلنا جميعا بحكمة ورصانة وثبات ، نمارس فى آن واحد مسيرتنا الخضراء ودبلوماسيتنا واتصالاتنا الرسمية ، فكانت

تلك الخطتان المتوازيتان ، كانتا بمثابة حرب بالكلام وبالحجج وبالقانون وحرب بالواقع على الارض ، حرب سلمية ولكن بسيكولوجية ، وما اعظم واثقل ثقل الحرب البسيكولوجية اذا كانت مبنية على الايمان والحق. وبعد ذلك ، وبعد ايام قصيرة توج الله المساعى بالنجاح ورجعنا ، **رجعنا جميعا تحفنا عناية الله مهللين بالتوفيق مهللين بنوع من الروحانية لاننا خضنا تلك المعركة : الايمان فى قلبنا كتاب الله فى يدنا ، تسبيحه والصلاة على نبيه فى فمنا** ، فما اعجب تلك الفترة شعبى العزيز فيما بين اقل من شهر قلنا لك تطوع فتطوعت ، ثم قلنا لك سر فسرت ثم قلنا لك اجتز الحدود فاجتزت الحدود ، ثم قلنا لك تف فوقفت ، ثم قلنا ارجع فرجعت كلمات خفيفة على اللسان ، ثقيلة فى الميزان ، ناصعة فى كتاب التاريخ وسجل المؤرخين . .

انني اعتبر شعبى العزيز هذه المسيرة وهذه سنة وانا افكر فى معانيها وما تنطوى عليه من حكم ودروس **اعتقد شعبى العزيز ان هذه المسيرة سوف تطبع مغربنا لمدة ثلاثة اجيال او جيلين على الاقل ،** لماذا ؟ لان حركة المطالبة بالاستقلال كانت طويلة ، وممتدة على عشرات السنين ، بل كانت فكرية اكثر مما كانت شيئا آخر ، وحتى اذا خرجت من الفكر الى الشارع ، كان الخروج الى الشارع غير منتظم لا يشمل جميع مدن المغرب ، ومتقطعا فيما يخص المدة الزمنية بين المعارك ، اما هذه المعركة ودرس المسيرة فلم يستغرق الا شهرا واحدا ، ولكن ذلك الشهر بالوسائل المرئية والمسموعة جعل ان 16 مليون من السكان الشيوخ الكهول الشبان النساء جعل كل هذا الشعب فى مدة شهر واحد كانه اعطى حقنة مليئة دفعة واحدة من الوطنية من الوعى من المسؤولية ، وحتى الذين لم يشاركوا فى المسيرة كانوا سائرين مع السائرين اكثر من السائرين ربما ، فحتى الاطفال حتى الفتيان حتى الذين كانوا لا يعرفون اين تقع لا مدينة العيون ولا الساقية الحمراء صاروا يرددونها فى الصباح فى المساء بل حتى فى منامهم ، وهكذا كما قلت لك كانت حقنة مليئة ودفعة واحدة لقنت هذا الشعب لما فيه من الاجيال الحالية والمقبلة ، وحينما اقول المقبلة اعنى بهذا المقبلة على المسؤولية ، لقنت هذا الشعب درسا فى الوطنية ودرسا فى الوعى ودرسا فى المسؤولية .

وهكذا شعبى العزيز يتضح للجميع ، يتضح الجميع ان الشعوب والجماهير خلافا لما يظن يمكن بل يجب فى حقها ان يعتقد انها تعرف كيف تفرق بين الهدف وكيف تفرق بين الوسيلة وكيف تحسب الحسابات وكيف تعرف الصبر عند الصبر والاناة عند الاناة .

فمنذ سنتين او ثلاث سنوات ركزت خطبى كلها على قضية الصحراء وعلى استرجاعها ، ولم اقل لك شيئا عن الوسائل التى سأستعملها لاسترجاعها لم اقل باننى لم اعلم اذ ذاك الا اننى كنت موقنا اننا لا بد من ان نسترجع الصحراء وانت كنت كذلك موقنا باننا سنسترجعها ، وحينما طالبتك بالمسيرة لم اطالبك فى الاول وقبل كل شئ بالسير على الاقدام ولا بالتطوع طالبتك بالوعى طالبتك بالمسؤولية فتمكنت من ان أعرف وان اعلم ان المغاربة ليسوا شعبا كالشعوب كلها وان الصغير فيهم والضعيف فيهم والكبير فيهم فى امكانه ان يفهم التخطيط فيدرك الابعاد فينتظر وقت تطاف الثمرات .

هنيئا لنا حقا شعبى العزيز هنيئا لنا ان اراد الله لنا هذه الاخلاق وان طبعنا بهذا الطابع ، طابع الحكمة وطابع الرزانة ، فاصبحت شعبى العزيز بالنسبة لنفسك او بالنسبة للاخرين ، مطالبا بان تبقى فى هذا المستوى مطالبا بأن تبقى متحليا بهذه الحلة متصفا بهذه الاخلاق .

شعبى العزيز :

عليك أن تعلم أنك ان حررت الصحراء فانك من جهة اخرى قد فقدت حريتك فى تصرفك ، لانك أصبحت أسيرا ، أسيرا لملحمتك ، أسيرا لمسيرتك وسيرتك ، فلن يقبل منك اى احد محبا كان ام غير محب ما يمكنه ان يوصف بالطيش او عدم الرزانة ، وحاشا الله ، حاشا الله وانت تحب وطنك ، حاشا الله وانت تعبد ربك حاشا الله وانت تتخلق بأخلاق المعاملة الاسلامية النزيهة .

ولا ادل على ذلك شعبى العزيز ، لا ادل على ذلك من الظروف التى تعيشها الآن ، فالظروف التى نعيشها الان ظروف غريبة بالنسبة لنا ، ذلك اننا نعيش الحملة الانتخابية ، وانت تعلم شعبى العزيز ، وانا أعلم كيف تكون مدة الحملات فى الدول الاخرى ولو المتمدن منها كثيرا والقديم منها فى الديمقراطية ، فاذا

اعطـى القـائـد اشارة انطـلاق ..



فكان العبور العظيم وكانت صلاة الشكر

انت قارنت بين تلك الحملات وبين ما يجرى فى المغرب تجد نفسك أنت تقرأ وتكتب وتخطب ، تقول ما تريد بالكيفيــة التى تريد ، ولكن اراد الله من جهة اخرى ان تقولها وتكتبها وتخطب بها بالادب باللباقة بشىء كبير من الحرص على ان لا تقول الشىء النابى او يخرج من فمك ما لا تحمد عقباه .

وهكذا شعبى العزيز ، تعطى مرة اخرى الحجة على انك لست شعبا فى طريق النمو ، تعطى مرة اخرى الحجة على انه ان قالت بعض البلاد المستعمرة قبــل استرجاعنا استقلالنا ، استقل فى سنة كذا او كذا ، اقول هذا غلط فالمغرب لم يفقد استقلاله لاننا قضينا اربعين سنة من الحماية لا من الاستعمار واربعون سنة لا يمكن ان تعد فترة استعمار ، يمكن أن يقال عنها انها حادثة سير فى التاريخ كما يقع لجميع الدول .

شعبى العزيز ، ستخوض سلسلة من الانتخابات وكن موقنا على أن الجهاز الادارى فى مجمله جهاز نزيه، كن على يقين كذلك ان الموظفين الذين يكونون الجهاز الادارى ليسوا اجانب عنك ، بل مشاكلهم هى مشاكلك وتخميناتهم تخميناتك ،، مطمحهم مطمحك عواطفهــم عواطفك ، والموظفون هم قبل كل شىء مغاربة يهمهم سير الامور مثلما تهمك ، شؤون مدينتهم او ناحيتهم او وطنهم هى الشغل الشاغل بالنسبة لهم مثلمــا هى بالنسبة لك ، فلا يمكننى ان اعتقد ان الجهاز الادارى من شأنه ان لا يكون حتى هو كذلك مغربيا فى تصرفاته واخلاقــه .

نعم ، اذا نحن احصينا عدد الموظفين الكبــار والمتوسطين والصغار منهم تجدهم مآت الآلاف ، وفى مآت الالاف يمكن ان يكون ثلة من الناس وبالاخص فى المستوى المنحدر جدا من السلم الادارى ، ان نجد بعض الناس لا يتسمون بالنزاهة لهم مشاكل مع فلان او فلان فيحاولون أن ينتقموا لانفسهم بمناسبة انتخاب او مناسبة اقتراع ، ولكن هذا استثناء وليس بقاعدة .

فلاولئك الموظفين اقول : ان هذه الانتخابات نفسها ستمكننى من معرفتكم اكثر لاننى لا اعرف منكم الا النزر القليل ، اننى اعلمان المغرب ولله الحمد يتوفر على اطر سواء فى الكم او الكيف ولكن تلك الاطر جلها مختف فى المكاتب وفى الادارات او المصالح ، فهذه الانتخابات ستظهر منهم الكثير ، ومن تقدم منهم للانتخابات ونجح سيفوز بانه سيرى عمله وستعرف قيمته وسيكون هو بالتالى تلك الجماعة التى اريد ان احيط بهــا مصالح الدولة واحيط بها هذا العرش الذى هو قبل كل شىء من قلب كل مغربى ، تلك الجماعة التى اريد ان تكون عن يمينى وعن شمالى لا امامــى لان الامــام هــو مسؤوليتى ، أن تكون محيطة بى حتى نبنى مغربا على مستوى المسيرة وعلى مستوى الاحداث .

شعبى العزيز ، قررنا ان نجعل من يوم سادس نوفمبر عيدا رسميا للدولة لانه يمكن أن يوصف هــذا اليوم بانه ورقة تعريف جديدة للمغرب لمغرب جديد نريد ان نبنيــه جميعا .

نعم ، ستعترضنا فى الطريق صعوبات خلافات تشككات حتى فى بعض الاختيارات ، فالاختيارات اليوم اصبحت صعبة جدا ، ولكن هذا هو الطارىء اما الماكث الباقى هو عبقريتك شعبى العزيز : عبقريتك التــى أريد أن تحافظ عليها لانها أكبر كنز وأثمن كنز عنــدك ولا شك انك ستبقى تحافظ عليها ، لان الله سبحــانه وتعالى قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ثم قال : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملــوا الصالحــات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين مــن قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله

القانون الاسلامي عامل فعّال في نشر العدالة والمساواة والحرية في العالم

للأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري

لا يجادل أحد من العارفين بالتاريخ أن الدور الذى لعبه القانون الاسلامى فى الجزيرة العربية كان دورا فى غاية الاهمية والفعالية ، وانه كان نقطة انطلاق لنهضة عربية شاملة ، اجتماعيا وسياسيا ، ماديا وادبيا .

لكننا عند ما نريد ان نفهم الدور الذى لعبه القانون الاسلامى فى خارج الجزيرة العربية ونقدره حق التقدير ينبغى لنا ان نرجع الى الوراء ، لنتعرف على الحالة القانونية التى كانت عليها الاقاليم الخاضعة للحكم الرومانى ثم البيزنطى قبل دخولها فى الاسلام وخاصة الاقاليم الشرقية .

ان تاريخ القانون ليعطينا فى هذا الصدد معلومات ذات أهمية كبرى ومغزى عميق ، فقد وقف الرومان والبيزنطيون من اهالى تلك الاقاليم عدة مواقف لم تكن فى اغلب الاحيان محل الرضى والارتياح.

أما الموقف الاول فقد كان هو قصر التعامل بمقتضى القانون الرومانى على المواطنين الرومان من ابناء روما والجاليات الرومانية المقيمة فى الخارج دون بقية السكان ، باعتبار أن غير المواطنين الرومان من بقية السكان ليسوا اهلا للوصول الى هذه الدرجة ، ولا للحصول على هذا الامتياز .

واما الموقف الثانى فقد كان هو التوسع قليلا فى هذا المجال ، ومنح حق التعامل بمقتضى القانون الرومانى لبقية سكان ايطاليا اللاتينيين الجونيين علاوة على ابناء روما الممتازين ، مع ابقاء بقية سكان الامبراطورية اجمعين خارجين عن دائرة هذا القانون ، وهذا الموقف ناتج عن قانون جوليا الصادر سنة 89 / 90 قبل الميلاد ، والقاضى برفع المدن اللاتينية وحدها الى صف مدينة روما .

واما الموقف الثالث فقد كان هو فرض القانون الرومانى على طبقة الاحرار الاصلاء من سكان الامبراطورية وحدهم ، دون بقية السكان من المعتقين والاجانب المستسلمين ، وكان يعد من هذه الطبقة الاخيرة جميع المصريين ما عدا سكان الاسكندرية ، وجميع السوريين ما عدا سكان بيروت وصور ، وهذا الموقف ناتج عن المرسوم الامبراطورى الذى أصدره الامبراطور (كاراكالا) الفينيقى الاصل ، سنة 212 بعد الميلاد ، وذلك قبل اغتياله بخمس سنوات . وقد ولد هذا الامبراطور سنة 188 م بمدينة ليون ، التى كانت تابعة لروما ، وتوفى فى 8 ابريل سنة 217 م ، وكان غرضه من وراء هذا المرسوم الذى فرض به القانون الرومانى والجنسية الرومانية على الاحرار الاصلاء ، دون غيرهم من سكان الامبراطورية ، هو اخضاعهم لضريبة التركات التى كانت مفروضة من قبل على المواطنين الرومان ، وقدرها خمسة فى المائة من كل تركة ، وهكذا كان الدافع لهذا الاجراء دائما ماديا صرفا لصالح الخزينة الامبراطورية ، ولم تمله الاعتبارات الانسانية المجردة ، واستمر التمييز بين طبقات السكان قائما معمولا به فى الامبراطورية الرومانية حتى فى هذا العهد .

وكرد فعل لهذا الموقف يحكى لنا الاستاذ أوجين ريفيللو فى كتابه (الالتزامات فى القانون المصرى) ان مرسوم الامبراطور (كاراكالا) المشار اليه آنفا قد اثار عاصفة من الاحتجاجات ، حول القوانين والمؤسسات والتقاليد القانونية التى لم تكن تلك

الشعوب لتقبل ضياعها ، الامر الذى اضطر الامبراطور (اسكندر سيفير) المولود بسوريا سنة 208 م ، والذى خلف اباه الامبراطور كاراكالا منذ وفاته حتى سنة 235 م ، الى ان يصدر أمرا أمبراطوريا يطلب فيه الى الحكام الرومانيين أن يدرسوا ويصونوا ويطبقوا فى الدعاوى جميع الاعراف المحلية القديمة التى ظهر رجحانها .

وأما الموقف الاخير بعد سقوط الامبراطورية الغربية باحدى وخمسين سنة ، وقبل ظهور الاسلام بأربع واربعين سنة ، فقد كان هو اعتبار الاحرار الاصلاء والعتقاء من سكان الامبراطورية الشرقية متساوين فى الرعوية ، ولهم حق التعامل بمقتضى القانون الرومانى بعد ما ادخل عليه التحوير فى كثير من تفاصيله واجراءاته ، لكى يتكيف مع الاوضاع السائدة فى الاقاليم الشرقية التى اصبحت هى أهم اجزاء الامبراطورية . وهذا الموقف كان نتيجة لقرار الامبراطور جوستنيان الذى تولى حكم الامبراطورية الشرقية سنة 527 م ، واستمر فى الحكم 38 سنة ، وتوفى سنة 565 م . وذلك قبل ميلاد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بأربع سنوات ، وفى عهد هذا الامبراطور كانت مصر وفلسطين ولبنان وسوريا وبلاد الاناضول الى آخر ارمينية كلها داخلة تحت حكمه .

على ان نفس هذا الاجراء الذى اتخذه الامبراطور جوستنيان استثنى من حق الحصول على الرعوية جميع الاهالى الذين حكم عليهم بالنفى ، كما استثنى سكان حدود الامبراطورية الذين كان يطلق عليهم لقب (برابرة) حطا من مقامهم ، وتمييزا لهم عن غيرهم ، وبذلك استمر هذان الفريقان فى حالة تشبه حالة الاجانب الذين كانوا خاضعين لسطان روما قديما ، من عدم التعامل بالقانون الرومانى .

ونظرا لهذه المواقف المتقلبة والمضطربة فقد نشأ لدى سكان الاقاليم الشرقية من هذه الامبراطورية شعور مرير بالتمييز العنصرى والفوارق الطبقية ، مما جعل تلك الاقاليم تنطوى على نفسها ، وتتمسك بأعرافها وتقاليدها وتراثها القانونى المتوارث عبر الاجيال ، كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ومهما كلفها ذلك من المتاعب ، ولو بالتحايل على القانون الرومانى وتحت ستار قواعده نفسها . الامر الذى حدا بالامبراطور جوستنيان الى ان يظهر تجاوبا ملموسا مع رغبات سكان الاقاليم الشرقية ، فحذف من القانون الرومانى كثيرا من التشريعات التى لم يتقبلها الشرقيون ، وأدمج فى صلب مجموعاته القانونية قسما كبيرا من اجزاء الثقافة الحقوقية الشرقية الاصيلة ، ومن التعامل القانونى الشرقى القديم ، وفى طليعة تلك المجموعات : المدونة المعروفة باسمه (مدونة جوستنيان) التى نشرت سنة 534 م . والتى توجد بين ايدينا حتى اليوم. وقد ظلت مجموعات جوستنيان هى الاصل المعتمد فى القانون البيزنطى الى ان سقطت الامبراطورية الشرقية . ويقول الاستاذ الفرنسى « بول كولينى » كبير اساتذة القانون الرومانى فى جامعة باريس المتوفى سنة 1938 فى كتابه (الطابع الشرقى لعمل جوستنيان التشريعى) فى معرض بيان التأثير العميق الذى احدثه الشرق فى القانون الرومانى : « ان القانون الرومانى الذى ندرسه اليوم انما هو قانون شرقى مكتوب بأيدى الشرقيين ، وخاصة منهم أساتذة بيروت » واكد نفس الراى الاستاذ الايطالى ادوارد فولتيرا فى كتابه (القانون الرومانى والقانون الشرقى) ، مشيرا بالخصوص الى التأثير الشرقى البارز فى نظام العائلة واحكام العقود .

والآن وقد اعدنا الى الذاكرة ، بغاية الايجاز والاختصار ، ما كانت عليه الحالة القانونية لسكان الاقاليم الشرقية قبل ظهور الاسلام اصبح من السهل التعرف بدقة على الدور الذى سيلعبه القانون الاسلامى فى تلك الاقاليم ، وأصبح من الممكن ادراك السر فى تبنى سكانها لهذا القانون ، وتمسكهم به قرونا طوالا ، وفيما يلى عدة ملاحظات تتعلق بهذا الموضوع :

الملاحظة الاولى :

لقد نادى الاسلام منذ اليوم الاول بأربع وحدات : وحدة خالق الخلق « رب العالمين » ، ووحدة الكون بسائر اجزائه ومظاهره ، ووحدة الجنس البشرى بكافة سلالاته وعناصره ، ووحدة الانسان ، ذكرا كان ام انثى . وانطلاقا من عقيدة الوحدة التى نادى بها شرع قانونا واحدا لجميع المنتمين اليه دون تفرقة بين عنصر وآخر ، ولا بين طبقة واخرى ، ولذلك لم يوجد فى الاسلام « قانون عربى » خاص بالمواطنين العرب على غرار « القانون الرومانى » الخاص بالمواطنين الرومان ، وانما هناك « قانون اسلامى » يطبق على العرب وغير العرب ، ويبسط سلطانه على الحاكم

على المحكوم ، وبذلك اصبح ابناء الاقاليم التى دخلت فى الاسلام منذ البداية مواطنين عاديين فى الدولة الاسلامية ، لا فرق بينهم وبين العرب الذين وفدوا عليهم ليبلغوهم رسالة الاسلام .

الملاحظة الثانية :

ان القانون الاسلامى لم ينظر اليه على انه قانون (دخيل) فى هذه المنطقة ، فهو من الشرق واليه وهو يلتقى فى كثير من النقط مع التشريعات المحلية القديمة التى ظهرت فى جنوب الجزيرة العربية والعراق وسوريا ولبنان ومصر ، على يد عرب الجنوب والبابليين والكلدانيين والمصريين والفينيقيين ، وذلك قبل ان يبدا الاحتلال الرومانى بقرون عديدة ، مما لم يستطع الرومان والبيزنطيون ان يقضوا عليه . بل انهم قد تاثروا به ، واقتنعوا بصواب كثير منه ، وادمجوا جزءا كبيرا منه فى تشريعاتهم ، ولا سيما فى (قانون الشعوب) .

الملاحظة الثالثة :

ان القانون الاسلامى منذ نشأته الاولى كان ذا طابع واقعى وعملى ، بحيث تبنى الاعراف والعادات المحلية الجارى بها العمل فى المعاملات ، وادمجها فى صلبه دون ادنى تحفظ ، ولم يشترط فى تبنيها سوى شرط واحد ، الا وهو ان لا تكون مناقضة لمبادئه المنزلة ، ولا معارضة لقواعده المؤصلة وبذلك ابقى سكان الاقاليم التى دخلت فى الاسلام فى الجو المألوف لديهم ، والمتعارف عندهم ابا عن جد .

الملاحظة الرابعة :

ان القانون الاسلامى فتح الباب على مصراعيه لتوسيعه وتنميته ، حرصا منه على ان يستوعب واقع الحياة فى الاقاليم التى دخلت فيه ، وبذلك اعطى فرصة ثمينة لابناء تلك الاقاليم ممن دخلوا فى الاسلام ، ليساهموا بنظرهم واجتهادهم فى هذا العمل الجليل ، وكان لمساهمتهم الفعالة اثر كبير فى التوفيق بين مبادىء القانون الاسلامى العامة وحاجيات اقاليمهم ، وايجاد الحلول المناسبة لمشاكلهم الخاصة ، وبذلك اصبح القانون الاسلامى — بالاضافة الى طابعه العام — متكيفا فى قسم من تفاصيله بالطابع الاقليمى الخاص .

الملاحظة الخامسة :

ان القانون الاسلامى عند ظهوره كان يحمل طابع التحرير ، فقد حرر المراة من سيطرة الرجل ، واعترف لها بكيانها الخاص وبحقوقها المدنية اعترافا كاملا ، وحرر الابناء من تعسف الآباء ، فاعترف لهم بشخصية مستقلة ، وحرر جماهير الفلاحين من سيطرة ملاك الارض ، فنظم العلاقات بينهما على اساس النفع المتبادل فى نطاق عقود عادلة استحدثها لهذا الغرض ، وحدد فيها حقوق الطرفين وواجباتهما ، وحرر صغار التجار والمتداينين من استغلال المرابين ، فحرم الربا تحريما قاطعا ، وحرر العمال من عنت مستاجريهم واقام العلاقة بينهم على اساس انسانى مقبول ، وفتح باب الحرية فى وجه الارقاء الذين وجدهم امامه ، واباح تزوج المسلم بغير المسلمة ، وتزوج الحر بالامة ، وخصص « ثمن » واردات بيت المال من (الزكاة) لتحرير الرقاب ، وجعل تحريرهم قربة الى الله و « كفارة » عن كثير من الذنوب ، ومن ذلك كفارة القتل الخطأ وكفارة اليمين ، وحرر اتباع المذاهب المسيحية واليهودية المختلفة من اضطهاد بعضهم لبعض ، ووكل الى رؤساء طوائفهم النظر فى شؤونهم الروحية واحوالهم الشخصية دون ادنى تدخل ، مكتفيا فيما يخص غير المسلمين ببسط تشريعه المدنى والجنائى العام عليهم كبقية رعاياه المسلمين سواء بسواء ، نظرا الى انهم يتعايشون جميعا فى مجتمع واحد جنبا الى جنب ، ويتعامل بعضهم مع بعض على قدم المساواة فى ظل الدولة الاسلامية ، شعاره فى ذلك (لكم دينكم ولى دين) (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) ، واباح لهم فى نفس الوقت تحكيم اشخاص من نحلتهم فى النزاعات التى تنشأ بينهم ، عسى ان يصلوا فى شأنها الى صلح ، فاذا استمر النزاع قائما بين الطرفين رفع الامر الى القضاء الاسلامى الوحيد ، كما انه لم يحكم بابطال المعاملات التى تجرى بينهم فيما يحرم التعامل فيه بين المسلمين ، كالتعامل فى الخمر والخنزير ، وذلك مراعاة لعقائدهم وعوائدهم الخاصة .

الملاحظة السادسة :

ان القانون الاسلامى لم يكن قانون استغلال مادى بقدر ما كان قانون عدالة اجتماعية ، ولذلك كانت التكاليف العامة التى يطلبها من رعاياه خفيفة ومحدودة جدا ، ولم يفرق فيها بين المسلم منهم وغير المسلم ، فكما اوجب على غير المسلم دفع ضريبة سنوية تسمى (الجزية) اوجب على المسلم دفع ضريبة

(الزكاة) ، وذلك ليساهم رعاياه كافة فى تكاليف دولتهم، مقابل حمايتها لهم وانتفاعهم جميعا بمرافقها العامة . وكما اعفى المسلم من اداء (الزكاة) اذا لم يحصل على النصاب الموجب لها اعفى غير المسلم من اداء (الجزية) اذا كان عاجزا عن دفعها لسبب من الاسباب ، واحترم القانون الاسلامى التركات فلم يمسها ، واحتفظ بها كاملة للورثة الشرعيين ، ما عدا اذا لم يكن هناك وارث للهالك اصلا ، فان بيت المال هو الذى يتولى دفنه وتركته .

الملاحظة السابعة :

ان القانون الاسلامى وكل تقرير العقوبات المترتبة على مخالفته الى تقدير القضاء ، تبعا لحالة المجرم ونوع الجريمة ، ما عدا العقوبات المتعلقة بالجرائم الكبرى التى فيها اعتداء على الحق العام ، فقد حدد نوعها وقدرها تحديدا تاما . ونظرا لان هذه العقوبات يقصد منها أن تكون عقوبات مثالية لتحول دون وقوع تلك الجرائم فان القانون الاسلامى من جهة اختار ان تكون عقوباتها عقوبات قاسية فى الظاهر ، ومن جهة اخرى هيا الظروف الملائمة للتخفيف منها ، عند ما اشترط لايقاعها شروطا صعبة قلما تتوفر فى الاحوال العادية .

اما الجرائم السياسية فان القانون الاسلامى — انطلاقا من نزعته الانسانية الحرة — لا يجد فيها ما يبرر الحكم بالاعدام . وقد لفت هذا الموقف نظر الاستاذ الفرنسى لويس ميليو فكتب فى مؤلفه (مدخل لدراسة القانون الاسلامى) يقول : « ان التشريع الاسلامى ابطل الحكم بالاعدام فى الجرائم السياسية قبل تشريعاتنا الاوروبية بزمن طويل جدا » .

الملاحظة الثامنة :

ان القانون الاسلامى مطبوع بطابع التيسير ورفع الحرج ، وفيه استعداد خاص للتجاوب مع الفطرة الانسانية ، والالتقاء معها فى منتصف الطريق ، وهو من اجل ذلك ينظر الى العلاقات الاجتماعية نظرة واقعية ، ويدخل فى حسابه رغبات الانسان وميوله الطبيعية ،فلا يقفحجر عثرة فى طريق انطلاق الشخصية الانسانية ، بل يمهد السبيل المشروع لترضية حاجات الانسان المادية الروحية ، وكم من عقد نفسية ومآسى اجتماعية كانت موجودة فى المجتمع قبل ظهوره ، فوضع لها حدا وعالجها العلاج المناسب .

ولا غرابة فى ذلك فالقانون الاسلامى يتضمن فى صلبه المبادىء الثابتة والدائمة التى فطر الله عليها الانسان (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم) وتتجلى هذه الحقيقة فى امره (بالمعروف) ونهيه عن (المنكر) ، وتحليله (للطيبات) وتحريمه (للخبائث) ، ودعوته الى ارتكاب (الحسنات) واجتناب (السيئات) ، وترغيبه فى (الصالحات) وتنفيره من (الفواحش) .

وقد اكتشف فقهاء الاسلام الدعائم التى انبنى عليها « القانون الطبيعى » المشترك بين كافة الملل ، وحصروا تلك الدعائم فى خمسة اشياء ، على أساسها يقوم كل نظام صالح فى العالم ، الا وهى حفظ الدين ، وحفظ النسل ، ويلحق به حفظ العرض ، وحفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ المال ، وعلى هذه الدعائم نفسها يقوم صرح القانون الاسلامى بجميع فروعه وتفاصيله ، وكما حافظ القانون الاسلامى على هذه الدعائم بالنسبة للمسلمين من رعاياه حافظ عليها بالنسبة لغير المسلمين منهم سواء بسواء ، وبذلك استطاع ان يكسب ثقة الجماهير المتساكنة فى الاقاليم التابعة له على اختلاف سلالاتها واديانها ، اذ وجدته ملائما لفطرتها ، محققا لرغبتها ، ضامنا لمصالحها .

هذه جملة من الملاحظات حول القانون الاسلامى، ومن خلالها تبرز اهم العوامل التى جعلت هذا القانون هو القانون السائد فى جميع الاقاليم الاسلامية ، والتى ساعدت على أن تقوم فى ظله حضارة فريدة واقتصاد مزدهر لم تعرفهما الانسانية من قبل ، بالاضافة الى ما تميزت به مسطرته القضائية من التبسيط وعدم التعقيد ، وما تميز به قضاؤه من سرعة البت والتنفيذ، وقد استمر القانون الاسلامى مستويا على عرشه خلالقرون طويلة دون ان ينافسه قانون سابق ولا قانون لاحق ، ولم يتزحزح عن مركزه التقليدى الممتاز الا تحت الضغط السياسى عند ظهور « نظام الامتيازات » او تحت وطاة الاحتلال العسكرى ، عند ما وجهت بعض الدول الاجنبية حملاتها الاستعمارية ضد الاقطار الاسلامية فى العصر الاخير ، ولولا ظهور هذا العامل الغريب لتطور القانون الاسلامى فى اطاره الطبيعى الاصيل .

على ان القانون الاسلامى لا يزال يلعب فى الوقت الراهن دورا مهما فى عدة مجالات ينفرد فيها

بالاختصاص ، بالرغم من التشريعات المستحدثة التى قامت الى جانبه ، والتى عنده من الوسائل الفعالة ما يساعده على ايجاد تشريع لها فى نطاقه الخاص ، وهذه التشريعات المقتبسة من القوانين الاجنبية هى بالنسبة القانون الاسلامى لا تعدو ان تكون مجرد « تدابير تنظيمية » ، واذا صيغت بشكل يتفق مع مبادئه ولا يخرج عن نطاق قواعده فان القانون الاسلامى لا يمنع من تبنيها وادماجها فيه ، باعتبارها تفاصيل جزئية لا تخرج عن اصول تشريعه العام ، وكثير من المدونات القانونية الجديدة التى ظهرت فى العالم الاسلامى تنص على انه عند عدم وجود نص فيها فى امر من الامور يلزم الرجوع الى القانون الاسلامى للاهتداء به فى الموضوع ، واحيانا تنص على الرجوع اليه والى القانون الطبيعى ايضا ، اما المدونات المقتبسة من الفقه الاسلامى نفسه التى صدرت على الطريقة الحديثة فهى تسجيل عصرى الشكل ، لنفس المبادىء والقواعد .

ومجمل القول أن القانون الاسلامى فى الفترة الانتقالية الراهنة يعتبر بالنسبة للسلطة القضائية مصدر ارشاد وتوجيه ، بحيث تستوحى منه ما يساعدها على تحقيق العدل التام وبالنسبة لبقية السلطات يعتبر اداة رقابة وتنبيه ، بحيث تتجنب تلك السلطات ، فيما تتخذه من تنظيمات وما تصدره من قرارات ، كل ما يصطدم مع القانون الاسلامى ولا ينسجم معه اى انسجام ، وبذلك تتفادى اثارة الراى العام .

محمد المكى الناصرى
أستاذ كرسى بجامعة محمد الخامس ودار الحديث الحسنية



ان اشتراكيتنا ليست بالشعارات وبالكلام الفارغ. بل انها اشتراكية التفكير ، واشتراكية اسلامية ، واشتراكية (كن فى يد اخيك يكن الله بجانبك) .

جلالة الملك الحسن الثانى

"الإسلام والنصر"

الإعداد المعنوي للجهاد - 2 -

للواء الركن محمود شيت خطاب

ذكر فى الفصل السابق (المعنويات) ، أن الدين عامل من عوامل رفع المعنويات . وما اجملناه هناك نفصلـه هنـا .

— 1 —

حارب النبى صلى الله عليه وسلم فى غزواته العرب المشركين وانتصر عليهم ، فلم يلتحق بالرفيق الاعلى الا وكانت شبه الجزيرة العربية موحدة تحت لـواء الاسلام .

كان جنود النبى صلى الله عليه وسلم من العرب المسلمين ، قليلى العدد ، فقراء بالسلاح والقضايا الادارية .

وكان أعداء الاسلام من العـرب المشركـين ، كثيرى العدد ، اغنياء بالسلاح والقضايا الادارية .

كان التفوق العددى والعددى مع العرب المشركين على العرب المسلمين ، ولكن الفئة القليلة من العرب المسلمين ، غلبت الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين باذن الله .

وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، حارب العرب المسلمون الروم والغساسنة العـرب فى معركـة (اليرموك) الحاسمة التى فتحت أبواب أرض الشام للمسلمين ، وحاربوا الفرس والمناذرة العرب فى معركة (القادسية) الحاسمة التى فتحت أبواب أرض العراق للمسلمين ، وكان الفساسنة والمناذرة من العـرب الاقحاح ، وكانوا اعرق مدنية واكثر حضارة ، واغنى مالا وسلاحا ، واعرف بأساليب القتال ، واقرب الى قواعدهم من اولئك العرب المسلمين القادمين من قلب الجزيرة العربية .

وانتصر العرب المسلمون علـى العـرب غير المسلمين ، وعلى غير العرب من يهود وروم وفـرس وبربر فى ايام الفتح الاسلامى العظيم ، لا لانهم عرب وكفى ، بل لانهم عرب مسلمون .

لقد كان انصار العرب المسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم انتصار عقيدة لا مراء .

فما أثر العقيدة الاسلامية فى احراز النصر ؟

— 2 —

كان العرب فى الجاهلية متخلفـين سيـاسيا

واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا ، فرفع الاسلام مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ·

وكان الفرس والروم سادة العرب فى العـراق وارض الشام واليمن ، وحتى الاحباش كانت لهم صولة وجولة ومكانة فى اليمن ، فاصبح العرب بالاسلام سادة الفرس والروم والاحباش وسادة امم اخرى لا تعد ولا تحصى من الصين شرقا الى قلب فرنسا غربا ، ومن سيبيريا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ·

وكان العرب اقل حضارة ومدنية من الفـرس والروم خاصة ، فأصبحوا بعد الاسلام قادة الحضارة العالمية ورواد المدنية فى الدنيا ·

وكانوا فقراء معدمين يسكنون الخيام فى الصحراء، فأصبحوا بعد الاسلام اغنياء مترفين يسكنون القصور والبيوت فى الحواضر على ضفاف الانهار ·

وكانوا من الناحية العسكرية لا يطمعون أن يحموا ارضهم من الفرس والروم وحتى مـن الاحبـاش ، فأصبحوا بعد الاسلام لا يطمع احد فى حماية ارضـه من قوتهم القاهرة التى ملأت الارض سماحة وعدلا ·

اذن كان للاسلام اثر اى اثر فى العرب ، بدلهم من حال الى حال ، وجعل منهم أمة لها مكانتها ولها اعتبارها ولها تأثيرها فى سير الاحداث الكبرى ، ولها كلمتها المسموعة بين الامم ·

ولعل الباحثين المنصفين من المسلمين وغيـر المسلمين ، يستطيعون ان يقولوا كثيرا عن اثر الاسلام فى النواحـى السياسية والاجتماعيـة والاقتصادية فى العـرب ·

ولكننى سأقتصر هنا ، على اثر الاسلام فى العرب من الناحية العسكرية فقط ، مذكرا ان العرب لو لم ينتصروا فى الحروب ، ولو لم ترفرف رايـاتهم شرقا وغربا ، لما كانت لهم مكانة بين الامـم فى النواحـى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لـذلك يمكـن القول بأن اثر الاسلام عسكريا فى العرب هو الاساس الاول لمكانتهم السامية بين الامم ، ذلك لان الدول لا تحترم غير الاقوياء · وان القوي وحده هـو الـذى يستطيع ان يؤثر فى سير الاحداث العالمية ، سواء اكان هذا التأثير هدفه الخير للعالم ، ام هدفه الشر والخراب والـدمـار ·

— 3 —

كان فى العرب ايام الجاهلية مزايا متميـزة : الذكاء الفطرى ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ، فعمل الاسلام على تطوير هذه المزايا وصقلها ، وافاد منها ، ونجح فى مسعاه اعظم النجـاح ·

وكان فى العرب ايام الجاهلية صفات رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الاوثان والاصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ، فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصارا باهرا ·

وصدق الله العظيم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (1) ·

وكان العرب قبل الاسلام ، ماهرين فى حروب العصابات ، وفى استعمال السلاح ، وفى الفروسية ، وكانت لهم قابلية عظيمة على الحركة من مكـان الى آخر بسهولة ويسر ، وبأقل وقت ممكن ، واقل تكاليف ادارية ، ولكنهم كانوا متفرقين ، بأسهم بينهم شديد :

واحيـانـا علـى بكـر اخينـا
اذا مـا لـم نجـد الا اخـانـا

لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية ، تذهب عبثا فى المناوشات المحلية بين القبائل ·

كانت خبرتهم الحربية جهدا مضاعا ، يضر ولا يفيد ويهدم ولا يبنى ·

فلما جاء الاسلام ، وحد عقائدهم ، ووحد اعمالهم، ووحد صفوفهم ، ونظمهم ، وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلـق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا ، فأصبحت — لذلك كله وبذلك كله — قوتهم المبعثرة ، وجهودهم المضاعـة ، تعمل بنظام وضبط ، بقيادة واحدة ، لهدف واحد ،

(1) آل عمـران 103 ·

واصبح المؤمنون فى مشارق الارض ومغاربها اخوة ، يتحابون بنور الله بينهم ، وهم امة واحدة ، تحيتهـا السلام ، ودينها الاسـلام ·

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم الفين فى عمرة القضاء ، ومائة الف فى حجـة الـوداع ، يسيرون كلهم فى نظام ادق نظام : هرولة ، ومشيا ، واستلاما للركن والحجر الاسود — هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من اسباب القوة ، بـل هـو مصدرها ، وملاكها ، وهذه الامامة يقوم بها رجل مطهر يؤمن أصحابه بصدقه ، هى روح هذه القوة وقوامها ·

وفرضت الصلاة على المسلمين ، ثم قامت صلاة الجماعة التى اداها المسلمون وراء امام واحد · ومـن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفا للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجداتها فى تناسق مدهش وفى نظام ووقار، لا يمكن أن يغفل ما لهذه الصلاة المنظمة مـن قيمـة تربوية فى نفوس المسلمين ·

ان العرب اباة لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التـام بالطاعـة والنظام ، فكانت لهذه الصلاة اهمية بالغة فى (ايقاظ) روح النظام فى نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة اول ميدان حقيقى للتدريب على النظام عنـد المسلميـن ·

ثم ان انتظام المسلمين فى الصلاة ، شجع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعورا بالمساواة التـى كانت افكارا جديدة على بلاد العرب ، اذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هى رابطة الدم ، فاصبحت الوحدة السائدة هى وحدة العقيدة ·

لقد وجد الاسـلام بتعاليمه التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، ارضا خصبة فى العرب الذين كـانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابـون المـوت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسـلام علـى العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، واشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك اصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا) فى توحيد شبه الجزيرة العربية اولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا ·

والمعروف ان الجندى لا يمكن ان يقاتل فى الحروب قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه مقبلا غير مدبر ، الا اذا كان يؤمن بعقيدة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس ·

والجندى الذى يقاتل بغير عقيدة ، لا يمكن ان يصمد فى الميدان ابدا ·

وما يقال عن الجندى ، يقال عن الجيش ، ويقال عن الشعب ايضا ، فليس الجيش الا مجموعة مـن الجنود ، وليس الجيش الا جزءا من الشعب ·

فما اثر تعاليم الاسلام فى العرب ؟

لا شك ان هذه التعاليم ، رفعت المستوى العقلى للعرب الى درجة كبيرة ، فهذه الصفات التى وصف الاسلام بها الله سبحانه وتعالى ، نقلتهم من عبـادة اوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط فى النظر واسفاف فى الفكر — الى عبادة اله وراء المادة : « لا تدركـه الابصار ، وهو يدرك الابصار » (2) ·

كان الاله عند اكثرهم اله قبيلة ، وان اتسع سلطانه فاله قبائل او اله العرب ، فابانه الاسلام اله العالمين ، ومدبر الكون وبيده كل شىء وعالما بكل شىء، فاستطاع العربى بهذه التعاليم أن يرقى الى فهم اله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وافهمهم الاسلام ان دينهم خير الاديان ، وان العالم حولهم فى ضلال ، وان نبيهم نبى الناس جميعا ، وانهم ورثته فى حمل دعوته الى الامم ، فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الامم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان احدهم ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم·

وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنـة والنار ، اثر عظيم فى بيع كثير منهم نفوسهم فى سبيـل نشر الدعوة : « ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ، يقاتلـون فى سبيـل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل

(2) سورة الانعـام 103 ·

والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (3) ·

وكان للاسلام اثر كبير فى تغيير قيمة الاشياء والاخلاق فى نظر العرب ، فارتفعت قيمة اشياء ، وانخفضت قيمة أخرى ، واصبحت مقومات الحياة فى نظرهم غيرها بالامس ·

ان الاسلام رسم للحياة مثلا أعلى غير المثل الاعلى للحياة فى الجاهلية ، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيرا ما يتناقضان · فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التى لا حد لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة فى الانتقام والاخذ بالثار ممن اعتدى عليه او على قريب له او على قبيلته بقول او فعل — هذه المثل التى كانت اصول الفضائل عند العرب الوثنيين ، اصبحت فى الاسلام الخضوع لله والانقياد لاوامره ، والصبر ، واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لاوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر وتجنب الكبر والعظمة — هى المثل العليا للمسلم فى الحياة (4) ·

ان الاسلام ، صهر نفسية العربى ، ونفى عنها الخبث ، فأصبح العربى المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزنى ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته اكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع اوامر الله ورسوله واولى الامر ما اطاعوا الله ، وبذلك اصبح فردا مفيدا باع نفسه لله اخلاصا لعقيدته ·

هذا العربى المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، اصبح بدون شك ، عنصرا مفيدا كل الفائدة لتكوين أمة صالحة: تعبد ربا واحدا ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات، لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هى العليا·

لقد تصرف العربى المسلم فردا تصرفا لا يزال يعتبر من الاعمال الفذة النادرة فى حياة البشر : تحمل التعذيب والموت صابرا راضيا مطمئنا ، وترك اهله وماله مهاجرا الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة اهله الاقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين وجدها تعارض مصلحة عقيدته العليا ·

وتصرف العربى المسلم ضمن المجموع من امته تصرفا لا يزال يعتبر حتى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد فى سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت القوة المؤمنة التى اختزنتها الصحراء عبر الاجيال ، تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ فى احقابه المديدة انتصارات مظفرة وفتحا (مستداما) مثلما شهد انتصارات الفتح الاسلامى (5) ·

تلك هى العقيدة التى جعلت العربى المسلم يقاتل قتالا مستميتا ، ويضحى بروحه من اجلها ·

وهذه العقيدة هى التى دفعت العربى المسلم الى التضحية والفداء ، وجعلته صابرا فى البأساء والضراء وحين البأس ·

وهذه العقيدة هى التى قادته من نصر الى نصر ما دام متمسكا بها ، فلما اعرض عنها لم ير النصر بعينه ابدا ·

— 5 —

فكيف يربى الاسلام ملكة الجندية الحقة فى المسلم فردا وفى المسلمين جيوشا وامة ؟

هناك صفات خالدة للجندى الحق هى التى تميز الجندى الامين عن الجندى المزيف الذى لا قيمة عسكرية له ·

وهنا لا بد لى من ان اذكر ، بانه ليس كل من ارتدى البزة العسكرية وقضى ردحا من الزمن فى الجيش اصبح جنديا حقا ·

بل لا بد ان تتوفر فى الجندى صفات معينة ، ليكون جنديا يفيد ولا يضر ، ويبنى ولا يهدم ، ويقاتل ولا يفر ·

من هذه الصفات الطاعة ، والطاعة هى ما نطلق عليه فى المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير : الضبط (6) ·

والضبط : معناه اطاعة الاوامر وتنفيذها نصا وروحا بدون تردد وعن طيبة خاطر وبحرص وامانة واخلاص ·

---

(3) سورة التوبة آية 111 ·

(4) انظر ، فجر الاسلام 1 / 93 — 95 ، احمد امين ·

(5) انظر التفاصيل فى كتابنا : قادة الشام ومصر 267 — 276 ·

(6) يطلق على كلمة : الضبط فى قسم من الجيوش العربية كلمة : الانضباط ·

لقد وردت كلمة (طاع) ومشتقاتها فى تسع وعشرين ومائة آية من آيات القرآن الكريم · قال تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (7) وقال تعالى : « ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا » (8)، وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » (9) ·

والفرق الكبير بين الجندى الجيد والجندى الرديء ، هو ان الاول مطيع والثانى غير مطيع ، اى ان الاول يتحلى بالضبط المتين ، والثانى قليل الضبط ، كما يعبر عن ذلك العسكريون المحدثون ·

وقد ضرب السلف الصالح اروع الامثال بالطاعة لله ولرسوله ولاولى الامر ، وتاريخ الصدر الاول من الاسلام ملىء بأمثلة الطاعة التى ادت بالكثير من المسلمين الى التضحية بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله·

كما ان الفرق الكبير بين الجيش والمدنيين ، هو أن الجيش يتحلى بالضبط المتين ، ولا جيش بدون ضبط ، ولا ينتصر جيش فى الحرب بدون ضبط مهما يكن حسن التنظيم كامل التجهيز جيد التدريب قوى القيادة ·

— 6 —

ومن صفات الجندى الخالدة : (الصبر) على المشقات العسكرية وفى الميدان ·

وقد وردت كلمة (صبر) ومشتقاتها فى ثلاث ومائة آية من آيات القرآن الكريم · قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله » (10) ، وقال تعالى : « ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا » (11) ، وقال تعالى : « سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » (12) ، وقال تعالى : « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (13) ، وقال تعالى : « ثم جاهدوا وصبروا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (14) ·

ومن صفات الجندى الخالدة : الثبات فى الحرب:

والثبات له معنيان : الاول الثبات الى آخر اطلاقة وآخر رمق ، فليس جنديا من يفر او يستسلم للعدو ومعه سلاح وعتاد ، حتى يتحطم سلاحه وينفد عتاده ·

والثانى الشجاعة فى مجابهة العدو والقتال بتصميم وعناد ·

وقد وردت (ثبت) ومشتقاتها فى ثمانى عشرة آية من آيات الذكر الحكيم · قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا » (15) ، وقال تعالى: « وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » (16) ، وقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (17) ، وقال تعالى : « ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا » (18) ، وقال تعالى : « ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا ، وثبت اقدامنا » (19) وقال تعالى : « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم، فثبتوا الذين آمنوا » (20) ·

اما الشجاعة وهى من اهم صفات الجندى ، فيكفى ان نذكر ان المسلم لا يجبن ابدا ، وان التولى يوم الزحف بالنسبة للمسلم من الكبائر ، قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا

---

(7) سورة النساء الآية 80 ·
(8) من سورة النور الآية 47 ·
(9) من سورة النساء الآية 59 ·
(10) سورة آل عمران الآية 200 ·
(11) سورة البقرة الآية 250 ·
(12) سورة الرعد الآية 24 ·
(13) سورة النحل الآية 126 ·
(14) سورة النحل الآية 110 ·
(15) سورة الانفال الآية 45 ·
(16) سورة الانفال الآية 11 ·
(17) سورة محمد آية 7 ·
(18) سورة البقرة آية 250 ·
(19) سورة آل عمران آية 147 ·
(20) سورة الانفال آية 12 ·

لقتال او متحيزا الى فئة ، فقد باء بغضب من اللــه ومأواه جهنم وبئس المصير » (21) ·

وجعل التولي يوم الزحف من صفــات الكفــار والمنافقين ، قال تعالى : « ولو قاتلكم الذين كفــروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا » (22) ، وقال تعالى : « لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون » (23) ، وقال تعالى : « لــن يضروكم الا اذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الادبار » (24) ، وقــال تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار ، وكان عهد الله مسئولا » (25) ·

ولست اعرف عقيدة سماوية ولا ارضية حثت على الشجاعة حثا حاسما جازما كما فعلت العقيدة الاسلامية ، ويكفي انها اخرجت الجبناء مــن حظيرة المؤمنين ، فالجبن والاسلام على طرفي نقيض وهما ضدان لا يجتمعان ·

واذا كانت الشجاعة هي التي تؤدى الى احراز النصر ، او هي من اهم عوامل النصر على الاطلاق ، فان الشجاعة فى العقيدة الاسلامية هي مزية من مزايا المسلم الذي لا يكون مسلما بدونها ·

— 7 —

ومن صفات الجندى الخالدة الحذر واليقظة ·

قال تعالى : « يا ايها الذيــن آمنــوا خــذوا حذركم » (26) ، وقال تعــالى : « فليصلــوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم » (27) ، وهى صــلاة الخوف كما يعبر عنها الفقهاء ·

واذا كان الجندى حذرا يقظا ، صعب على عدوه ان ينال منه او ان يباغته ليقضى عليه ، والمباغتة مبدأ من اهم مبادىء الحرب ·

وليس جنديا حقا من ينام عن عدوه ، لان المبدأ السليم فى الحرب هو ادخال اسوأ الاحتمــالات فــى الحســاب ·

وتطبيقا لمبدأ الحذر واليقظة ، كان المسلمــون الاولون فى الحرب لا ينامون ولا ينيمون . .

وما أصدق المثل العربى القائل : « اذا كــان عدوك نملة ، فلا تنم له » ·

والاستهانة بالعدو اعتمادا على الكثرة الكاثرة والعدد العديد ، يؤدى الى الكوارث فى الحرب ، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى درسا عسكريا سجلــه القرآن الكريم ، فقال تعالى : « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين » (28) ·

ان الاستهانة بالعدو تؤدى الى الهزيمة ، ومن حق المنتصر ان يستهين بعدوه بعد احراز النصر عليه ، اما قبل المعركة فلا بد ان يدخل فى حسابه عن عدوه اسوأ الاحتمالات ·

— 8 —

ومن تلك الصفات الخالدة للجندى الحق ، ان يجاهد بماله ونفسه فى سبيل مثله العليا ·

وقد وردت كلمة (جهد) ومشتقاتها فى احدى واربعين آية من آيات الذكر الحكيم · قــال تعالى : « تومنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله » (29) وقال تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظــم درجــة عنــد الله » (30) ، وقال تعالى : « وجاهدوا بأموالكــم

(21) سورة الانفــال آيــة 15 — 16 ·
(22) سورة الفتــح آيــة 22 ·
(23) سورة الحشر آيــة 12 ·
(24) سورة آل عمران آيــة 111 ·
(25) سورة الاحــزاب آيــة 15 ·
(26) سورة النساء آيــة 71 ·
(27) سورة النسـاء آيــة 102 ·
(23) سورة الحشر آيــة 12 ·
(29) سورة الصف آيــة 11 ·
(30) سورة التوبــة آيــة 20 ·

وانفسكم فى سبيل الله » (31) ، وقال تعالى : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما » (32) ·

وقد فرض الاسلام على المتخلف عن الجهاد عقابا نفسيا فى الدنيا ، اذ يهجر المتخلف اهله حتى زوجه ، كما يهجره المسلمون جميعا ويقاطعونه ، وينظر اليه المجتمع الاسلامى نظرة احتقار وازدراء · قال تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم ، وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا » (33)·

ان عقاب المتخلف عن الجهاد فى الاسلام يقتصر عليه فقط ولا يشمل اهله وعشيرته ولا سكان قريته ، كما حدث فى القرن العشرين عند بعض الدول الكبرى، اذ نزل العقاب الصارم بأهل المتخلف وعشيرته وحتى باهل قريته فى بعض الاحيان ·

ويهمنا أن نعرف ان كثيرا من عوائل المتخلفين ابيدت عن بكرة ابيهم فى الدول التى طبقت الحرب الاجماعية خلال الحرب العالمية الثانية فى القرن العشرين ·

اما فى الاسلام ، فقد عاقب المتخلف وحده عقابا نفسيا صارما ، فاين هذا العقاب الذى طبقه المسلمون على المتخلف فى القرن الاول الهجرى من هذا العقاب الذى طبقته ارقى الدول فى القرن الرابع عشر الهجرى؟

لقد سبق الاسلام الامم بتعاليمه العسكرية قرونا طويلة ، ولكن .. يا ليت قومى يعلمون !

— 9 —

عمل الاسلام على تقوية معنويات (34) المجاهدين قال تعالى : « يا ايها النبىء حرض المومنين على القتال » (35) ·

وحث الاسلام على الاهتمام باعداد القوة المادية، قال تعالى : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » (36) ، وقال تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (37) ·

كما حث الاسلام على انشاء المعامل الحربية لصنع الاسلحة ، وذكر بالحديد بصورة خاصة للاستفادة منه للاغراض العسكرية : « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » (38) ·

واعد الاسلام تنظيمات عملية للاعفاء من الجندية، واعلان الحرب : والدعوة الى الجهاد ، وتطهير الجيش وأساليب القتال وقضايا الكتمان ، والهدنة ، والصلح، والاسرى والمحافظة على العهود ·

فقد حصر الاسلام اسباب الاعفاء من الجندية فى الضعف ويشمل : المرض والعجز والشيخوخة وعدم القدرة على الانفاق ، قال تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » (39) · وقد نصت الآية على عدم القدرة على الانفاق لان الجندى كان يلتزم حينذاك بنفقته وادوات حربه ، وقد زال هذا السبب الآن ..

وحذر القرآن الكريم من انتهاز غفلة العدو المعاهد واخذه على غرة غدرا ، قال تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (40) ، فتطلب الآية الكريمة طرح العهد عند توجس الشر من العدو ، وتطلب ان يكون هذا النبذ صريحا ·

وحذر الاسلام من التباطؤ فى تلبية داعى الجهاد

(31) سورة التوبة آية 41 ·
(32) سورة النساء آية 95 ·
(33) سورة التوبة آية 18 ·
(34) انظر بحث المعنويات ·
(35) سورة الانفال الآية 65 ·
(36) سورة النساء الآية 102 ·
(37) سورة الانفال الآية 60 ·
(38) سورة الحديد الآية 25 ·
(39) سورة التوبة الآية 91 ·
(40) سورة الانفال الآية 58 ·

والتثاقل عنه . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعـذبكم عـذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شيء قدير » (41) .

وامر بتطهير الجيش من عناصر الفتنة والخذلان، ومن الذين يختلفون عن افراده بالعقيدة ، حتى يكون الجيش كله مؤمنا بعقيدة واحدة ، يعمل لتحقيقها ، ويبذل كل ما يملكه فى سبيلها ، وبذلك يستطيع الفوز فى الحرب ، قال تعالى : « ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا » (42) وقـال : « ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ، لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » .

ونظم الاسلام المواضع الدفاعية موزعا المقاتلين على تلك المواضع : « واذ غدوت من اهلـك تبوىء المومنين مقاعد للقتال » (43) .

وابتكر الاسلام اسلوبا جديدا فى القتال لم تكن العرب تعرفه من قبل هو اسلوب الصف ، اذ كانت تقاتل باسلوب الكر والفر : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا » (44) . ويطلق اسم هذا الاسـلـوب من القتال على سورة من سور الذكر الحكيم ، هـى سورة الصف .

ويحذر الاسلام من اذاعة الاسرار العسكرية ، ويجعل اذاعتها من شأن المنافقين ، ويطالب المؤمنين بالرجوع الى القيادة العامة ، كما يطالبهم بالتثبت مما يصلهم من انباء قبل الركون اليها والعمل بها : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثـم لا يجـاورونك فيهـا الا قليلا » (45) ، وقال تعالى : « واذا جاءهم امر مـن الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » سورة النساء الآيـة 83 .

وامر الاسلام بتلبية دعوة السلم ووقف الحرب اذا جنح اليها الاعداء ، وظهرت منهم علامات الصدق والوفاء . قال تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم . وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله » (46) .

وخير الاسلام القائد بين أن يمـن على الاسرى ويطلقهم من غير فدية او مقابل ، او يأخذ منهم الفدية من مال ورجال وذلك حسب اقتضاء المصلحة . قال تعالى : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعـد واما فـداء » (47) .

وحث الاسلام بصورة خاصة على المحافظة على العهود ، واوجب الوفاء بها ، وحرم الخيانة فيهـا ، والعمل على نقضها ، وارشد الى ان القصد منها احلال الامن والسلم ، محل الاضطراب والحرب ، وحذر ان تكون وسيلة للاحتيال على سلب الحقوق والوقيعـة بالضعفاء . قال تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى اربى من أمة » (48) .

— 10 —

هذا غيض من فيض مما جاء فى القرآن الكريم من آيات كريمة لتربية الجندى فردا ولتربية الجيش جمـاعـات .

ومما ذكرنا يتضح أن الجندى المسلم لا يكذب ولا

---

(41) سورة التوبة الآيـة 38 — 39 .
(42) سورة الاحـزاب الآيـة 20 .
(43) سورة آل عمران الآية 121 .
(44) سورة الصف الآيـة 4 .
ويمكن ان نطلق الصف الآن على كل تنظيم حربى يراه القائد فى وضع الجيش المحارب تجاه عدوه دون ان نتمسك بحرفية الصف الواحد والمهم هو التماسك والتعاون فى الجيش المحارب واسلحته المختلفة .
(45) سورة الاحـزاب الآيـة 60 .
(46) سورة الانفـال الآيـة 61 — 62 .
(47) سورة محمـد الآيـة 4 .
(48) سورة النحـل الآيـة 91 — 92 .

يسرق ولا يزني ولا يخون ولا يخش ولا يتجسس على جيشه ، يخلص لواجبه أعظم الاخلاص ، وينسى نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين · يتحلى بالضبط المتين ، فيطيع الاوامر وينفذها بأمانة واخلاص واندفاع· يصبر فى البأساء والضراء وحين البأس ، ويتحمل المشاق العسكرية صابرا محتسبا ، يتصف بالشجاعة والاقدام ، ويثبت فى الميدان ولا يفر ابدا ، ولا يولى يوم الزحف ، حذرا يقظا ، لا يستهين بعدوه ، يجاهد بماله وروحه فى سبيل الله ، ولا يتخلف عن الجاد مطلقا ·

هذا الجندى المسلم ، بهذه الصفات الرائعة ، هو بالتأكيد عنصر مفيد فى جيش له تعاليمه المتينة الرصينة فى التنظيم وفى التجنيد وفى الدعوة الى الجهاد · فى جيش نقى من الدخلاء والملوثين ، لا يغدر ولا يخون ولا يجور على احد ، له تعاليمه القوية فى القتال وفى السلام ، وفى التمسك بالعهود والمواثيق ، وفى معاملة الاسرى معاملة انسانية رفيعة ·

هذا الجيش الذى يعد كل متطلبات القتال سلاحا وعتادا وقضايا ادارية ومعامل عسكرية ، لا يمكن ان يغلب ابدا ·

وغزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، والفتح الاسلامى العظيم ، خير شاهد على ما نقول ·

لقد انتصر المسلمون الاولون ، لانهم كانوا ترجمة عملية تمشى على الارض لتعاليم الدين الحنيف ·

وحين اعرض المسلمون عن دينهم ، وتركوا تعاليمه السماوية ، تداعت عليهم الامم ، واصبحوا غثاء كغثاء السيل ·

قد اعزهم الله بالاسلام ، ولن يعزوا بغيره ·

والاسلام ليس نسبا ولا ارثا ولا منطقة جغرافية، بل هو عمل وتضحية وفداء :

والمسلمون الذين يصومون ويصلون ويؤدون الفرائض ، ثم يقعدون عن الجهاد فى سبيل الله ، حينما يكون الجهاد فرض كفاية أو فرض عين ، ليسوا مسلمين حقا ·

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق) ·

والسؤال الكبير الذى يدور على كل لسان اليوم : لماذا اندحرنا فى فلسطين ؟

واسباب الاندحار كثيرة ، من اهمها أن العرب تخلوا عن عقيدتهم السمحاء ·

انه لا جيش قوى بدون معنويات عالية ، وقد اثبتت الاحداث ، ان معنويات الجيوش العربية لم تكن عالية بحيث تتحمل اعباء حرب طويلة الامد بثبات وتضحية وفداء ·

لم يكن من المتوقع مطلقا ، أن تنهار الجيوش العربية بهذه السرعة المذهلة ، والقول بأن تفوق اسرائيل بالقوة الجوية لا يسوغ أبدا سرعة انهيار الجيوش العربية بشكل يندى له الجبين ·

وقد تعلمنا من دروس تاريخ الحرب ، ان المعنويات اقوى من السلاح ، وأن الجيش الذى يتحلى بالمعنويات العالية ينتصر فى النهاية مهما طال الامد على اعدائه ·

ان المعنويات ترتكز اولا وآخرا على العقيدة ، فما هى العقيدة التى كانت الجيوش العربية تؤمن بها ؟

هل هى المبادىء المستوردة شرقية كانت ام غربية ؟ !

هل هى الشعارات التى لم تتجاوز اللسان هتافا وصراخا والتى لم تخالط القلب والوجدان ؟ !

هل هى عبادة الاشخاص والعمل من اجل الامجاد الشخصية ؟ !

كل تلك الامور وامثالها لا يمكن ان تسمى عقيدة منشئة بناءة ، يمكن ان يضحى الجندى فى سبيلها بروحه مقبلا غير مدبر ، والروح اغلى ما يملكه الانسان·

ان العرب يمتلكون عقيدة هى اقوى العقائد واصلبها ، وقد قادت العرب الى النصر والى قيادة العالم قرونا طويلة ·

وهذه العقيدة ، تحث على الجهاد بالمال والنفس، وتحث على الشجاعة والاقدام ، وتأمر بالصبر والثبات، وتنهى عن التولى يوم الزحف ، وتغرس فى النفوس الطاعة ·

ولست اعرف عقيدة غير الاسلام ، تبنى كل هذه الفضائل العسكرية فى العقول والنفوس معا . .

فماذا فعلنا لغرس العقيدة في ابناء الشعب قاطبة ومنهم الجيش ؟

لا شيء ابدا .. لا شيء على الاطلاق ...

لقد حارب الاستعمار بوسائله الجهنمية هذه العقيدة ، وبذل كثيرا من الجهد والمال لتحقيق اهدافه الهدامة ، وكان ما بذله الاستعمار امرا طبيعيا بالنسبة لاهدافه ، لانه يعلم أن الامة بدون عقيدة ، لا قيمة لها في الحياة ولا خطر منها عليه .

وكان من المتوقع ان يتبنى العرب عقيدتهم بعد نيل حريتهم ، ولكن العكس حدث تماما ، فقد بدا حكام العرب اول ما بداوا بمحاربة عقيدتهم ، فنفذوا عن طيبة خاطر وبحماسة شديدة اهداف المستعمرين .

لقد حاربت جيوشنا بدون عقيدة ، لذلك فرت بعد الصدمة الاولى بشكل لم يسبق له نظير .

ولو ان العسكريين استقر في نفوسهم ، ان الرجل لا يموت الا باجله الموعود ، وان الشهادة في سبيل الله من اعظم الدرجات ، وان الفرار يوم الزحف من الكبائر ، وان الجهاد افضل العبادات ، وان جهاد ساعة خير من عبادة ستين عاما .

لو استقر في اذهان العسكريين مثل هذه المثل العليا النابعة من صميم الاسلام ، لكان لهم شان في الحرب اى شان ، ولصبروا وصابروا ورابطوا في الميدان .

انى اطالب المسؤولين باقرار التعليم الدينى في المدارس والمعاهد والجامعات على اسس رصينة سليمة ، وغرس مبادىء الدين الحنيف في نفوس العسكريين ضباطا وجنودا بالدروس والمحاضرات ، ومراقبة سلوكهم الشخصى مراقبة دقيقة ، ومحاربة اسباب اشاعة الفوضى الاخلاقية والترف ، والعمل على غرس الفضيلة والخلق الكريم بين ابناء الجيش خاصة والشعب عامة .

فهل من سميع مجيب ، ام على قلوب اقفالها ؟

لقد عزا قسم من المفكرين العرب انتصار اسرائيل الى تفوقها على العرب في العلوم التطبيقية (التكنولوجيا) .

ولعل هذا التفوق العلمى سبب من الاسباب ، ولكنه ليس السبب الاول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام الشمالية تفوقا عظيما في الناحية العلمية ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

وعزا قسم من المفكرين العرب انتصار اسرائيل الى التفوق الجوى .

ولعل هذا التفوق الجوى سبب من الاسباب ، ولكنه ليس السبب الاول والاخير .

ان الولايات المتحدة الامريكية متفوقة على فيتنام تفوقا ساحقا في الجو ، ولكن فيتنام لم تستسلم ولم توقف القتال .

لقد استطاعت فيتنام أن تكبد الولايات المتحدة مائة الف عسكرى منهم ستة عشر الف قتيل واربع وثمانون الف جريح (50) .

واستطاعت فيتنام ان تسقط ثلاثة آلاف طائرة من طائرات الولايات المتحدة الامريكية (51) .

ان الثبات وحده هو الذى حقق لفيتنام الشمالية هذا النصر ، ولا ثبات بدون عقيدة .

لقد صرح مسؤول اسرائيلى كبير ، ان عوامل انتصارهم على العرب خمسة ، على راسها العامل الروحى .

وحين احتلت اسرائيل القدس القديمة يوم 6 / 6 / 1967 ، زحفت جموعهم وعلى راسها رئيس الدولة حفاة حاسرى الراس الى حائط المبكى ! !

وذكر احد رجالات اسرائيل ، انهم انتصروا على العرب لانهم يؤمنون بالله .

فهل صرح مسؤول عربى مثل هذا التصريح حتى اليوم ؟ !

واذا كان يهود يؤمنون بالله ، فبماذا يؤمن العرب ؟

وهل فكر العرب بالعودة الى تعاليم الدين الحنيف ، ليكون لهم سندا وعونا في الشدائد والملمات ؟!

---

(50) اعلن ذلك مسؤول امريكى يوم 6 / 10 / 1967 واذاعته محطات الاذاعة العالمية ونشرته الصحف .
(51) اعلن ذلك خلال شهر ايلول 1967 .

ام لا يزال العرب يعتبرون الدين وتعاليمه من الامور الثانوية ؟ !

ان الناحية العلمية التطبيقية واعداد الطائرات والدروع والاسلحة والعتاد ، واكمال التدريب والتجهيز، كلها تدخل فى نطاق الاعداد العسكرى الذى أمر بـه الاسـلام ·

ولكن الناحية المعنوية ، وهى التمسك بالعقيدة، لا تقل اهمية للجيش والشعب على حد سواء مـن الاعداد المـادى ·

.. فلا بد من العودة الى الله تائبين منيبين ، ولا بد من العودة الى تعاليمه السماوية ، وعند ذاك لن تغلب ابدا ·

ان الذى يحتاج اليه العرب اليوم ، هو الايمان بالله ، والايمان بالعلم ، وحينذاك سيقول يهود كمـا قال أسلافهم من قبل : ان فيها قوما جبارين ·

والسفاه على القدس ..

والسفاه على بلد الانبياء والمرسلين ..

والسفاه على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم·

ولكن القدس لا يمكن انقاذها بالاسى والاسف ، حتى ولو ابيضت عيون المسلمين من الدمع ·

وصدق الله العظيم : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » (52) ·

ونصر الله ايمان به ، وثقة بقدرته ، وعمـل بتعاليمه ، ثم اعداد لمتطلبات القتال التى امـر بهـا « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الانفال الآية 60·

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الذين ينصرهم فقال : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » (53) ·

فأين هم هؤلاء حتى ينصرهم الله .. اين ؟ !

ان المـؤمـن لا ييـأس ..

والمـؤمـن لا يقنط ..

واسرائيل اذا انتصرت ساعة ، فلن تنتصر الى قيـام السـاعـة ..

ان الله يغار على قبة الصخرة ان يرتفع عليها علم اسـرائيـل ..

ويغار علـى المسجـد الاقصى ان تنتهك فيـه الحـرمـات ..

ويغار على مسرى النبى صلى الله عليه وسلم ان تقترف فيه الموبقات ..

ومصير يهود معلوم ، وانا واثق من نصر الله .. وقد اعد الله لليهود يوما عصيبا : « ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله » ..

فهل نعود الى الله ، ونعمل بتعاليمه ، لينصرنا على اسرائيل ، وعلى اعدائنا جميعا ، ام لا نـزال بحاجة الى النكسات والنكبات ؟ !

---

(52) سورة الحج الآيـة 40 ·
(53) سورة الحج الآيـة 41 ·



علو الاسناد طريق مرغوب فيها عنـد المحدثين ولذا كان السلف يتزاحمون ويتسابقون على نهجـه وسبيلهم الى ذلك كثرة الرحلة والسفر طلبا للسند العالي لانه يحقق الغرض من الرواية .

وقد اكثر الامام البخارى الترحال الى الامصار والاقاليم واطال السفر الى الحواضر الاسلامية طلبا لعالى الاسناد ورغبة فيه وتحقيقا للمقصد الاسمى منه . قال الحافظ المزى : (1)

و « اكثر الحاكم من عد شيوخه (اى البخارى) وذكر البلاد الذى دخلها ثم قال : وانما سميت مـن كل ناحية جماعة من المتقدمين ليستـدل على عـالى اسناده ، فان مسلم بن الحجاج لم يدرك احدا ممـن سميتهم الا أهل نيسابور » .

ولذلك اجهد الامام البخارى نفسه وكان يقطـع المراحل ويقصد الاقاليم مهما نأت من اجل رواية حديث واحد او حديثين طلبا لسند عال قل رواته ورجاله وكان شديد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (2)، واذا كان للامام البخارى فضل الريادة فى علم الحديث باعتباره اول من صنف الحديث واول من صنف صحيح الحديث مجردا حتى اعتبر كتابه الصحيح اصح كتاب بعد كتاب الله ولقب بأمير المومنين فى الحـديث (3) واعتبر مسلم « استاذ الاستاذين وطبيب الحديث فى علله » ، كما اعتبر الترمذى الامام البخارى اعلم اهل عصره بمعرفة الاسانيد والعلل والتاريخ قال :

« لم ار بالعراق ولا بخراسان فى معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد اعلم من محمد بن اسماعيل البخـارى » .

لذلك جاء كتابه (الجامع الصحيح) نموذجا لكتب الحديث منذ الف فى الصحيح وظل من اجل ذلك قبلة العلماء والمحدثين سواء فى طريقته او الاسلوب الذى نهجه البخارى فى جمعه وتأليفه وانتقاء الحديث الصحيح خاصة وانه خرج جامعه من ستمائة الف حديث مما صح عنده على شروطه وهو ما لم يتعد سبعة آلاف حديث

---

(1) طبقات الشافعية للسبكى ج 2 ص 2 .
(2) قواعد التحديث ص 108 علوم الحديث صبحى الصالح ص 236 .
(3) حياة البخارى للشيخ جمال الدين القاسمى ص 11 .

ونيف مما ورد فى كتابه الصحيح ثم طول اناته فى مدة تاليفه وبحثه الطويل الذى استمر ستة عشر عاما ، وفى طريقة اخذه للحديث وروايته عن الشيوخ الذين بلغوا الفا وثمانين نفسا ثم الى تعدد الامصار والاقاليم التى رحل اليها وقصدها من اجل رواية الحديث فانه لم يكتب فى الجامع كل ما سمعه او رواه ، كما لم يصح عنده كل ما تلقاه من الشيوخ بل كان يعمل عقله ونهجه وطريقته فيما يأخذ ويروى ويتثبت ويتحرى قبل ان يكتب فى الصحيح (4) ومن حيث طريقته فى التحديث امتاز البخارى بالبحث الدقيق عن الرواة الذين يأخذ عنهم ويسمع منهم وذلك من اجل معرفة منازعهم الفكرية واهوائهم السياسية وسيرتهم الخلقية .

كما كان يهتم اهتماما بالغا بالبحث عن كيفية اتصال الراوى بشيخه فى الحديث والبحث عن متن الحديث وهل هو موافق للسنة وما رواه الثقاة مما جعل طريقة البحث عند البخارى والوسائل التى اتبعها والمنهج الذى التزمه منهجا علميا ومقياسا دقيقا لم يسبق اليه ولم يلحق فيه وحتى كان ابو الحسن المقدسى يقول فى الرجل الذى يخرج عنه البخارى فى الصحيح « هذا جاز القنطرة » (5) .

من اجل ذلك كله لا يوجد كتاب فى الاسلام بعد كتاب الله العزيز اهتم به المسلمون اهتمامهم بالجامع الصحيح حفظا ودراسة وتعليقا وشرحا واستدراكا وترجمة الى غير ذلك من مظاهر العناية بكتاب الصحيح .

وقد آثرت ان اشارك العلماء واهل الحديث اهتمامهم وعنايتهم بكتاب الجامع الصحيح وادلى بدلوى فيه واربط نشاطى بنشاطهم وبحثى ببحثهم فى مجال اكتشاف اوجه عبقرية هذا الرائد العظيم فى كتابه الخالد الجامع واخترت ان ادرس موضوعا يتعلق برجال اسناده كما يتعلق بمتون احاديثه سواء فى اسانيده الرباعية أو متونه الرباعية وهو موضوع مبتكر جديد ندر من الف فيه أو بحث عنه من المحدثين والعلماء وقد قسمت هذا البحث الى ثلاثة اقسام :

1) رباعيات البخارى فى السند اى فى رواية الحديث أو الاسانيد الرباعية .

2) رباعيات البخارى فى المتن أو المتون الرباعية .

3) رباعيات البخارى فى وصيته .

رباعيات البخارى فى السند :

المقصود برباعيات الامام البخارى فى السند اى فى رواية الحديث او ما تسميه الاسانيد الرباعية ، هى الاحاديث التى تكون اسانيدها رباعية اى ان يكون بين البخارى اى قوله وبين حديث النبى صلى الله عليه وسلم اربعة رواة .

وذلك بأن يروى الحديث اربعة من الصحابة أو التابعين بعضهم عن بعض فى سند لمتن واحد .

مثاله « حديث الزهرى عن السائب بن يزيد » (1) عن حويطب بن عبد العزى (2) عن عبد الله بن السعدى (3) عن عمر بن الخطاب (4) مرفوعا . . ما جاء الله به من هذا المال من غير اسراف فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك » .

وكحديث البخارى (1) فى « كتاب الايمان » من باب « دعاؤكم ايمانكم » :

حدثنا عبيد الله بن موسى (1) قال : اخبرنا حنظلة بن ابى سفيان (2) عن عكرمة بن خالد (3) عن ابن عمر (4) رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

فهذان الحديثان الواردان فى صحيح الامام البخارى رواهما اربعة رجال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بين البخارى وبين النبى صلى الله عليه وسلم اربعة رواة .

واذا كان اطول اسانيد البخارى التساعيات فان اعلى ما للبخارى فى صحيحه الثلاثيات كما ذكر محمد ابن عبد الرحمان الكزبرى (6) .

---

(4) طبقات الشافعية ج 2 ص 7 .
(5) الامام البخارى محدثا وفقيها للدكتور الحسنيى ص 14 .
(6) فتح البارى لابن حجر .

اما ثلاثيات البخارى فقد درسها اهل الحديث واهتموا بها والفوا فيها وجمعوها واشهر من قام بذلك الحافظ ابن حجر .

وعمنا المحدث عبد الحى الكتانى والملا ابراهيم الكورانى وغيرهم من المحدثين .

اما رباعيات البخارى فى الجامع الصحيح فلا نجد من اهتم بها أو ألف فيها أو جمعها الا النادر القليل على عكس الامر فى الثلاثيات وقد ذكر حافظ المغرب محمد بن جعفر الكتانى فى الرسالة المستطرفة (7) ان لابى عبد الله البخارى رباعيات وقد شرحها (بعضهم) فى كتاب سماه « درر الدرارى فى شرح رباعيات البخارى » ولم يذكر مؤلفه بل عبر عنه وقد شرحها بعضهم بينما نجد حاجى خليفة فى « كشف الظنون » (8) ذكر الكتاب نفسه وسماه « درر الدرارى فى شرح رباعيات البخارى » أو « الدرر الدرارى » وسمى مؤلفه وهو احمد بن محمد الشامى الشافعى .

وقد أورد صاحب كشف الظنون بان أولها هو :

« الحمد لله الذى نزل احسن الحديث ، استخرجها من الجامع الصحيح مستمدا من شرح الكرمانى وتنقيح الزركشى مع زيادات » .

كما ذكر صاحب كشف الظنون رباعيات اخرى غير هذا الكتاب ولكنها لا تتعلق بكتاب الجامع الصحيح.

كما نجد كتابا آخر فى رباعيات البخارى جاء فى « فهرس الفهارس » (9) وهو كتاب « جناح الجناح بالعوالى الصحاح » ويسمى ايضا « لوامع اللآلى فى الاربعين العوالى » (10) للبرهان ابراهيم الكورانى المدنى المجدد على راس المائة الحادية عشرة للهجرة .

« وقد خرج الكورانى فى جناح الجناح اربعين حديثا من العوالى الصحاح وقدمها بمقدمات فى شرف اصحاب الحديث وطرق حديث من حفظ على امتى اربعين حديثا ثم اتى بالعشاريات السيوطية باسناده الموصل الى السيوطى ، ثم ترجمة البخارى وتفريع اسانيده اليه من طريق ابى ذر والمعمرين وغيرهم ثم ساق حديثا من رباعيات البخارى ، ثم اتى بخاتمة اشتملت على تنبيهات ساق فيها ثلاثيات البخارى ثم اتى بعشرين حديثا مسلسلا بالصوفية وهو فى نحو ثلاث كراريس مفيد جدا لطالب هذا الشأن اتمه سنة 1083 » (11) .

وقد ذكر عمنا سيدى عبد الحى الكتانى ان بمكتبه نسخة من هذا الكتاب المخطوط اخذت من النسخة التى ارسلها المؤلف هدية الى الشيخين عبد الرحمان ومحمد ابنى عبد القادر الفاسى الا اننى لما بحثت عنها بين كتبه بالمكتبة العامة لم اعثر لها على اثر للاسف الشديد .

ونجد للبخارى ايضا نوعا من الرباعيات فى رواية الحديث ملحقة بالثلاثيات (12) وهى حديثان فقط :

وذلك أن يروى الحديث تابعى عن تابعى عن الصحابى أو صحابى عن صحابى فيحسب التابعيان أو الصحابيان فى درجة واحدة فهما اثنان فى حكم الواحد فلذا كان منهم راو أخذ عنه المؤلف يقال فيه رباعى فى حكم الثلاثى ، وهذا السند يكون مشتملا على اربعة رجال منهم صحابيان او تابعيان فيكون من حيث العدد رباعيا ومن حيث النوع ملحقا بالثلاثى ولا نجد غير هذين الكتابين المذكورين آنفا فيما يتعلق برباعيات البخارى من حيث السند اى كتاب آخر يتعلق بها او يهتم بها على ان الكتابين المذكورين نفسهما لم نعثر على أى واحد منهما بمكتباتنا العامة او الخاصة بعد طول التتبع والتنقيب .

هذا وقد تصديت بالبحث والاستقصاء والتتبع والدراسة الجامع الصحيح كى أجرد رباعيات البخارى من حيث الرواية وقمت جمعها كى يكون لى فضل جمعها

---

(7) الرسالة المستطرفة ص 98 .
(8) كشف الظنون لحاجى خليفة ج 1 ص 832 .
(9) فهرس الفهارس للشيخ عبد الحى الكتانى ج 1 ص 229 و 368 و 372 .
(10) اصلى مسانيد على الرحمان فى اعلى اسانيد على بن سليمان للبرجموعى الدمناتى ص 20 .
(11) فهرس الفهارس ج 1 ص 229 و 230 .
(12) الرسالة المستطرفة ص 98 و 99 .

ونشرها واستخراجها والتصنيف فيها ، لذا اطلت قراءة البخارى ودراسته وتكررت تلك القراءة والمراجعة ؛ وكلما اعدت القراءة والمراجعة اكتشفت رباعية جديدة ولذلك رجعت الى نسخ كثيرة من الجامع الصحيح قديمها وحديثها فى اثناء دراستى الطويلة للجامع ، غير انى اعتمدت فى تجريد الرباعيات وتخريجها على شرح الكرمانى لصحيح البخارى وهو المسمى « الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى » .

الطبعة الاولى منه بمصر سنة 1351 وذلك لكونها مضبوطة ومشكولة ولكونها اسهل عن غيرها من حيث البحث والقراءة والدرس والاستقصاء .



الـــــروح والإشــــراق

للاستــــاذ محمــــد حمــــادى العزيــــز

الاشراق والاشعاع والاضاءة والانارة كلمات لها معنى واحد لمفهوم واحد هو اصدار النور .

والشيء الذى يشرق ويشع ويضيء وينير يمتلك طاقة حرارية نورية تساعده على الاشراق والاشعـــاع والاضاءة والانـــارة .

فالشمس مثلا تشرق لانها تملك طاقة حرارية نورية ذاتية تساعدها على الاشراق والاشعاع والاضاءة والانارة بصورة دائمـــة .

والقمر يضيء وينير لانه يستمد طاقة حرارية نورية من الشمس ويعكس عكسا اشعاعيا .

والمصباح ـ أى مصباح ـ هو الآخر يضيء وينير عند ما يكون مخزونه من الوقود والطاقة الحراريـــة النورية الاخرى كافيا ويساعده على الاضاءة والانارة حتى اذا ما انتهى مخزونه أو توقف، توقف هو أيضا عن اصدار الضـــوء والنـــور .

فاستمرار عمليات الاشراق والاشعاع والاضاءة والانارة تتطلب استمرار مخزون الوقـــود او الطاقـــة الحرارية النوريـــة الاخـــرى .

وتستحيل عمليات الاشراق والاشعاع والاضاءة والانارة بفقدان الوقود أو الطاقة الحرارية النورية .

هذا هو الاشراق وهذه هـــى عمليـــات الاشراق [و]الاشـعاع والاضاءة والانارة بالمفهوم الفيزيقى (الطبيعى) [ك]ما نعرفها ونشاهدها فى حياتنا اليومية .

فالاشراق ، اذن ، اصبح عندنـــا الآن واضحا [و]معروفا فيزيقيا ، بهذه الامثلة البسيطة المذكورة .

وتستعمار كلمات الاشراق والاشعـــاع والاضاءة [و]الانارة أحيانا لاستخدامها استخداما ميتافيزيقيا للتعبير [ع]ن مفاهيم روحية ومعنوية وعقلية وثقافية .

والاشراق بالمفهوم الميتافيزيقى هو الذى يهمنـــا [ه]نا فى هذا الموضوع الروحى والعقلى لعلاقته الوثيقة [ب]روح كل انسان منا .

ويتطلب الاشراق الميتافيزيقى (الروحى والعقلى) هو الآخر بدوره ما يتطلبه الاشراق بالمفهوم الفيزيقى (الطبيعى والمادى) من ضرورة وجود مخزون للوقود أو الطاقة الحرارية النورية الذاتية أو المستمدة مـــن موجودات أخرى لامكان القيام بعمليـــات الاشعـــاع والاضاءة والانارة الروحية والعقلية والمعنوية والثقافية.

واذا كان مخزون الوقود او الطاقـــة الحراريـــة النورية فى الاشراق الفيزيقى فيزيقيا (طبيعيا وماديا) فانه بالنسبة للاشراق الميتافيزيقى (الروحى والعقلى) يكون ميتافيزيقيا (روحيا وعقليا ومعنويا وثقافيا) .

ـ فما هو سر هذا المخزون الميتافيزيقى للوقود

او الطاقة الحرارية النورية الضرورى جدا للاشراق الروحى والعقلى ؟

والجواب على هذا السؤال معلوم يعرفه القارىء، وهو بكل بداهة ودونما حاجة الى التفكير العميق :

ـ الايمان بالله الخالق وبدينه الحنيف ، وحبه ، والتعلق به ، والتشوق الدائم اليه !

وللروح دور اصلى اساسى ومهم فى هذا الاشراق الميتافيزيقى لانه اولا واخيرا اشراقها : منها واليها ، بها ولها .

فهى ، كما هو معروف ، من امر الله الخالق ، وترتبط به ارتباطا وثيقا ، وهى رسوله الميتافيزيقى (الغيبى الباطنى) فى الانسان المؤمن المسلم .

وهى تستمد من الله الخالق بواسطة هذا الارتباط الوثيق والمباشر استمرارية مخزونها الميتافيزيقى لوقودها او طاقتها الحرارية النورية وابديتها التى تمكنها من الاشراق والاشعاع والاضاءة والانارة .

وكلما زاد ايمانها وقوى تضاعف مخزونها الميتافيزيقى (الغيبى الباطنى) لوقودها او طاقاتها الحرارية النورية .

وكلما صفت وتطهرت وزكت واطمأنت زاد نورها وقوى وتضاعف .

والايمان نور ، وهو من الله !

والله الخالق نور !

وفى هذا يقول عز وجل فى القرآن الكريم :

« الله نور السموات والارض .. الآية » (1) .

والروح من امر الله الخالق ، وقريبة منه ما دامت مؤمنة مسلمة ، وتحظى برضوانه .

فهى ، كما نراها ، تستمد نورها من نور الله .

وفى هذا يقول الله الخالق فى القرآن الكريم :

« يهدى الله لنوره من يشاء » (2) .

« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »(3).

فالله الخالق هو المعين المباشر الذى تستمد منه الروح المؤمنة المسلمة نورها .

والايمان بالله وبدينه الحنيف هو سبيلها وصراطها ووسيلتها الى استمدادها هذا النور الذى يتجلى فى اشراقها واشعاعها واضاءتها وانارتها .

وعليه ، فاشراق الروح المؤمنة المسلمة من اشراق الله الخالق !

وبعبارة اخرى :

ان الاشراق الميتافيزيقى (الغيبى الباطنى) الروحى والعقلى من الاشراق الالهى المطلق اللانهائى واللامحدود !

هذا هو الاشراق بالنسبة للروح المؤمنة المسلمة التى تكون روحا نورانية ربانية عليا .

اما بالنسبة للروح الكافرة فانها تفقد اشراقها لكفرها بالله الخالق ، وابتعادها عنه ، وتصبح روحا قاتمة مظلمة سفلى .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا » (4) .

« او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض » (5).

وتؤكد لنا الآيتان الكريمتان اهمية الايمان بالله وبدينه الحنيف كشرط اصلى واساسى للاشراق الميتافيزيقى (الغيبى والباطنى) للروح !

* * *

والقرآن الكريم ، كتاب الله الخالق ، روح ونور لانه يهدى الارواح الى الايمان بالله وبدينه الحنيف ، ويطهرها ، ويصفيها ، ويزكيها .

ونور القرآن الكريم من نور الله الخالق ، وروحه من روحه الالهية الازلية السرمدية .

ولهذا يشعر القارىء والسامع بروحانية كلماته وآياته تسرى فى روحيهما ، وبنورانيته تشرق فى أعماقهما ، وتشع فيهما فيستجيبان لمعانيها الدقيقة ، ولمفاهيمها العالية الراقية .

---

(1) الآيــة 35 من سورة النــور .
(2) الآيــة 35 من سورة النــور .
(3) الآيــة 40 من سورة النــور .
(4) الآيــة 39 من سورة النــور .

وحقيقة هذه الاستجابة هى ان روح الله الخالق بواسطة القرآن الكريم تخاطب الارواح تدعوها للايمان والتدين ، وتسرى فيها .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور ، والله بكم لرءوف رحيم » (6).

وفى حياة ما بعد الموت تعرف أرواح المؤمنين بالنور وارواح الكافرين بالسواد .

ويوم القيامة اثناء البعث والحساب والجزاء يكون النور علامة المؤمن الذى يفوز بالجنة أما السواد فيكون علامة الكافر الذى يعاقب بالجحيم .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » (7) .

ويقول سبحانه وتعالى فى حق اهل الايمان والكافرين فى القرآن الكريم :

« والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ، والذين كفروا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم » (8) .

فالايمان بالله وبدينه الحنيف نور ، وجزاؤه نور وجنات !

اما الكفر فظلام وسواد وعقابه نار الجحيم !

والايمان ينبوع النور والاشراق !

ومن لا ايمان له لا نور له !

ومن لا نور له لا اشراق له !

وهكذا نجد أنفسنا وجها لوجه امام حقيقة الاشراق !

ان الذى يشرق ، اذن ، هو الايمان بالله وبدينه الحنيف داخل اعماق الانسان الميتافيزيقية (الباطنية) اى روحه ، أو نفسه ، أو عقله !

(6) الآية 9 من سورة الحديد .
(7) الآية 12 من سورة الحديد .
(8) الآية 19 من سورة الحديد .

وباشراق نور الايمان بالله وبدينه الحنيف فى اعماق الانسان الميتافيزيقية (روحه أو نفسه أو عقله ، تستمد قدرتها الاشراقية الاشعاعية ، وتصبح مشرقة ومشعة تصدر الاشراق والاشعاع الى ما حولها !

فروح الانسان عند التمثيل كالقمر سواء بسواء.

القمر يستمد نوره من الشمس فيغدو مشرقا مشعا ، ويعكس هذا النور الى ما حوله .

اما هو فلا نور له ، وانما له قابلية استمداد النور من الشمس والاشراق والاشعاع .

وروح الانسان تستمد نورها من نور الله بواسطة الايمان به وبدينه ، وتصبح مشرقة ومشعة ذات اشراق واشعاع ، وتأخذ فى عكس هذا الاشراق وبث اشعاعه بحكم مسؤوليتها فى تبليغ امانة الايمان بالله وبدينه الحنيف !

ويؤكد لنا الاشراق ، كما نرى ، قيمة الايمان بالله وبدينه الحنيف لانه هو النور الذى يتوقف عليه اشراق الروح واشعاعها والا ظلت مظلمة سوداء معتمة شأنها شأن القمر اذا غابت عنه اشعة الشمس .

* * *

وعند دراسة الاشراق الميتافيزيقى (الغيبى الباطنى) نجد امامنا هذين النوعين البارزين :

ـ الاشراق الروحى : (الدينى والصوفى)

ـ الاشراق العقلى : (الفلسفى والعلمى والشعرى) .

ويتحد النوعان غالبا فيتكون من اتحادهما ما يمكن أن نسميه بالاسماء الآتية :

ـ الاشراق الصوفى الفلسفى : كما هو الشأن عند الامام الغزالى ومحيى الدين بن عربى الحاتمى ، وأبى بكر ابن طفيل .

ـ الاشراق الصوفى العلمى : كما هو الشأن عند ابن رشد .

- الاشراق الصوفى الشعرى : كما هو الشأن عند ابن الفارض .

ويكون الاشراق الروحى احيانا دينيا صوفيا صرفا كما هو الشأن عند مولانا عبد السلام بن مشيش العلمي وسيدنا ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما وغيرهما . .

ولعل اروع امثلة الاشراق الروحى الدينى الصوفى الصرف او الصوفى الفلسفى هى تلك التى يقدمها لنا اولئك الاميون الذين لم يعرفوا فى حياتهم مدرسة ولا دراسة منظمة ، واصبحوا بفضل عباداتهم ومجاهداتهم (اى جهادهم النفسى) ، وتأملاتهم الباطنية العميقة فى الوجود والكون والحياة مستنيرين وعلماء اجلاء وفلاسفة كبارا لهم تعاليمهم ومذاهبهم ، ولآرائهم قوة روحية وعقلية وعلمية يستشهد بها ، ولهم فوق كل هذا شهرتهم كاعلام بارزة بروز القمم فى اعالى الجبال الشاهقة .

وهذه الامثلة جديرة بالدراسة لاهميتها الموضوعية بالنسبة لبحث موضوع الاشراق الروحى الدينى الصوفى الصرف ، والاشراق الروحى الصوفى الفلسفى .

واول مثال عظيم للاشراقيين الكبار سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام .

هذا المراهق ابن النجار صانع الاصنام والتماثيل المولود فى مدينة «أور» عاصمة سومر (العراق) رفض عبادة ابيه وقومه ، وحطم اصنامهم ، وحكموا عليه بالحرق فى نيران اعدت لذلك ، ونجاه الله الخالق ، واخذ بعد ذلك يتأمل النجوم والقمر والشمس فى السماء الزرقاء اللامتناهية اللامحدودة باحثا فيها عن الاه حق حتى تجلى له الله الخالق بالوحى فاصبح مؤمنا حنيفا، ونبيا ورسولا من اولى العزم (9) .

لقد هداه الالهام الباطنى فى البداية وحفزه الى رفض عبادة الاصنام ثم وجهه بعد ذلك الى التأمل .

واثناء التأمل الفكرى العميق كان فكره يتطلع الى الاعلى لاستجلاء المعرفة الحقة مشتاقا الى تبين سرها فاستجاب الله الخالق لرغبته وتجلى له بوحيه . .

وهذا المثل العظيم للاشراقيين الكبار يعيد نفسه عند سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : رفض عبادة ما كان يعبده قومه من اصنام واوثان ، وتسامى عن اعرافهم وتقاليدهم الفاحشة ، وتخلق بالاخلاق الحميدة ، وكان مثالا فذا فى الامانة !

وكان يقصد غار حراء للتحنث والتأمل

كان يتطلع اثناء تأمله الفكرى الى الاعلى لاستجلاء المعرفة الحقة مشتاقا ايضا الى تبين سرها فاستجاب له الله الخالق مثلما استجاب لاسلافه الانبياء والرسل من قبله ، وتجلى له ، مثلهم ، بالوحى .

وصار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : مؤمنا مسلما نبيا ورسولا من اولى العزم ، وخاتما للانبياء والرسل .

هذان مثلان لشخصيتين تاريخيتين فى الاشراقيين عند الانبياء والرسل .

واذا كان هناك ما يوضحانه لنا هذان المثالان فهو ان الاشراق الروحى قديم قدم الوجود الانسانى على كوكبنا الارضى .

والاصل فى الاشراق الروحى انه دينى صوفى (الهى) يتجه من الانسان الملهم الهاما غيبيا باطنيا ، فى كل زمان ومكان ، نحو الاعلى لتلقى المعرفة الحقة ، واستجلاء حقيقة الاله الحق ، خالق الوجود والكون والحياة ، ورب العالمين وسائر المخلوقات والموجودات ، وبعد ان يتجلى له الله الخالق ، ويغدو مؤمنا مسلما حنيفا ، ويرتبط به برباط العبادة الخالصة والحب الصادق يتطور الاشراق الى علم لدنى يلقيه الله عز وجل اليه بعد اصطفائه وارتضائه ، عقب عمليات الجهاد النفسى (المجاهدة) ، بشتى الوسائل الالهية القاء باطنيا بواسطة احد الطريقين : العقل (الراس) او القلب (الصدر) او بواسطتهما معا .

واذن ، فى البداية كان الاشراق الروحى الدينى الصوفى (الالهى) وبعده جاء الاشراق الروحى العقلى (الفلسفى الايمانى) ؛ لان الفلسفة جاءت بعد دين الله الحنيف ، وانبثقت منه انبثاقا مباشرا فى الاصل ثم اصبح بعد ذلك انبثاقا غير مباشر لنزوعها الى الاستقلال عنه استقلالا تاما او شبه تام بالتدريج .

(9) الآيات 74 ، 75 ، 76 ، 78 ، 79 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ، من سورة الانعام فى القرآن الكريم .

والفلسفة التى تهمنا فى موضوع الاشراق الروحى
عقلى (الفلسفى الايمانى) ،هى الفلسفة المؤمنة وحدها
نط لان الاشراق كنور ، كما هو معلوم ، شرطه
ينبوعه الايمان بالله الخالق وبدينه الحنيف ، ولا نور
ون ايمان ، ولا اشراق بدون نور !

واذا كانت الروح فى الاشراق الروحى الدينى
صوفى هى الوسيلة الاصلية والاساسية لتلقى المعرفة
واسطة الالهام (الغيبى الباطنى) ، وبواسطة الوحى
عند الانبياء والرسل) ، وبواسطة التلقى اللدنى (عند
صوفيين والعباد والفلاسفة الصوفيين ومن يصطفيهم
له الخالق ويرتضيهم من الاتقياء والصالحين) فان
عقل هو الوسيلة الاساسية فى البحث عن المعرفة
واسطة الدرس والتأمل انطلاقا من معطيات معلومة
صد استجلاء غايات علمية واكتشافها ، وتوضيحها .

والعقل اسم من اسماء الروح .

ويعنى هذا أن العقل كوسيلة اساسية فى البحث
ن المعرفة انما يعتبر مظهرا فعالا من مظاهر نشاط
لروح اثناء اجتهادها لتلقى المعرفة الحقة بكيفية تأملية
تجريبية بينة واضحة لتيسير أسباب الاقتناع وتسهيل
ساليب الاقناع بعد ذلك .

اننا هنا أمام تجربة من تجارب « التعلم الذاتى »
واسطة التأمل والتفكير العميق المتدعم على الايمان
الله ، والتقوى ، والرغبة الاكيدة الجازمة فى التحرر
التخلص « مما هو مادى » صرف فى الحياة الدنيا ،
التوق العارم بشوق قوى متزايد الى كل « ما هو
وحى » فى العالم الروحى فى الحياة الآخرة بعد الموت .

والاشراق الروحى الدينى الصوفى الصرف
الالهى) اذا لم يكن وحيا ونبوة ورسالة خاصة لامة
عينة من الامم أو رسالة شاملة عامة للعالمين كافة فانه
كون فى الغالب تجربة شخصية ذاتية باطنية ، لها
تبة الولاية ، ويومر مجربها بكتمان سرها كتمانا تاما
لا يتهم بتهمة الزندقة او بتهمة ادعاء النبوة او بغيرهما
ن التهم ، ويعاقب عقابا شرعيا كما حدث للحلاج فى
غداد ولشهاب الدين يحيى السهر وردى فى حلب .

ويعتبر التلقى الباطنى للعلم اللدنى فضلا عظيما
ن به الله الخالق على الانسان المؤمن المسلم العابد
صالح الفاضل .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« وعلمناه من لدنا علما » (10) .

العلم اللدنى هو العلم الذى يتلقاه الانسان المؤمن العابد الصالح الفاضل تلقيا باطنيا مباشرا من لدن الله الخالق ، ويؤمر بكتمانه ، وينتفع به فيما اراده الله تعالى .

اما الاشراق الروحى العقلى (الفلسفى) فانه تجربة عقلية وروحية ظاهرة مفتوحة وشاملة ينتفع بهما كل من يهمه أمرها ، ويبتغى نفعها .

والعقل يأتى بالبراهين والاسانيد ، ويناقش الحجج بالحجج ، ويقرع الادلة بالادلة ويحاور حوارا حضوريا مباشرا او غير مباشر .

وهو ، بطبيعته هذه ، يعتبر وسيلة ظاهرة ، مفتوحة ومنطقية للاقناع والاقتناع ، ولذلك فان تأثيره فى النفع والاستفادة اشمل واعمق واقوى من تأثير التجربة الباطنية الذاتية الشخصية « المسدودة » التى لا ترى ويصعب تصديقها .

والانسان مجبول على تصديق ما يرى ، وما هو معقول ، وما هو منطقى يقنعه ويقتنع به .

هذه الاسباب هى التى جعلت العقل يضطلع بأعباء المسؤوليات الروحية والعقلية والثقافية والعمرانية فى الحياة الانسانية على كوكبنا الارضى قبل الموت فى هذه الدنيا .

وعند ما يرتقى الاشراق العقلى (الفلسفى) ارتقاء عاليا يتعانق مع الاشراق الروحى الدينى الصوفى (الالهى) ويمتزجان امتزاجا التحاميا ويصبحان اشراقا روحيا دينيا صوفيا فلسفيا .

ويؤكد لنا هذا ان العقل ، كاسم للروح فى مرحلة من مراحل تطهرها وتصفيتها وتزكيتها ، يرتقى ويصبح روحا عند اجتيازه جميع مراحل التطهر والتصفية والتزكية الضرورية .

واذا تمعنا الاشراقيين الروحيين : الاشراق الدينى الصوفى الصرف (الالهى) والاشراق الروحى العقلى (الفلسفى) تمعنا فاحصا عميقا يتضح لنا انهما يشتركان فى عناصر معينة ، هى :

(10) الآية 65 ...

— هداية الله الخالق .

— الالهام (الغيبى الباطنى)

— التأمل .

— الميل الى التحنف والفضيلة .

— البعد عن الرذيلة والاعراف والتقاليد الفاحشة.

— التجلى الالهى (فى حالة الوحى عند الانبياء والرسل ، وفى حالة الفتح الربانى عند الاشراقيين الآخرين) .

— اتساع آفاق الرؤية العقلية اثناء التأمل الفكرى (الفلسفى) واتضاح معالم المعرفة الحقة ، ووصول العقل الى تبين حقيقة الله الخالق والايمان به وبدينه الحنيف .

— العبادة الصادقة .

واذا كان الله الخالق يتجلى فى الاشراق الروحى الدينى الصوفى الصرف (الالهى) لمن يصطفى من عباده تجليا مباشرا (كما هو الشأن فى قضية تكليمه عز وجل لنبيه سيدنا موسى) أو بواسطة ملائكته (كما هو الشأن فى قضايا الانبياء والرسل الآخرين) فانه فى الاشراق الروحى العقلى (الفلسفى) يتجلى تجليا غير مباشر بواسطة الالهام ، واللطف ، والتوفيق ، والهداية وغيرها من نعم القربى التى يهبها من يشاء ، ذلك لان العقل هو الذى يبحث حتى يصل الى ايقان جازم خالص ، ويؤمن ، ويزداد ايمانا صادقا ، وكلما زاد ايمانه جزما وصدقا ازداد قربا من الخالق البارىء ، وازداد فهما لنعم لطف الله ، وازداد ادراكا لفضله ومننه .

ويتطلب الاشراق الروحى الحقيقى الكامل الكامل العمل الروحى الدينى الصوفى والعمل العقلى (الفلسفى) للوصول الى المعرفة الحقة ، لان العقل كان منذ وجوده الوسيلة المنطقية للعلم والمعرفة واليقين .

واذا حصل هذا فان الانسان المؤمن المسلم العابد الصالح يكون قد وصل أعلى مرتبة من الاشراق الروحى وارفعها .

(11) الآية 269 من سورة البقرة .

ولعل هذه المرتبة العالية الرفيعة من الاشراق الروحى هى التى قال الله تعالى فى حقها فى القرآن الكريم :

« يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا » (11) .

والاشراق الروحى مرتبط بالايمان بالله الخالق وبدينه الحنيف وبعبادته عبادة صادقة ، وبالسلوك سلوكا اخلاقيا فاضلا ، وبالتأمل الفكرى العميق فى الوجود والكون والحياة والروح والمصير بعد الموت وغير هذا من القضايا الروحية التى تهم الانسان .

هذه هى مهمة الاشراق الروحى .

انها مهمة يقوم بممارستها الانسان المؤمن المسلم الصالح الفاضل العابد لله عبادة صادقة فى كل زمان ومكان .

والانسان يستمر فى الوجود فى كل زمان ومكان الى ما شاء له الله .

وما دام الانسان موجودا فى كل زمان ومكان الى ما شاء له الله فان الاشراق الروحى يستمر بدوره موجودا .

وعليه ، فما دام الاشراق الروحى قديم قد

الوجود الانسانى على كوكبنا الارضى فانه باق أيضا ببقاء الانسان المؤمن المسلم الصالح الفاضل العابد الى ما شاء الله حتى يرثه الله وكوكبه الارضى .

والاشراق الروحى قبل الموت فى الحياة الدنيا يستمر بعده باستمرار الحياة فى الآخرة ، لان المعرفة الروحية خالدة ، لا نهائية ولا محدودة ، ما دام الايمان بالله الخالق وبدينه الحنيف خالدا وأبديا ودائما ، وما دامت عبادته عبادة خالدة ابدية ودائما ايضا .

وكلما وصل الانسان الى تحقيق غاية من غايات المعرفة الروحية تاقت روحه الى غايات اخرى .

وكلما أشرق نوره طمحت روحه الى زيادة اتمام وكماله .

وفى هذا يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« يقـولون ربنـا اتمم لنا نورنـا واغفر لنـا ك على كل شيء قدير » (12) .

وبقدر ما اقترب الانسان المؤمن المسلم الفاضل صالح العابد من الله الخالق ازداد تعلقـه بـه ، اشتياقه اليه ، ويزداد اشراقه الروحى .

ــ ولمـاذا ؟

ــ لان روح الانسان نفحة من روح الله ، وقبس ن نوره الالهى ، اى بعبارة اخرى ، روح الله هـى لاصل ، وروح الانسان الفرع ، وروح الله مطلقة جلال والجبروت والتعالى والاشراق والاشعـاع ، روح الانسان جزئية فى اشراقها واشعاعها ولذلك فهى لما ارتقت فى معارفها ومكتسباتها الروحية تاقت الى لمزيد ، وطمحت الى الحصول على الاكثر ، وهـذا ــ ولا ريب ــ طموح محمود فى نشدان الكمال الممكن من الارتقاء الروحى .

ومهما كان اقترابه من الخالق ، ومهما ازداد شراقه الروحى فان الله هو الخالق المتعال الازلى سرمدى المطلق القدرة والارادة والعلم والمعرفة ذو نور الالهى المطلق الاشراق .

* * *

ان دراسة موضوع الاشراق الروحى تبين لنا الروح نور مشرق ذو اشعاع عند ما تكون مؤمنة سلمة ، وان الانسان المؤمن المسلم الصالح العابد لفاضل العابد نور وان كان يبدو فى الحياة اليوميـة سما عاديا مثل سائر الاجسام .

وقيمة الانسان بعد الموت فى الحياة تقاس بقدرة شراقه الروحى اى بقدر ما يصدر من روحه من نور هاج اى بقدر ايمانه بالله الخالق وبقدر محبته له

وكلما زاد النور اشراقا واشعاعا ولمعانا كلما كانت مرتبة الروح عالية ورفيعة .

ان النور هو علامة الايمان والفوز والسعادة فى الحياة الآخرة بعد الموت .

ولكن هذا النور الرفيع له ثمنه الغالى ايضا فى الحياة الدنيا قبل الموت .

ان ثمنه هو الايمان بالله ، وبدينـه الحنيف ، وعبادة الله حق عبادته ، والالتزام بالفضيلة والتحلى بمكارم الاخلاق ، واجتناب ما امر الله الخالق باجتنابه، وحب الله ــ والسبيل معروف وواضح .

والاشراق الروحى فى متناول كل انسان شرط أن يعمل على استيفاء الشروط المطلوبة المذكورة .

وبعد هذا فان موضوع الاشراق الروحى اصبح واضحا تمام الوضوح ، وأصبحت غايته وهى غايـة روحية نورانية عليا جلية جلاء بينا !

والقرآن الكريم ، كتاب الله الخالق ، هو معين الاشراق الروحى الاصلـى للانسان المؤمـن المسلم الصالح الفاضل العابد .

وبعده حديث رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وينال كل انسان حسب اجتهاده وسعيه وكدحه نصيبه وحظه الاوفى من فضل الله ..

« وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيـم » (13) .

ومن الافضل لمن يريد حياة اشراقية روحية ، نظرية وعملية ، سعيدة وهانئة مطمئنـة ان يأخـذ الاشراق الروحى فى القرآن الكريم وحديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو الاخذ (التعليم) المباشر.

أما اخذ الاشراق عن طريق دراسة آثار رواده الكبار فى الفكر الاسلامى العربى وهو الاخذ (التعليم) غير المباشر فانه يتطلب وقتا طويلا ، وبحثا عميقا ، وجهدا كبيرا .

---

(12) الآيـة 8 من سورة التحريم

(13) الآيـة 35 مـن سورة فصلت

ويتطلب الوصول الى النتيجة المطلوبة التوبة ، والتقوى ، والاقتداء بالسلوك القرآنـــى ، والسلـــوك المحمدى ، وبذل جهد باطنى ذاتى ، والالتزام بالصفاء الباطنى والظاهرى ·

ان الدراســات العقلية (الصوفية الفلسفية) تعد متعة وسعادة للروح ، وتفيد كثيرا فى الحصول على معرفة روحية واسعة وعميقة ·

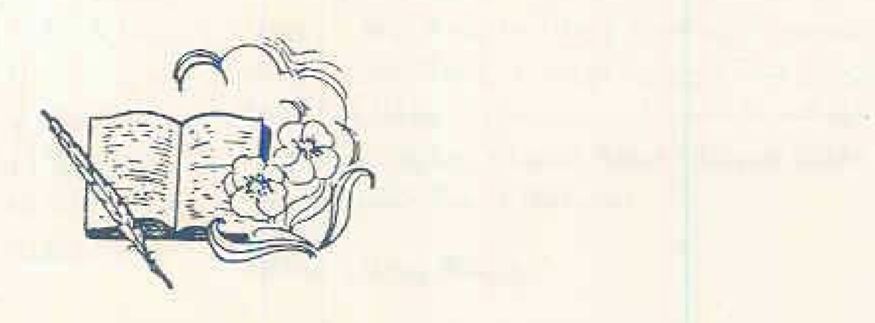
ومهما يكن من امر فان المعرفة الروحية ضرورية جدا للانفتاح الاشراقى الواعى على آفاق عالم الروح ، وللاحاطة بأسرار واسباب صفائها وتزكيتها واسعادها احاطـــة حقـــة .

ودراسة الاشراق فى الفكر الاسلامى العربـــى موضوع آخر مستقل ليس مكانه هنا ·

وتوضح لنا دراسة الفكر الاسلامى العربى ان الانسان المؤمن المسلم فى المجتمعات الاسلامية العريقة اهتم بالروح ، ودرسها ، وبحثها ، ودون آراءه فيها ، وخلد تراثا روحيا عظيما يطلب من الاجيال الصاعدة نفض الغبار عنه ، وبعثه من جديد فى حلـــل انيقـــة حديثة وقشيبة !

ان الجوهر الاصلى الاصيل يستمر ويبقى امـــا المفاهيم فانها تتبدل فى كل زمان ومكان حسب المؤثرات المجتمعية المتنوعة والمتعددة التى تسود ·

والعلم الحق لله الخالق .



شمولية الفقه الإسلامي

للأستاذ الحاج أحمد البوعياشي

لو لم يستدبر جيلنا ما استقبلته اجيال اجدادنا من الاعتناء بالفقه الاسلامي ، لما كانت لنا مندوحة ، ان نعنون هذا البحث بالشمولية ، لانه من ذلك العهد لم تكن حاجة لاثارة الاهتمام بهذه الشمولية ، لانها كانت واقع الحياة ، بل كانت بلغت الى افتراض قضايا وهمية ، عينت لها احكام تقديرية لو حدثت .

اما وقد ابتعدت الشقة ما بين المصادر التشريعية الاسلامية ، وبين السيل الجارف من القوانين الوضعية المقتبسة من غيرنا ، فان العنوان فرض نفسه ، وعلى الاقطار الاسلامية ان تعيد النظر فى تقييم التراث الزاخر ، والاعتناء بتبويبه واختيار الاصلح فى كل آرائه ، ومزجه بالنظريات الحديثة التى لا تصادم التشريع الاسلامى ، وذلك من السهولة ، اذا جندت العزائم ، لثراء المادة الاصلية بالكثرة الكاثرة ، بما فيها القواعد الشمولية ، التى انبنى عليها التشريع الاسلامى ، استيعابا للحياة العامة ، وحفاظا على الاخلاق الطبيعية .

وفيها يكمن الجواب عن السؤال الذى يشغل البال ، وهو هل الفقه الاسلامى يساير التطور ، ويستوعب قضايا الحياة من دون أن يعرقلها اقتصاديا على الاقل .

وهذا السؤال يتراءى واضحا من خلال مواد القوانين المقتبسة عن القانون الاوربى ، وبالضبط من القانون الفرنسى ، اذ وضعت مرتبة الفقه الاسلامى فى القائمة الثالثة ، فقد جاء فى المادة الاولى من القانونين المدنيين : المصرى والسورى « انه اذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه حكم القاضى بمقتضى العرف ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم توجد فبمقتضى القانون الطبيعى وقواعد العدالة » .

فوضع مبادىء الشريعة الاسلامية فى هذه المادة على هامش القوانين المطبقة ، هو الذى أوحى بهذا السؤال المحير .

ولاجل ازالة الحيرة ، لا بد لنا من مسايرة تدوين التشريع الاسلامى فى عهده الاول ، ثم القاء نظرة عن تطوره ، باعتناء فقهاء التشريع الذين زخر بهم المحيط الاسلامى ، فأوسعوه تنقيبا وتنويعا ، حتى شمل العرف المحكم ، الذى اعطى له المشرع الاسلامى الرسمى بالمغرب درجة الاعتبار ، موازية للراجح والمشهور من اقوال أئمة المذهب ، واعتمده رسميا بوصفه له صلاحية تقرير الزام القوانين ، لحماية الحقوق الطبيعية للامة ، التى هى سلطة العدالة الاجتماعية .

المذاهب وتدوين التشريع :

الواقع ان تدوين التشريع عموما ، بلغ درجته المتقنة ، باعتناء اصحاب المذاهب الاربعة : مالك ابن انس امام دار الهجرة ، ومحمد بن ادريس الشافعى القرشى ، وابى حنيفة النعمان بن ثابت ، وأبى عبد الله احمد بن حنبل ، وهؤلاء الاربعة يعتبرون اساطين التشريع الاسلامى ، الذين استنبطوا احكاما تساير التطور البشرى ، فقد خلفوا تراثا مهما بما قاموا به من تتبع المصادر التشريعية الاصلية المنبعية ووسعوا شموليتها للاقضية ، واستنبطوا لها احكاما لا تتضارب واصولها ، وكان لهم فى الاجتهاد والقياس باع طويل فاذا كانت احكام العبادات مروية بحرفيتها لا تقبل التاويل ، لانها تعبدية ، ولا مجال للتفكير فى تحويرها

بادخال تحسينات عليها ، فان المعاملات والجنايات وغيرها مما تحدث قد وجدت تفهما عند هؤلاء الاساطين . وقد استعملوا جهد الامكان الفكر والتنقيب ، للتوصل الى نتائج حسنة مفيدة ، كانت حتمية لاستعمال الطاقة العقلية لغاية هى ضرورية للحياة البشرية .

وهذا التوسع فى احداث احكام للاقضية ، قد جاء عن رسول الله (صلعم) فى جملة عامة سليمة وهو قوله (صلعم) « أنتم اعلم بشؤون دنياكم » (1) .

وهذه الجملة صريحة فى التفكير لوضع تشريع يحدد قواعد لامور الدنيا ، وهذه القواعد قد حرص الائمة الاربعة المذكورون ان يرجعوها الى قواعد ثابتة ، فمنها الاجتهاد (2) والقياس (3) كما اشرنا ، ومنها قواعد اخرى اخذ كل واحد منهم منحى فيها يتلاءم مع مشربه فى التفكير ، وقد ينشأ عن ذلك خلاف فى آرائهم ولكن كل ذلك لغاية اجتهادية لها محاسنها فى توسيع دائرة التشريع ، فقد عثر هؤلاء الائمة على مصادر اخرى للتشريع ، وضعوها اساسا للاحكام ، حسب مشرب كل واحد منهم ، فكان من ذلك مثلا :

1 ــ الاستحسان :

فالاستحسان هذا طريق من طرق الاجتهاد بالراى من دون الرجوع الى النصوص المتقدمة ، القرآن والسنة والاجماع والقياس ، وقد اعتمده الحنفية (4)، وهو عبارة عن اتباع الشىء الحسن من الحسيات والمعنويات ، وقد عرفه الاصوليون ، بأنه ترجيح دليل على دليل يعارضه بمرجح معتبر شرعا ، وهو اما ان يكون عدولا عن قياس ظاهر الى قياس خفى (5) ، وذلك مثل قولهم لا تدخل فى وقف الاراضى الزراعية حقوقها المجردة دون ذكرها قياسا ، ولكنها تدخل استحسانا ، فالقياس الظاهرى يقتضى قياس المسألة على عقد البيع ، والخفى يقتضى قياس المسألة ، على الاجارة التى الغرض منها الانتفاع من الرقبة ، واما ان يكون عدولا عن نص عام الى نص خاص ، كتخصيص السارق فى عام المجاعة بعدم القطع ، من قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » بنص قوله تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » (6) .

2 ــ المصالح المرسلة أو الاستصلاح :

اعتمد المالكية المصالح المرسلة (7) ومعنى مرسلة اى مطلقة ، لم يرد فيها عن الشارع دليل لاعتبارها او الغائها وبالاستقراء نجد ان كثيرا من القضايا تستجد ولم يشرع لها الشارع احكاما ، ولم تتحقق فيها علة اعتبرها الشارع لحكم من احكامه ، ومع ذلك فان تشريع حكم جديد فيها قد يترتب عنه رفع ضرر او جلب منفعة ، فيتعين المصير اليه (8) ومن هذا القبيل جمع الصحابة لسور القرآن بمصحف واحد ، وتدوين الدواوين ، وتنظيم الادارة العامة ، ويكون من هذا القبيل تنظيم اختصاصات القضاء بالنسبة للجرائم وغيرها .

3 ــ عمل اهل المدينة :

اخذ به الامام مالك ، واعتماده (9) لهذا الدليل قد وسع آفاق التشريع بصورة مفيدة ، لانه الاصل فى اعتماد الاعراف وما جرى به العمل (10) بشرط ان لا يحلل حراما او يحرم حلالا ، وان لا يتصادم مع اصول التشريع المتقدمة ، وقد بنى على هذه الحجة الفقه المغربى كثيرا من الاحكام ، والفت فيه مؤلفات مستقلة، سميت تارة بالعمل المطلق ، واحيانا بالعمل الفاسى ، وكلاهما مأخوذ من اعراف الناس ، جمع عرف (11).

4 ــ الاستصحاب :

عرفه الاصوليون من المالكية بأنه جعل الامر الثابت باقيا الى الحال ، حتى يقوم دليل على تغييره كالحكم ببقاء النكاح الثابت لعقد صحيح حتى يقوم دليل شرعى على ما يزيله .

5 ــ سد الذرائع :

والذريعة ما يتذرع به من الوسائل للوصول الى غاية غير مشروعة ، وذلك كحفر الآبار فى طريق عمومية للمسلمين اذا علم وقوعهم فيها او ظن الوقوع ، فتمنع هذه الآبار سدا للذريعة .

ومما تقدم يظهر ان هذه المصادر ، يشارك فيها اغلب ائمة المذاهب الاربعة ، الا ان جلها حجة عند المالكية بالدرجة الاولى ، والبعض منها حجة عند الحنفية وعند الامام الشافعى (12) ، الذى حدد مذهبه فى المأثور عنه الآتى :

الاصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما، واذا اتصل الحديث عن رسول الله (صلعم) وصح

الاسناد فهو سنة ، والاجماع أكبر من الخبر المفرد ، والحديث على ظاهره ، واذا احتمل معانى فما اشبه منها ظاهره اولاها به ، واذا تكافات الاحاديث فاصحها اسنادا اولاها ، وليس المنقطع بشيء ما عدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس اصل على اصل ، ولا يقال للاصل لم وكيف ؟ وانما يقال للفرع لم ؟ فاذا صح قياسه على الاصل صح وقامت به حجة ، واما الامام احمد بن حنبل ، فقد دون مذهبه فى كتابه المعروف « بمسند الامام احمد » ، وقد اشتهر بالابتعاد عن الراى ، ومن فطاحل اتباع مذهبه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن القيم الجوزية (13) ، ومن المتاخرين ، محمد بن عبد الوهاب النجدى امام الوهابيين .

اعتماد مذهب مالك فى المغرب :

هذا مجمل آراء تلك المذاهب ، الا انه لاجل ان نعرف مدى قيمة هذا التدوين فى سد حاجة التشريع ، فانه لا بد من القاء نظرة على انتشار بعضها فى الآفاق التى اعتمد فيها اعتمادا جعله تشريعا من الدرجة الاولى ، لان الامة جمعاء بما فيها اولو الامر تلقته بالقبول لدينها ودنياها .

فمذهب مالك الذى نقل الى المغرب وانتشر ، اعتبر تشريعا رسميا بعد ما قدر له ان يعم المغرب والاندلس ، بفضل كتابه الموطا الذى يعتبر من اوائل الكتب التى الفت فى الحديث والفقه ، والذى نقل الى الاندلس بواسطة عالم من علماء المغرب الافذاذ ، وهو يحيى بن يحيى الليثى ، نسب الى بنى ليث بالولاء ، والا فهو مغربى بربرى من قبائل مصمودة طنجة (14)، رحل الى المدينة وسمع عن مالك رضى الله عنه كتاب الموطأ ، ثم رحل الى مكة المكرمة ، ثم الى مصر وسمع من الليث بن سعيد ، وابن وهب ، وابن القاسم ، ورجع الى الاندلس ، حيث نشر احاديث الموطأ وفقهه ، واعتبر الليثى هذا عالم الاندلس الاوحد والمبرز فيه ، حتى خطب وده امير الاندلس عبد الرحمن بن الحكم الاموى ، وقربه اليه وجعله مقبول القول لديه ، فيسمى القضاة ، فكان لا يولى قاضيا الا بمشورته ، ولا يشير الا باصحابه فى مذهب مالك (15) ، وذلك ما جعل الفقهاء يعتنقون هذا المذهب ، ويعتبرونه المصدر الوحيد لاحكامهم ، حتى انتشر فى الجناح الغربى للامة العربية ، وكما فعل بالذات قاضى القضاة ابو يوسف الحنفى (16) ، الذى كان سببا فى انتشار المذهب الحنفى بالجناح الشرقى ، واذا كان المغرب والاندلس فى ذلك الوقت تجمعهما وحدة اللغة والدين والمصالح المشتركة احيانا ، وتظللهما راية واحدة احيانا اخرى ، فان المغرب تأثر بهذا المذهب الذى يعتبر حصيلة تشريعية مرنة وسرعان ما انتشر كتاب الموطأ ، وكان من حسن حظه انه تعزز بكتاب آخر مبسط منقول عن الامام مالك وتلامذته ، حوى ستة وثلاثين الف مسالة ، ذلك هو كتاب المدونة للعالم التونسى اسد بن الفرات النيسبورى اصلا ، التونسى الذى فضلا عن امتشاقه الحسام لقيادة الحملة لفتح جزيرة صقلية عام 212 هجرية ، فانه لم يتوان أن يرحل الى المدينة المنورة لينقل عن الامام مالك ، كما عرج على مصر ليسمع من تلامذته ، كابن القاسم واصبغ وغيرهما حسبما سمعوه عنه او اجتهادا منهم على منحاه ، وبعد ما رجع الى القيروان ، اخذها عنه عالم من علماء المغرب وهو الامام سحنون ، ثم هذبها وبوبها بعد ما رحل بها الى مصر ، وعرضها على ابن القاسم ، ثم رجع الى القيروان ، ومنها نقلت الى الاندلس فالمغرب ، اذ اصبحت مصدرا تشريعيا على طريقة مذهب الامام مالك التى امتزجت بآراء تلامذته كابن القاسم ، وعبد الله بن وهب واشهب ، وعبد الله ابن الحكم .

هل باب الاجتهاد مسدود ؟ :

بممارسة كتب الفقه الاسلامى المتداولة بما فيها كتب النوازل والمتون ، يلاحظ ان اصل المذاهب تولدت عنها آراء فى الفقه يخيل انها ابتعدت عن تلك الاصول وانها ادت الى تمزيقها حتى قال بعض الظرفاء :

لقد مزقت قلبى سهام جفونها
كما مزق اللخمى مذهب مالك

والحقيقة ان تشعب تلك الاقوال كان لصالح الشمولية ، لتستوعب قضايا الحياة ، حيث يجد المشرع الرسمى امامه فتاوى يختار من بينها ما يلازم تطور الحياة المتاثرة بتطور الامة ، وليس ذلك انحطاطا فى التشريع بعد العصر العباسى الذى كان ازهى عصور الاسلام فى التشريع كما قيل ذلك .

على ان تشعب الاقوال هذه ليست سمة الفقه الاسلامى فقط ، بل حتى فقهاء الحقوق الطبيعية قيل فيهم (بأنهم فى بحثهم عن قوانين الطبيعة يعتمدون على

ثقافتهم الشخصية واستنتاجاتهم الخاصة ، وهو مـا يؤدى فى النهاية الى وجود عدد من الحقوق الطبيعية بقدر عدد الباحثين ، نظرا لان كل واحد منهم يذهب فى تحريه مذهبا خاصا به) .

واذا ساد الاعتقاد بأن الفقهاء قالوا بسد باب الاجتهاد بعد آخر المجتهدين الذى هو الامام محمد بن جرير الطبرى (17) المتوفى عام 310 هجرية ، وفسر ذلك بانه سد لباب التشريع المتجدد بتجدد الحياة ، فان هذا التفسير ليس بصحيح ، بل الاجتهاد الذى قيل فيه ذلك هو الاجتهاد المستنبط من الكتاب والسنة ، فرارا من استعمال الاهواء بعد ما تمزقت اقطار الاسلام طرائق تلمس امراؤها مستندات لدى الفقهاء بصفتهم اهل الحل والعقد للاحتجاج بها حسب تلك الاهواء (18) مع انحطاط ملكة الفقهاء المتأخرين فيما يخص آلات الفهم لاسرار التنزيل فى احاطتهم بأسباب النزول ، وادراك بلاغة القرآن ادراكا بديهيا مع التبحر فى اللغة العربية سليقيا ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك .

اما الاجتهاد المذهبى وهو الذى يهـم التشريـع بالدرجة القصوى فبقى مسترسلا ، وقد اعتمد الفقهاء المتأخرون من الاقوال الراجح والمشهور وما به العمل ، وقد تبعهم فى ذلك أولياء الامور ، فحرموا على القاضى ان يحكم بغير ما ذكر من الاقوال .

ويضمنون ذلك فى ظهائر تولية القضاة ، وذلك لبكسب هـذا التشريع صفة الالزام التـى هـى احد شروط العمل بالقوانين المطبقة على الامة التى يتولـد عنها حماية الحقوق الطبيعية التى هى العدالة نفسها .

كمـا ان الاجتهاد القضائى يرجح احد الاقوال ويعتبر اساسا من اسس التشريع ، ولذا نجد فى كتب النوازل الفقهية عبارة « وبه كان القضاء فى الاندلس مثلا او فى المغرب او غير ذلك » .

هل الخروج من المذهب المقلد وارد :

الواقع ان هناك سوء فهم متداول فيما يخص التصرف فى التشريع ضمن المذاهب فيما عدا ما لـم يحدد فيه القرآن أو السنة بالنص احكامه التى تكون غير خاضعة للتأويل مثل الشهادة « فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » والطلاق « الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » والزواج « فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمـانكم » والميراث « يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الانثيين » وعقوبة الزنى والقتل العمد والردة وغيرها .

أما ما عدا ذلك من المعاملات العادية فانه اذا كانت الاقطار الاسلامية خرجت عن التشريع الاسلامى اساسا باعتمادها للقوانين المقتبسـة مـن قوانين الاوربيين ، فان البحث فى الخروج عن مذهب اسلامى الى مذهب اسلامى آخر يكون مدعاة للسخرية .

على أن الخروج من المذهب المقلد (بالفتح) الى مذهب آخر ليس بدعا فى الفقه المالكى الاصيل ، فهذا يحيى الليثى الذى تبنى مذهب مالك وكان له الفضل الاول فى نشره بالاندلس والمغرب ، كان اول من ثار على ذلك المذهب ، فخرج عنه فى قضية ظهر له ان الافتاء بما فى هذا المذهب لا يؤدى القصد الشرعى الحقيقى ، فافتى لامير الاندلس الذى وقـع علـى جاريته فى رمضان أن يصوم شهرين متتابعين ليس الا (19) .

مع ان المعلوم من المذهب المالكى الاختيار بين الصوم وعتق رقبة واطعام ستين مسكينا ، ولـما سئل فى ذلك قال لو افتيناه بمقتضى المذهب لسهل عليه ان يطأ فى رمضان كلما شاء ، ويعتق رقبة او يطعم ستين مسكينا ، ولذا افتى بالاشد وهو الصيام .

ورغم أن القضية التى أفتى فيها بغير مذهب مالك يمس جانبها الاساسى العقيـدة الدينيـة مـن الثواب والعقاب ولها صلة بالاخلاق العامة وهو ميدان ادق خطورة من المعاملات العادية التى لا يدعو الخروج عن المذهب الا الى نقاش بيزنطـى ، لان التشريـع الاسلامى يعتبر بالدرجة الاولى علل القضايا لصالح المجتمع ولتحقيق العدالة ، ولذا تشعبت تلك الاقوال حسب ادراك اسبابها .

انتفاضة محدودة فى التشريع المغربى :

ونستى بهذا تبويب مدونة الاحوال الشخصيـة التى يظهر من مطالعتها ، ان المشرع المغربى يتوفر على تحرير من الافكار الضيقة التى فرضتها عليه تلك الاساءة لفهم اسرار التشريع الاسلامـى مـن حيث مضمونها ، ومن حيث المردود الاكيد فى اختيار ما هو الاصلح للامة حسب تطور اسلوب الحياة العامة ، وبتتبع بنود التشريع الواردة فى مدونـة الاحـوال الشخصية يتضح ذلك التحرر ، فقد خرج عن اقوال

المذهب فى قضايا لها اهميتها من ناحية مصلحة الحياة المغربية فاعتمد مثلا مذهب الشافعى فى منع القاضى من تولى النكاح لنفسه ، ولأصوله ، وفروعه من البنت التى له عليها ولاية (20) واعتمد اقوالا خارج المذهب فى عدم لزوم الطلاق فى الحلف باليمين والحرام (21) ، واعتمد المذهب الشافعى فى تمتيع المطلقة مطلقا اذا كان الزوج هو المتسبب فى الطلاق (22) ، ومذهب الحنفية فى الحاق الولد بأبيه بمجرد العقد مع امكان الاتصال (23) ، الى غير ذلك من القضايا .

الا انه رغم ذلك فان المشرع المغربى لم يتحرر الى الدرجة التى ينبغى فيما يخص الاحوال الشخصية وذلك لانه لصالح الاسرة لم يفعل شيئا بالنسبة لتعدد الزوجات ولم يخط فيها الا خطوة بسيطة ، وهى انه نقل رقابة العدل بين الزوجات من الوازع الدينى للزوج الى الوازع القضائى ، بمعنى انه كلف القاضى بان يسهر على العدالة بين الزوجين ، وهذا لا يكفى ، لان الامر يهم الاسرة فى الدرجة الاولى ، وعلى المشرع ان يحتاط بصورة فعالة ، وبالاخص ان المراة المغربية لا زالت فى طور لا يسمح لها ان تسيطر على الموقف ، حيث تستشير القاضى فى جميع الاضرار التى تلحقها من جراء هذا التعدد ، ولذا تستمد على طرق اخرى لاثارة الشغب فى بيت الزوجية للانتقام من ضرتها ، بل ومن اولادها ، الامر الذى يجعل الاسرة فى جحيم ، على ان الضمانة الاخرى التى فرضها المشرع وهى للزوجة ان تشترط عدم الزواج عليها فى عقد النكاح ، غير كافية بتاتا ، وذلك لان غالبية النساء ، اصبحن على هامش الحياة ، وقد لا تجد المراة زوجا اذا كبلته بشروطها وبالخصوص ان الشباب عزف عن الزواج لما فتح امامه من آفاق متعة الحياة .

والواقع ان شيئا من الشجاعة فى تحكيم آية « فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم » ، مع آية « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، يكفى لوضع حد لتمزيق الاسرة المغربية بهذا التعدد الذى اصبح كابوسه مخيفا على كل الاسرة وكان من نتائجه هذا السيل من حوادث الطلاق والنزاعات الزوجية وما يترتب عن ذلك من نفقات للاولاد وحضانتهم .

قانون المرافعات فى التشريع الاسلامى :

هذا هو الجانب الذى يعرف « بالحق المدنى » الذى يشمل المؤسسات الحقوقية ، عينية او مالية او ادبية او تجارية او شخصية التى تهم الفرد او الاسرة ، قد مارسه فقهاء التشريع الاسلامى من العهد الاول للاسلام ، — اى فى ظرف 13 قرنا الى ان فرض الاستعمار على الاقطار الاسلامية تحت غزوه الفكرى قوانين لم يدونها هو نفسه الا خلال القرن 19 الميلادى والنصف الاول من القرن العشرين .

اما قانون المرافعات ، فان اقدم قانون للمرافعات المعتبر اساسا فى هذا الميدان ، ما جاء فى رسالة سيدنا عمر بن الخطاب الى موسى الاشعرى عبد الله بن قيس لما ولاه القضاء اذ قال : (24) فان القضاء فريضة محكمة، فافهم اذ ادلى اليك ، فانه لا ينفع تكلم لا نفاذ له ، آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .

والبينة على من ادعى واليمين على من انكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، الا صلحا احل حراما او حرم حلالا .

لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه نفسك، وهديت لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى على الباطل .

الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الاشياء والامثال فقس الامور عند ذلك ، واعمد الى اقربها عند الله واشبهها بالحق .

واجعل لمن ادعى حقا غائبا امدا ينتهى اليه ، فان احضر بينته اخذت له بحقه ، والا استحللت عليه القضية ، فانه انفى للشك واجلى للعمى .

المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد ، او مجرب عليه شهادة زور ، او ظنينا فى ولاء او نسب .

القانون الجزائى :

اما الحق الجزائى فان التشريع الاسلامى اعاره اهتماما خاصا فى الكتاب والسنة وتوسع الفقهاء باحاطة ذلك بوسائل الاثبات والاقناع وتمحيص ملابساته تمحيصا تكفل بضمانات احقاق الحق وازالة كل لبس يكتنف كل حادثة من هذا النوع .

ولذا راينا ان نستعرض هنا هذا النوع من الحقوق الجزائية مما يعتبر اصلا منها استدلالا على تلك الشمولية وهى التى حددت لها فى المصادر المشار اليها العقوبة القصوى ·

ما هى الجريمة ؟ :

عرفها فقهاء التشريع الاسلامى « بانها محظورات شرعية زجر عنها الشرع بحد وتعزير » .

وعرفها فقهاء القانون الوضعى « بانها عمل او امتناع مخالف للقانون الجنائى ومعاقب عليها بمقتضاه»

وكلا التعريفين واردان على معنى واحد ، فالمحظورات الشرعية هى نفسها العمل او الترك المخالفان للقانون ، وزجر الشرع عليها هو المعاقب عليها بمقتضى القانون ، اما الترتيب الذى نتج عنه تنويع الاختصاصات من حيث تنويع الجرائم الى مخالفة وجنحة وجناية ، فهو ليس من جوهر التعريف ، وانما ترتيب تنظيمى تشير اليه اصول التشريع الاسلامى الذى اعتمد من جملة ما اعتمد من المصادر الاصلية قاعدة الاستصلاح ، كما اسلفنا ، فان مثل هذا التنظيم مبدا عملى يقتضيه تطور الاعراف القضائية ، واولى بالاعتناء بهذا الترتيب المشرع الاسلامى ·

واذا كانت الجرائم تتميز بعقوباتها ، فان هذا التشريع ميزها ايضا بتحديد العقوبات ، وعدم تقديرها فنوعها الى قصاص وحدود وتعزير ، كا هو الشأن فى التشريع الوضعى مع الاتفاق على ان تنفيذ العقوبات على الجرائم ، هى من اختصاص الدولة ، فالتشريع الاسلامى يعبر بأن الامام هو الذى يقوم بالتنفيذ ، وان المفتات على ذلك يعزر على ذلك الافتيات والامام هو السلطة الشرعية العليا فى البلاد ، ينوب عنه نوابه ، اما فى القانون الوضعى ، فقد ذكر فقهاؤه، بأن الحقوق الجزائية هى مجموعة من القوانين التى تنظم تطبيق العقاب اى من قبل الدولة ·

القصاص :

وهو اعظمها ، ويعرف فى كتب الفقه ايضا بالقود ، وذلك لان العرب كانت تقود الجانى بالحبل من عنقه وتسلمه لاولياء المجنى عليه ، فسمى قودا ، الا ان كلمة القصاص اصدق فى الموضوع ، لانها تستشعر المساواة بين القاتل والقتيل وبين الجارح والمجروح والضارب والمضروب ، وبين الاعضاء التى تعرضت للجرح ومن هذه الكلمة اخذت لفظة المقاصة بضم الميم ، لانها كما عرفها الفقهاء ، تطارح المتداينين دينهما المتفقين جنسا على ان يأخذ كل منهما ما فى ذمته فى مقابلة ما فى ذمة صاحبه وهى ذات صور بلغت فى الفقه ثمانية ومائة من ضرب ثلاثة وهى العين والعرض والطعام فى ستة وثلاثين ، فكما تشترط المساواة فى القصاص ، كذلك تشترط فى المقاصة ·

ومن تتبع قضايا الجرائم التى تستوجب القصاص، يتبين أن اعلاها القتل وادناها الضرب بالبدرة ، وبينهما القصاص فى الاطراف ، بشرط ان لا تفضى الى الموت ، وان لا قصاص الا بعد البرء ، وان يكون القتل عمدا عدوانا ، ففى الاول ورد قوله تعالى : « كتب عليكم القصاص فى القتلى .. الخ » ومن الثانى ثبت ان عليا ضرب رجلا ببدرته ، فأقام عليه حجة لدى الخليفة عمر فحكم له بالاقتصاص ، اما القصاص فى الاطراف ، فقد قال تعالى : «والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن .. الخ » وقد اتفقت التشريعات الاخرى على الاقتصاص فى النفوس ، بشرط القتل العمد مع سبق الاصرار ، او التربص ، اما فى الاطراف ، فقد استبدل بالسجن ، (الفصل 400 وما بعده الى 404 من القانون الجنائى المغربى) مثلا .

حكمة مشروعية القصاص :

ولم يغفل الشارع أن يشير الى حكمة هذه العقوبة ، فقال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » ومعنى الحياة فى القصاص ، مع أنه الاعدام ، وهو موت لا حياة ، أن المرء ، اذا علم انه اذا تعدى وقتل يقتص منه لا محالة ابتعد عن جريمة القتل واحجم عن فعلته ·

وبذلك ضمن لنفسه ولمن اضمر قتله الحياة ، وذلك وقاية فى حدوث جرائم القتل ، ولذا قيل ان الآية ابلغ من قول العرب القتل انفى للقتل ، لان لفظة القتل عامة وليست خاصة بقتل الجانى قصاصا كما فى الآية .

اما ما يتبادر الى الفهم فى قوله تعالى « كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى » ان كل صنف يقتل بصنفه فقط ، مما يبدو وكأنه عنصرية ، لان الحر لا يقتل الا بالحر مثلا فان ذلك ليس بالمراد ، بل المراد من الآية ، اسقاط

لعادة الجاهلية التى كانت تأخذ بالثأر ، فاذا كان المقتول
ن قبيلة رفيعة والقاتل من قبيلة وضيعة ، طلب اهل
لمقتول دم حر فى عبد ودم رجل عن دم امراة ودم حرين
ن دم حر واحد وطلبوا فى الجراح عضوين او اكثر
رد الله عليهم بأن لا فضل لدم على دم وقد بين الله
ى آية اخرى ما كان كتبه على بنى اسرائيل فى التوراة ،
قال : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس .. الخ » وهى
ية تفصيلية وان وردت فى بنى اسرائيل ، فان شرع
ن قبلنا شرع لنا .

لتحقيق فى الجرائم التى تستوجب القصاص :

· ولاجل تشخيص هذه الجرائم التى يترتب عليها
لقصاص احتاط المشرع احتياطا كبيرا واشترط فى
لتحقيق مسطرة هى بمثابة المسطرة الجنائية ·

أولا : ان يحصل الفعل المادى من قتل او جرح
و ضرب مقرون بالعمد العدوانى ، اى سبق الاصرار
و التربص ، والفعل المادى سواء كان بالضرب او
لتخنيق او التقتيل او منع الطعام او طرح غير محسن
لعوم فى البحر او النهر او وضع مزلق فى الطريق او
تخاذ الكلب العقور الى غير ذلك مما يترتب عنه اتلاف
لنفس او العضو .

ثانيا : ان يوجد القاتل فى حالة بلوغ وعقل
وان يكون مماثلا للمقتول فى الحرية والاسلام والدم ،
فلا يقتل حربى قتل مسلما فى موقعة حرب ، ثم اسلم
— اى الحربى — واراد اولياء القتيل ان يقتصوا ، كما
لا يقتل مسلم بكافر ، لان الكافر غير معصوم الدم ·

ثالثا : ان يوجد المقتول فى حالة عصمة الدم،
فلا يقتل مسلم قتل مرتدا عن الاسلام او قتل زانيا محصنا
كما انه لا يقتل من قتل من وجب عليه القصاص ، اى بعد
صدور الحكم عليهما واستكمال مراحل الطعون ،
الا انه يعزر — اى يعاقب فى الاخيرتين معا لانه افتات
عن الامام — اى السلطة العليا للبلاد .

رابعا : ان يحصل الاعتراف من قاتل بالغ عاقل
طائع ، فلا يترتب القصاص عن اعتراف قاصر او مجنون
او مكره على الاعتراف بالضغط ووسائل التعذيب .

خامسا : او ان يشهد عدلان (يلاحظ ان لفظة
العدل مأخوذة من العدالة فليس المراد مجرد شخص
منتصب للشهادة الذى يعتبر فى الواقع من اللفيف)
بمعاينتهما للقتل او معاينتهما بضربه وان بقضيب او

لطمة او وكزة او حجر او عصى فمات عاجلا او مغمورا
ولم يتكلم الى ان مات .

سادسا : القسامة وهى اداء اولياء الدم المتعددين
خمسين يميناً ، بشرط ان يكون هناك دليل على القتل،
الا انه لا يصل الى درجة الادلة المتقدمة من الاعتراف
والعدول ، وهذا الدليل (ا) عدل واحد شاهد ما تقدم
(ب) لفيف من الشهود كثير (ج) ان يقول القتيل فى
النزع الاخير مع التمييز ، دمى عند فلان (د) ان يشهد
عدل او اكثر من انهم راوا المقتول يتخبط فى دمه والقاتل
معه وعليه اثر القتل ، الا انهم لم يعاينوا فعل القتل ،
وهذه هى اسس التحقيق فى هذه الجريمة التى تستوجب
القصاص ، وهناك تدقيقات هامة فى سير التحقيق لاجل
التحرى لاثبات موجبات القصاص .

حـد البغـى :

فالبغى هو التمرد على نظام البلاد الذى به تستقر
اوضاعه والتى اذا اثيرت الفتنة حصلت للامة آفات
ومهالك ، وهى جريمة توجب القتل ، اى الاعدام ،
لقوله تعالى : « فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا
التى تبغى حتى تفيء الى امر الله » ، وقد حددت السنة
العقوبة بتدقيق ، فقال (صلعم)(الا من خرج عن امتى
وهم جمع فاضربوا بالسيف عنقه كائنا من كان)·

حـد قطـع الطـريـق :

من المعلوم ، ان قطع الطريق مفسدة واخلال
بالامن العام ، فاذا لم تحدث ضد مرتكبيه عقوبات شديدة
اثر ذلك فى الامة ، وربما فتق الفتوق فيها ، وهكذا
يصبح النظام مختلا ، ولذا قرر فيها الشارع عقوبات
شديدة ، فقال تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض »،
والفقهاء : حكموا كلمة « او » الواردة فى الآية والتى
هى للتنويع ، فقال ان قاطع الطريق اذا قتل شخصا
وهو قوله « ان يقتلوا » واذا قتل وسرق معا قتل وصلب
وهو قوله « او يصلبوا » واذا سرق المال فقط تقطع يده
اليمنى ثم اذا كرر تقطع رجله اليسرى وهو قوله « او
تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف » ، واذا كان مجرد
عمله تخويف الناس بالقتل والسرقة ، نفى عن البلد
وهو قوله « او ينفوا من الارض »

حد الردة :

الردة والعياذ بالله ، تنكر للاسلام وفضائله وخروج منه بعد الاعتناق أو بالفطرة حينما يولد فيه ، والردة استخفاف بالاسلام وطعن فيه ، واذا كانت آية « ومن يرتدد منكم دينه فيمت وهو كافر » ، نصت على الموت كافر ، ولم تتعرض للعقوبة القضائية ، فان الحديث الآتى ، بين العقوبة بتدقيق وهو قوله (صلعم) « من بدل دينه فاقتلوه » .

حد السارق :

هذا الحد يتمثل فى قطع اليد اليمنى للسارق لقوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما » وذلك فى المرة الاولى ، فاذا كرر السرقة تقطع رجله اليسرى، لانه لم يرتدع ، وذلك لان السرقة خيانة ذميمة ومع ذلك فان المراد لتشريع هذه العقوبة ، هى توفير اسباب الطمأنينة والسعادة بين المتساكنين ، فمتى كانت النية فى اقامة هذا الحد ، ابتعد الخائنون عن الخيانة ، ولهذا لم يعتبر الشارع قيمة الشيء المسروق ، بل الاعتبار حصول الخيانة ولو بربع دينار ، وقديما حاول بعض المعنتين ، أن يتشكل قيمة المسروق التى تقطع فيها اليد التى هى نفسها اذا قطعت خطا استوجبت الدية ، مثل دية النفس كاملة ، فأجيب بالبيت الآتى :

هى الامانة اغلاها وارخصها
ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

حد الزنى :

بما أن الزنى مفسدة تعكر صفو المجتمع وتختلط به الانساب ، فان التشريع الاسلامى اعتبرها جريمة يعاقب عليها بالنسبة لحالة الزانى والزانية ، ففرق بين المحصن وغير المحصن من كلا الجنسين ، ففى الثانى قا لتعالى : « والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » اما الاولى فقد قرر الرسول (صلعم) عقوبتهما بالرجم ومدار شرعية عقوبة الزنى هو سد ذريعة اشاعة الفساد واختلاط الانساب وهى خيانة للاسرة .

وفى نظر التشريع الاسلامى ، انها من الدعاوى العمومية التى للحق العام أن يتدخل فيها تلقائيا ، نظرا لما ذكر ، اما فى التشريع القانونى ، فقد اعتبرها تارة كذلك ، حيث شرع متابعة الزانى غير الزوجين (الفصل 490 من القانون الجنائى المغربى) وتارة اعتبرها حقوقا شخصية يصح التنازل عنها من طرف احد الزوجين الفصل 492 من نفس القانون المشار اليه .

الا انه من الجدير بالاعتبار فى التشريع الاسلامى، ان فاحشة الزنى شدد فى اثباتها تشديدا لا يكاد يحصل الا بالاعتراف الطوعى ، اذ اشترط فى اثباتها بغير الاعتراف شروطا لا يمكن الحصول عليها ، فاشترط عدولا اربعة يعاينونها قال الفقهاء كالمرود فى المكحلة ، والمرود هو عود الاكتحال عند النساء ، والمكحلة هى علبة الكحول ، وقد وضع الشارع هذا التشديد للقاعدة « ادرءوا الحدود بالشبهات »

حد القذف :

ذلك راجع الى صون اللسان من تلويث اعراض الغير ، وكلها مرجعها الى الاخلاق الحميدة ، والمعايشة السليمة ، ولذا جعل لمن اطلق لسانه فى الغير بدون حجة ، عقوبة القذف ، فمن رمى محصنا وهو الذى احصن فرجه بالزواج بالزنى ، فعليه أن يقيم الحجة التى تتمثل فى اربعة شهود ، والا استحق العقوبة التى ذكر الله فى قوله : « والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » ، ويقاس على المحصنات المحصنون من الرجال لعدم الفارق فيما بينهم .

هذا اذا كان الرمى بالزنى من غير الزوج ، اما فيما بين الزوجين فالطريق المشرعة هى طريقة اللعان ولا عقوبة فيها .

التعزيرات :

وعدا هذه الجرائم السبع ، التى وردت النصوص الشرعية فى عقوباتها ، فهناك ابواب اخرى تتناول الجرائم ، وسميت عقوباتها تعزيرات ، وكل المشرع امرها الى السلطة القضائية ، ولذا لا توصف بأنها حدود او قصاص ، بل هى عقوبات زجرية وفى هذا الباب تدخل جميع العقوبات التى لم ترد فى النصوص المتقدمة وقد فرع الفقهاء على ذلك مسائل استوعبت الاقضية التى تحدث عملا بقول عمر ابن عبد العزيز « احدثنا للناس عقوبات بقدر ما احدثوا من الجرائم ».

ومع ذلك فان بعض الحنفية قد بلغوا فى التعزير الى القتل .

وباب التعزير هذا مفتوح لشمولية جميع العقوبات التى لم ترد فى النصوص وقد اوسعها الفقهاء استيعابا ، فكتاب تبصرة ابن فرحون مثلا يعتبر مثالا لتتبع فروع هذه العقوبات من سجن وضرب وتغريم .

وبعــد :

فاذا كان الفقه الاسلامى بهذه المثابة ، من المصادر الغنية التى تتطور تطور الحياة ، اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا ، بل وسياسيا ، وكان المستنبطون الاوائل ، والدارسون من بعدهم ، من فحول فقهاء الامة الاسلامية فى مختلف العصور والاقطار ، ومن ضمنهم فقهاء المغرب ، الذين عكفوا — احتسابا — على تتبع الجزئيات فى المتون والشروح والنوازل ، وافنوا فى ذلك اعمارهم ، مع قلة الامكانات ، التى اضطرت الشيخ بنانى صاحب الحاشية على الزرقانى على فقه الشيخ خ . ان يكتب معظم حاشيته على ضوء سراج ضريح مولاى ادريس بفاس بفنائه الخارجى ، لعدم توفره على زيت قنديله .

واذا كان توحيد المذاهب فى مدونة واحدة ، كان مقصد احد عظماء الدولة العباسية ، عند ما قال المنصور العباسى للامام مالك « اجعل هذا العلم علما واحدا (25) وهو زمن لم تتوفر فيه هذه الخصوبة فى المصادر والآراء التى عليها الفقه الاسلامى الآن .

واذا كانت دولة الموحدين فى المغرب كان لها نفس القصد ، عند ما عزم السلطان يوسف بن عبد المومن على توحيد المصادر الشرعية فى قول واحد فى كل جزئيته حسبما حكاه ابو بكر الجد الذى دخل عليه واستشاره فى ذلك ، فاشار عليه بالاخذ بالمصدر الواحد ، قائلا هذا او هذا مشيرا الى الكتاب والسنة والسيف .

واذا كان ذلك كله فانه من الغرابة ان تقعد همة هذا الخلف من الفقهاء عن متابعة نفس المسيرة فى تطوير الفقه الاسلامى ، وبلورة طريقة التاليف حسب تطور الحياة ، وعلاقتها بالانظمة السائدة ، فى عصر يعتمد على التقنية فى كل شيء ، وذلك بصياغة الفقه الاسلامى فى قالب مستساغ لدى انظمة العصر ، وذلك بتمحيصه فى شكل بنود منتقاة من تلك الآراء مسبوكة فى نظريات جميع المذاهب ، التى تهدف الى فصل القول فى كل نازلة ، مقارنة ذلك بما استجد من القوانين التى لا تتنافى ومقاصد الشريعة السمحاء ، كما فعلت اللجنة التى فحصت مدونة الاحوال الشخصية والتى قربت المصادر الى ذهن القضاة والمتقاضين رغم انها تمس الاخلاق العامة ، ولها مساس بالمبادىء الدينية من نكاح وطلاق ومحاجير وغيرها .

فكان الاغراض الاخرى من بيوع ورهون ومزارعة ومساقاة وقراض مثلا اسهل سبكها فى راى واحد تلك جزئية .

على ان عصر المغرب الحاضر يتمتع بميزة خاصة حباه الله بها فى شخص عاهله العظيم جلالة الحسن الثانى ، الذى اهله بمواهب فكرية ، وعزيمة فولاذية مقرونة بالتوفيق وحسن الطالع نابعين عن عقيدة اسلامية راسخة .

فلو عمل فقهاؤنا الذين هم البقية طبق ايحاءاته السديدة لاستجابوا لاحاسيسه الوقادة فى تنظيم شؤون الفقه الاسلامى بصورة عصرية مشرقة ، ولوجدوا منه تبريكا ، وكانوا له عونا على حفظ هذا المجد الخالد ، والتراث الغالى الذى اوشك ان يسقط فى هوة الضياع بسبب قصور الهمم .

طنجة — الحاج احمد البوعياشى

هوامش

(1) صحيح مسلم ج 15 ص 118 المطبعة المصرية بشرح النووى .

(2) جاء فى اعلام الموقعين ج ل ص 62 مطبعة السعادة بمصر « كان ابو بكر الصديق اذا ورد عليه حكم ولم يجد حكمه فى الكتاب والسنة ، جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذا اجتمع رايهم على شيء قضى به وكذلك عمر هـ . باختصار .

(3) عقد له الامام البخارى بابا مستقلا فقال « باب من شبه اصلا معلوما باصل مبين وقد بين النبى (صلعم) حكمها ليفهم السائل » .

(4) حتى الشافعي الذى انكره ، رجع اليه واستحسن فى المتعة ان تكون ثلاثين درهما واستحسن الشفعة للشفيع الى ثلاثة ايام ، واستحسن فى السارق الذى قطعت يده اليسرى غلطا ان لا تقطع يمناه ، (اصول الفقه الاسلامى لزكى شعبان) .

(5) انظر الاعتصام للشاطبى ج ثانى ص138 مطبعة السعادة .

(6) واعتمده المالكية بحماس حتى قال أصبغ عن ابن القاسم عن مالك « ان تسعة اعشار العلم الاستحسان »

(7) حسب قول ارشاد الفحول ج ثالث ص 42 المطبعة الرحمانية « ان علماء جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة ولا معنى للمصالح المرسلة الا ذلك » .

(8) جاء فى الموافقات ج ثالث ص 22 ان مالكا كان يهمل الخبر الواحد اذا عارض اصلا قطعيا ، ومن الاصول القطعية عنده اصل رفع الحرج ، واصل سد الذرائع اللذان يعبر عنهما بالمصالح المرسلة » .

(9) فى مقدمة ابن خلدون ص 375 المطبعة الازهرية « واما الامام مالك فقد اختص بزيادة مدرك آخر للاحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل اهل المدينة » .

(10) فى صحيح البخارى ج خامس ص 310 « باب من أجرى أمر الامصار على ما يتعارفون بينهم فى البيوع والاجارة والكيل والوزن وسننهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة » .

(11) فمعنى التتابع ، اى تتابع عليه القوم فى أساس البلاغة « طار القطا عرفا » اى متتابعة ومنه قوله تعالى : « والمرسلات عرفا » .

(12) فى فتح البارى ج خامس ص 310 عن البخارى عن القاضى الحسن الشافعى « ان الرجوع الى العرف احدى القواعد الخمس الذى بنى عليها الفقه » .

(13) المتوفى 751 هـ 1356 م شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابى بكر الدمشقى الحنبلى الاصولى المحقق عرف بابن قيم الجوزية منسوب الى مدرسة الجوزية بدمشق ، كان والده قيما عليها ، وهو تلميذ ابن تيمية الامام الاعظم شيخ الائمة المتوفى 728 هـ 1327 م .

(14) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضى عياض ج ثالث ص 379 طبعة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية .

(15) المصدر نفسه .

(16) المتوفى 172 هـ 798 م . صاحب ابى حنيفة ، أول من دعى بقاضى القضاة ، وهو يعقوب بن ابراهيم الانصارى كان فقيها مجتهدا فاضلا تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء العباسيين : المهدى والهادى وهارون الرشيد .

(17) ابن جرير الطبرى الآملى صاحب التفسير الكبير وتاريخ الامم والملوك قال الخطيب البغدادى ، « كان ابن جرير يحكم بقوله ، ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله ، حافظا للعلوم ما لم يشاركه فيه احد من اهل عصره » .

(18) ولهذه العلة انكر فحول العلماء ادعاء الاجماع ممن لم يكن اهلا له ، حتى قال ابو يوسف « اهل الحجاز يقضون بالقضاء ، فيقال لهم عمن ؟ فيقولون بهذا جرت السنة ، وعسى أن يكون قضى به عامل السوق أو عامل جهة من الجهات (كتاب الام ج رابع ص 303) »

(19) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج ثالث ص 388 وخالفه ايضا فى اليمين مع الشاهد وخالفه فى كراء الارض بما يخرج منها على مذهب الليث .

(20) الفصل 10 الفقرة الثالثة منها .

(21) الفصل 50 منها .

(22) الفصل 60 منها .

(23) الفصل 85 منها .

(24) ذكرها الامام احمد فى مسنده والدارقطنى فى سننه .

(25) نقلا عن الابحاث السامية فى الاحكام الاسلامية ج اول ص 74 .

لن تسقط الذاتية الإسلامية في الإحتواء العالمي أو الأممية

للأستاذ أنور الجندي

ان « ذاتية العرب الاسلامية » : التى تواجه اليوم أخطر تحدياتها من حيث تهب عليها عواصف التيارات الاستشراقية ، ومن حيث تهب عليها تحديات الصهيونية العالمية فى الارض المحتلة ، ومن وراء ذلك كله : ايدلوجيات متعددة شرقية وغربية ، ماركسية ولبيرالية ، هذه الذاتية يجب أن تكون قد عرفت نفسها وحددت موقفها من كل هذه الاخطار .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان هدف التحالف الاستعمارى الصهيونى المادى المركز هو ازاحة هذه الذاتية والقضاء عليها وابادتها لانها هى وحدها — وليس اى شىء آخر — الخطر الماثل أمام القوى الراغبة فى احتواء عالم الاسلام والسيطرة عليه سيطرة فعلية ، متصلة .

وما زال هذا الهدف قائما منذ بدات حركة الاستعمار وحركة الاستشراق والتبشير والتغريب ، وهى تمضى حثيثا الى غايتها عن طريق الارساليات والمعاهد والجامعات والثقافة والصحافة ، ولكن حركة اليقظة الاسلامية التى كانت قد سبقت على الطريق والتى تنبهت تماما لكل هذه التحديات بالرغم من عزلها عن مجال النفوذ السياسى القادر المسيطر ، وامتياز التغريب بالسيطرة على كل مجالات النفوذ ، بالرغم من هذا ولانها تستمد قوتها من الفطرة ومن الاصالة ومن الحق ، ولانها تدعو الى التماس المنابع والعودة الى الاصول ، والتماس المفهوم الصحيح للقيم ، لانها كذلك فقد استطاعت ان تشق طريقها وأن تحطم قوى الغزو واحدة بعد اخرى ، وما تزال تشرع اسنة اقلامها فى الميدان لا تتوقف عن المقاومة ، وهى بحق فى رباط دائم الى يوم القيامة شأنها شأن اهل اجهاد بالسيف .

ان الفكرة التى تداولها اليوم دوائر الاستشراق والتغريب معا ، ويلتقى فيها الاستشراق اليهودى الصهيونى مع الفكر الغربى الليبرالى ونجد على رأسها ارنولد توينبى الذى توفى مؤخرا وجاك برك معا على الرغم من الاختلافات العميقة فى المناهج والثقافة والاتجاه ، هى فكرة التبشير بالدعوة الى انسلاخ الفكر الاسلامى والمجتمع الاسلامى من « بعض قيمه » حتى يستطيع ان يلتقى بالفكرة العالمية او الحضارة العالمية أو اسلوب العيش الغربى كما يطلقون عليه .

انهم يلحون على هذه الفكرة بالرغم من عدم صلاحيتها ، اساسا ، وبالرغم من عدم قدرة الفكر الاسلامى على تقبلها ، وبالرغم من انها ليست حتمية بوجه واحد من الوجوه . لماذا يريدون من العالم الاسلامى والمجتمع الاسلامى أن يفقد شخصيته وذاتيته حتى يستطيع ان يصل الى مكان الامم الغربية فى الحضارة والعلم والتكنولوجية .

وامامنا عشرات الامثلة على فساد هذا الترابط بين المدنية المادية والحضارة كعقيدة وقيم فكرية ، ولماذا لم تفعل ذلك أوربا حين نقلت المنهج العلمى التجريبى من المسلمين دون أن تنقل مفاهيم الشريعة الاسلامية ، بل وحين نقلت بعض قوانين هذه الشريعة دون البعض الآخر ، ولم يقل احد يوما ان الغرب عجز دون التقدم .

ان هناك حقيقة قائمة ، وهى واقع تاريخى متكرر ، ان الامم من شانها ان تقتبس من شؤون المعرفة والعلم

ما تشاء ولكنها لا تستطيع ان تعتنق عقيدة الحضارة الاخرى ولا ثقافتها ولا قيمها الروحية والفكرية والتقنية والاجتماعيـــة .

وان المسلمين لا ينقصهم شيء في طريق التقدم الا هذا الجانب من العلم التجريبي الذي انشأوا شجرته، ثم اهملوها حتى نماها الغرب ، وهم لا يحتاجون الى شيء سواه ليصوغوه في اطار لغتهم وفكرهم وينموه ليصلوا به الى ما وصل اليه الغرب من تقـدم مادي ولكنهم لن يخضعوا ولن يذلوا ولن يستعبدوا لعقيدة الحضارة الغربية عقيدة اصابها الفساد الكثير وتعيش الآن محنتها وأزمتها ، وان اصدقاء العرب والمسلمين الذين يظنون انهم يصدقونهم القول حين يدعونهم الــى الانخلاع عن عقائدهم الروحية والقوميـــة والثقافيـة ليندمجوا في اتون الحضارة العالمية او ينصهروا في الاممية او يذوبوا في الدولية او تحتويهم هذه الدعوات » ، هؤلاء ليسوا صادقين وليسوا مخلصين للعرب والمسلمين، لان النصيحة التي يمكن ان توجه للمسلمين والعرب هي ان يحتفظوا بذاتيتهم وان يتمسكوا بمقدراتهم وان يعيشوا عقيدتهم وقيمهم ولو تأخر بهم امر هذا التقدم المادي سنوات وسنوات على أن يفقـدوا ذاتيتهـم ويصبحوا شيئا لا قيمة له في الاطار الواسع : اطار الاقوياء الذين يترنحون الآن تحت ضربـــات الماديـة والصهيونية العالمية التي تحتويهم وتحـــاول ان تحطم مجتمعـــاتهم .

ان « الاصالة » في مفهوم العـــرب والمسلمين تختلف كثيرا عن مفهوم جاك بيرك وارنولد توينبي ، وهي ليس دخولا في مرحلة الاحتواء الغربي باى شكل كان ، وان الذين يستمعون الى هذه الوجهة او يحاولون تحقيقها سوف تجرفهم سنن الحضـــارات ، وسوف تستعيد الحضارة الاسلامية عقيدتها كاملة ، لتحـــرر البشرية ، وسوف لا تستطيع الدعوة العالمية ومن وراءها وقد انكشفت اهدافها ، ان تخدع المسلمين والعرب بعد نكسة 1967 ـــ فقد ذهب الكثيرون خلال هذه السنوات يجرون وراء بريق الدعوة الغربية ظنا منهم انها صادقة مخلصة ثم انكشفت لهم الحقائق ولم يجدوا امامهم الا ذلك الخطر الصهيوني المدمر الـــذي ورث النفـــوذ الاستعماري الغربي ويحاول الآن ان يستوعب كل ما كان له من نفوذ .

وكذلك فان الفكر الاسلامي لا يؤمن بما يدعيـــه بعض المفكرين من ان الاستشراق قد انتهى دوره وان المحاولات المحصورة الآن تدخل تحت اسم التحليـــل الاجتماعي ، ونحن نعرف ان الاستشراق قـــد دخـــل مرحلة جديدة اكثر خداعا واكثر تمويها وانها تحاول الآن ان **تستقطب مجموعة جديدة من الكتاب يدعون انهم** كانوا غافلين عن جوهر الفكر الاسلامي وانهم لم يلتفتوا اليه الا اليوم ، ثم هم يعيدون النظر فيه من جديد وقد يصفق لذلك بعض السذج كما صفقوا من قبل عند مـــا كتب طه حسين هامش السيرة ، ولقد يحاول هؤلاء الكتاب ان يخدعوا قراءهم ، كما فعل مرجليوث وجولد زيهر وبرنارد لويس وغيرهم بمحاولات الاغراء الكاذب بالاحتفال بالاسلام ثمة ، ثم هم يثيرون حوله اشـــد الشبهات واكثرها ضلالا .

واذا جاء ابناء العربية اليوم من اتباع المدارس الغربية وقد كان بعضهم على مذهب اوجست كونت او ماركس او نيتشه او غيره ليتحدثوا عن الاسلام فنحن لا نقبل منهم ما يقولون الا تحت شرط واضح وقاعـــدة اساسية تتمثل في سؤال واحد هو : هـــل يؤمنـــون بالوحـــى ؟

ذلك ان الظاهرة الخطيرة التي تتمثل الآن فـــي كتابات الاستشراق ، هي محاولة تكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن لا على انه نبي مرسل من عند الله وأن القرآن كتاب الله الموحى به اليه ، ولكن على انه « مصلح عظيم » او « نبي الحرية » او عبقري او بطل او ما الى ذلك من صفات تطلق على المصلحين الارضيين لا على انبياء الله المرسلين بالحق .

ولقد يذهب بعض هؤلاء الى الادعاء بان الوحي ما هو الا صورة العقل الباطن ، او ينسبون الى النبي انه رجل استوعب ثقافات عصره ، وهو الامي الذي لم يخط حرفا ولم يقرأ كتابا ، او يقولون انه مصلح عظيم وجد امة مستعدة للنهضة فنهض بها حينما امضى الرسول ثلاثة عشر عاما يدعو الى الله فلم يجد غير المقاومة والظلم والاصرار على الجاهليـــة في رباهـــا وفحشها ومساءتها ، كل هذه النظرات الباطلة يحاول بعض الاستشراق ان يغير الحقائق وان يقول غير مـــا وقع فعلا ، ونحن نعلم ان هذا هو طابع الاستشراق الجديد ، الذي غذته الصهيونية والذي يصفه جاك بيرك وغيره بانه تحليل اجتماعي .

ان هذه الامة تعرف طريقها . وتعرف الاسلوب

لوحيد الذى يردها الى مكانها . والمنهج الصحيح الذى قام حضارتها ولن تختلف بها الطرق ابدا مـــا دامت ستمد ضوءها من القرآن .

ولقد كان توينبى يعرف ويعرف اليوم بيرك ان هذه الامة لا تصر على شيء قدر اصرارها على المحافظة على ذاتيتها والرفض بالسماح لشخصيـــة الاســـلام والحضارة ان تتلاشى او تذوب فى شخصية حضارة اخرى وتعرف ان ذلك هو « السر » فى كل انتصاراتها فـــى معاركها مع الصليبيين والتتار والفرنجة والاستعمار والصهيونية وفى الجزائر ، والهند ومصر والباكستان وسوريا وفلسطين . . .

ان الشخصية العالمية مهما قويت فهى قائمة على الظلم والاستغلال والاستعمار ولذلك فهى زائلة لن تستطيع الحضارة الغربية ان تعطى الانسانية املها وروحهـــا وايمانها ، وستظل الشخصية الاسلامية قائمة وقادرة على الثبات حتى تنتصر ولن تذوب او تحتوى مهمـــا تجمعت عليها كل قوى الفكر الصهيونى التلمودى او الفكر الغربى المسيحى .

القاهـــرة ــ انور الجندى



الاسلام وحرية الفكر

للأستاذ عبد الفتاح إمام

جاء الاسلام لينقذ البشرية من وهدتها ، ويقيلها من عثرتها ، ويوقظ العقول من غفوتها .

لهذا كان من مبادئه — أن يطلق الافكار من عقالها ، وان يفسح لها المجال — لتحلق فى سماء البحث ، فتعالج مشاكل الحياة ، وتواجه ما تقتضيه فطرة الوجود ، وتهىء ما يستوجبه الكمال الانسانى .

انطلق الفكر الاسلامى فى ميادين البحث ، فى فجر الاسلام ، وبدأ علماؤه يبحثون فى قواعد هذا الدين ، واصوله ، وفروعه ، وهذا امر طبيعى لدين جديد نشأ بين قوم لا عهد لهم به . .

ولما استقرت الاوضاع ، وانتشرت الدعوة فى جميع الاصقاع ، وعمت الشرق والغرب ، اخذت الحركة الفكرية تتجه الى جميع العلوم والمعارف ، الدينية ، والعقلية ، والطبيعية ، ونشطت هذه الحركة حتى شملت البحث فى جميع ما انتجته العقول فى العهود التى سبقت الاسلام ، وقد وجد المفكرون فى رحابة هذا الدين ، وسعة أفقه ، ما دفعهم الى التفكير فى كل ما حولهم من الكائنات ، بل وجدوا القرآن الكريم يحثهم ويشجعهم على اعمال الفكر ، والتزود من المعارف ، اذ يقول الله سبحانه : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ويقول جل شأنه : « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . . »

فالاسلام يخاطب العقول بالحجة والاقناع ، لا بالسيف والحراب ، يدعو الى الامر — ومعه البرهان الساطع يعزه ، ويسنده ويقويه ، ويلجأ الى العقول فيحركها للتبصر ، والتأمل والتدبر ، ويحررها مـ الاغلال والقيود ، حتى تتشرب اصوله وقوانينه — عر عقيدة ثابتة ، وبنية واضحة . .

والاسلام يكره لاتباعه التقليد والتقييد ، ويأبـ لاحد من ابنائه ان يلغى عقله ، وقد وهبه الله تعالى له ، وميزه به عن سائر المخلوقات ، ولا يرضى ا يقتنع احد بالتلقين ويأخذ دينه دهانا ظاهرا ، وغلا باهرا ، من غير أن يؤسس ما اخذه على العلم واليقين حتى يثبت أمام عواصف الشبهات ، واباطيل الشكوك وتيارات المعارضات . .

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « يكن احدكم امعة ، يقول ان احسن الناس احسنت فالرسول وهو المعلم الاول — لا يرضى لاتباعه ا يكونوا امعات — يتبعون غيرهم ، ولا راى لهم كالذين فقدوا عقولهم . .

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تش بالعقل ، وتعطيه العناية الكاملة ، وتجعله الرائـ والقائد للانسانية ، حيث كان العقل هو الدعامـ للاسلام ، قام عليه ، وتمشى فى تشريعاته مع التطو الفكرى ، ولا زال الاسلام يعلى شأن العقل ، ويحـ على اعماله ، حتى بلغت الانسانية ما بلغت مـ النضج الفكرى . .

جاء فى سورة النحل قول الله سبحانه « والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شـ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون وفى قوله سبحانه : « ان السمع والبصر والفؤاد :

ولئك كان عنه مسؤولا » — تهديد لمن اهمل استعمال
هذه الآلات ، وتوجيه للانتفاع بها في الشؤون الدينية
والدنيوية ، وما دام المرء مسؤولا عنها — فلا بد ان
ستثمرها ، وينتج بها من آيات الله الكونية ، ما
دل على عظيم قدرته ، وبديع حكمته ..

وفي هذه الآية كذلك تنبيه للانسان ، ولفت نظره
لى هذه الحراس (السمع والبصر والفؤاد) التي
جعلها الله تعالى آلات لازالة الجهل ، واجتلاب العلم،
يستدل بها على ما يصلح امر دينه ودنياه ، ويتبصر
بها عجائب مخلوقاته ، وغرائب مصنوعاته ، وكذلك
يعقل ويفهم معاني الاشياء التي خلقها له الله سبحانه
— حيث قال جل شأنه : « سخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا » فهذه الحواس
آلات للبحث في سبيل التسخير ، وطريق الانتفاع
بهذا الكون ..

وكما اشاد الاسلام بالعقل ، نعى بالعيب والازدراء
المهانة على من اهمل عقله ، وصوره في اقبح الصور
وابشعها ، يقول الله تعالى في سورة البقرة : « ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون » ويقول سبحانه
في سورة الانفال : « ان شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون .. »

ولقد فتح الاسلام العقول المغلقة ، وكشف
الاغطية عن الاذهان المغلفة ، بما تضمنته الآيات
القرآنية ، من براهين وادلة تحتاج الى النظر
الاستبصار ، وتسوق العقول الى التامل والبحث ،
وتطلب التدبر للكشف عن آيات الله الكونية ، وما
ابدعته القدرة الالهية ، من ذلك قوله تعالى : « سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه
الحق » وقوله جلت قدرته في معرض الدلالة على
وحدانيته سبحانه — في سورة ابراهيم : « الله الذي
خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم » وجاء في سورة الغاشية :
« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء
كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض
كيف سطحت » ويلفت الفكر الى خلق الانسان فيقول :
« فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج
من بين الصلب والترائب » ..

هذه نماذج لما جاء في القرآن الكريم من توجيه
الفكر الى آثار قدرة الله في خلقه ، وكلها تحتاج الى
التأمل والتفكير والبحث ، ولو شئنا ان نتتبع هذه
التوجيهات لطال بنا المجال ..

ولقد استجاب علماء الاسلام في العصور الخوالي
لدعوة القرآن الكريم ، وللرسول العظيم ، الى التفكير
والبحث في سائر العلوم المادية والروحية ، دينية او
دنيوية ، ونهضوا نهضة شاملة — كان لها اثرها
الايجابي في تدوين العلوم والفنون بعقولهم الجبارة ،
وفطرتهم العربية النقية ، فالف ابن سينا كتابه —
القانون — في علم الطب الذي كان مرجعا ، ونبراسا
لعلماء الطب ، اضاء لهم السبيل ، فساروا على نهجه،
ونهلوا من اصوله وقواعده ، حتى شهدوا له بالنبوغ
والسبق في هذا الفن ، وحسبنا ان جامعات ايطاليا
وفرنسا كانت تعتمد عليه في دراسة الطب حتى القرن
التاسع عشر الميلادي ..

واطلقوا لعقولهم العنان في ميادين اخرى ،
فالفوا في الجبر والهندسة ، والفلك ، وعلماء الاسلام
هم اول من اخترع آلات الرصد ، وهم كذلك اول من
قال ان الارض كروية مستديرة ، كما قرروا أن الارض
تدور حول محورها ..

وقد سجل لهم التاريخ انتاجهم وبحوثهم في
الكيمياء ، وعالم الحيوان والنبات ، بما يشهد لهم بحق
انهم الاعلام الذين لا يشق لهم غبار ، ولا يجاريهم احد
في سعة التفكير ، وقوة البحث — ورجاحة العقل ..

وان تشجيع امراء المسلمين للعلماء ماديا وادبيا
— لاعظم برهان على عنايتهم بتحرير الفكر ، وانطلاقه
في ميادين العلم الفسيحة ، مما كان له اعظم الاثر في
النهضة العلمية التي شاد بها التاريخ ، وشهد بفضلها
العالم ، في الحاضر والغابر ، حتى مرت عصور سماها
التاريخ العصور الذهبية ..

وحسبنا ما قام به خلفاء المسلمين آنذاك من
اغداق الخيرات ، واجزال الاعطيات والمكافآت ، لكل
باحث وعالم ، ولو كان من غير المسلمين ، اذ كان
المطلوب التوسع في المعرفة ، والتبحر في ميادين البحث
والتدوين ..

واذن فالاسلام يقدر العلم ، ويعطيه الاولوية
والاسبقية ، لانه دين العلم ، ودين الانسانية التي لا
يتم كمالها ورقيها الا بالعلم ..

ولا ريب في تقدير العلماء

وكذلك لا يلتفت الى اختلاف الديانات ، أو الجنس او اللغات ، حيث كانت الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها التقطها . .

والاسلام يعطى العلم مكانتــه مــن التقــديــر والاحترام ، ويعامل اهل العلم معاملة من يعرف للعلم حقه من التبجيل والتعظيم ، ولهذا أثمرت جهود العلماء ـــ حيث وجدوا الرعاية والعناية مــن الــرؤساء ، فانتجوا فى كل علم ، ودونوا فى كل فن ، وتركوا للاجيال من بعدهم تراثا خالدا ، وثروة علمية وفنية ، انتفعت بها البشرية كلها جيلا بعد جيل ، ولا تزال هذه الثروة يعتز بها المسلمون ، ولا يجحد فضلها الا الجاهلون . .

وما اروع ما يجد المتأمل من رحابة هذا الدين ، وافساحه المجال للعقل ، واطلاق عنانه ، فقد اعطاه الحرية الكاملة للبحث فى كل ميدان ، وما حجر عليه النظر فى اى ناحية ، بل ان الدين يدفع العقل ويشجعه على التزود من البحث ليحقق للانسانية ما تصبو اليه من رفاهة وعزة ، وطهر وكمال . .

ولما كان الاسلام دين البشرية ، كــان صالحا للسير مع تطوراتها ، والتمشى مع حضارتها ، على اختلاف الامكنة والازمنة ، فهو لا ينفر من الحضارة ، ولا ينأى عنها ، انما يشذبها ويهذبها ، وينقيها ممــا يشينها ، ويصفيها مما يعيبها ، حتى تظهر مجلوة فى اعلى قيمها ، وابهى صورها ، اذ كان ديــن السمو والرفعة والكمال . .

ولا شك أن الحضارات وليده العلوم ، وثمرات الجهود الفكرية ، ونتيجة التحركات العقلية ، فجــاءت تشريعاته تلائم كل عصر ، وتنظم الحيــاة الفرديــة والجماعية ، سمحة ــ سهلة ــ لا تعقيد فيها ، ولا جمود فى مبادئها وتعاليمها ، وهذه عوامل أتــاحت للسابقين الفرصة فى ان ينتزعوا الزعامة والقيادة فى كل مرافق الحياة . .

وان كان نشاط المسلمين قد فتر ، وعزائمهم قد خارت ، واصابهم ما أصاب غيرهم من الامم ، فذلك ما اقتضته الحكمة الالهية ، فان دوام الحال من المحال، والايام دول ، والدول يعتريها الضعف والاضمحلال ، والتأخر والانحلال ، ثم لا تلبث ان تنهض فتكون اقوى عزما ، واعظم شأنا ، واعز جاها وسلطانا ـــ سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . .

وان الاسلام ينادى عقلاء الامة ومفكريها : ان ينهضوا بالدولة الاسلامية ، وأن يهبوا لبناء حضارة جديدة ، تقوم على العلم الصحيح ، والمثل العليا ، والاخلاق النبيلة ، والآداب السامية ، حتى يصلوا عز الحاضر ، بمجد الغابر ، ويجددوا من الامجــاد والمفاخر ، ما كان موروثا عن أسلافهم ، واطاحت به عواصف الخمول ، فى عصور التأخر والانحطاط . .

وانا لنرى بوادر الخير لاحت فى افق الشعوب الاسلامية ودفعتهم الغيرة على مقدساتهم ومقوماتهم ـــ الى ان ينهلوا من العلوم والمعارف ، ونشطت عقولهم فى هذا العصر نشاطا يبشر بمستقبل زاهر ، ملىء بالامانى الباسمة ، والآمال المشرقة ، والله الموفق والمستعــان .

في سبيل البعث الاسلامي

من أساليب الحرب الفكرية والنفسية

للأستاذ أبو عدنان عبد القادر البوشيخي

حصر شيخ المبشرين وزعيمهم ومتولى كبرهم « صموئيل زويمر » عملية الغارة على العالم الاسلامى فى شيئين : هدم وتحليل ، وبناء وتركيب (1) والمراد بالشطر الاول هدم وتفتيت مراكز القوة فى العالم الاسلامى سياسية كانت ام دينية ، كما يعنون به « تنقية » التربة من الافكار والمبادىء الاسلامية وتهييئها للبذور الجديدة ، اما المراد بالشطر الثانى فغرس النقيض للاسلام عقيدة والحادا كان أم افكارا ومبادىء وتصورات ، وعملية الهدم والتحليل تنحصر او تكاد فى الاساليب الآتية : الشطر والتفتيت ، التجسيد والتشويه ، الحصر والعزل وكف الفعالية ، اما عملية البناء والتركيب فتعنى زرع وغرس الافكار والمبادىء والعقائد التى تكفل اخضاع الشعب وتوجيهه ، كما تعنى غرس قيادة فكرية عميلة تطبل باسم الاستعمار وحضارته ورقيه ، وتدعو الى وجهة نظره فى الحياة ، وهناك أسلوب يجمع بين التحليل والتركيب ، وهو أسلوب التحويل والتدرج فى الاستغلال ، كمحاولة الجمع بين الاسلام والشيوعية ، أو بينه وبين الراسمالية ، والهدف هو تحويل بعض الآيات الكريمة والمذاهب الاسلامية عن غرضها الاصلى ، وذلك باعطائها تفسيرات جديدة ، أو كمحاولة التهويد — تنفيذ المخطط الصهيونى العالمى — مرورا بالتشكيك اولا، فالالحاد ثانيا ، وكمحاولة استغلال فكرة التقدمية

ثم هناك اسلوب الاختفاء ،كاختفاء الهدف الاستعمارى الاستغلالى خلف التبشير ، واختفاء التبشير خلف قناع العلم والاحسان ، واخيرا اختفاء الصهيونية خلف الاستعمار واقنعته ، وسوف اخصص بحول الله حلقة لكل اسلوب من هذه الاساليب الشيطانية .

الشطر والتفتيت :

الشطر نوعان : سياسى بشرى ، فكرى نفسى . غاية الشطر السياسى تفتيت الكتلة الاسلامية الى دويلات وشعوب يسهل ابتلاعها واستنزاف خيراتها ، ويتم ذلك بتمزيق العلائق والروابط الدينية والثقافية بين الشعوب الاسلامية ، وبافساد العلاقة بين القيادة الوطنية لكل شعب أو بين الجمهور ، ثم اشعال نار الاحقاد بين مختلف الطبقات واغراء بعضها ببعض تطبيقا لمبدا صراع الطبقات الذى هو بدوره تطبيق اقتصادى لمبدا صراع الانواع الداروينى (2) اما الشطر الفكرى والنفسى فيهدف الى شطر الكيان ووضع حاجز بين قيمه الروحية والمادية ثم تفتيت كل قسم على حدة ومحاولة اظهار ما بينها من تناقض وتضارب وتضاد كفصل الدين عن الدولة ، والعلم ، والاخلاق ، ثم محاولة ضرب الدين بالعلم ، والعادات والتقاليد بفكرة الاخلاق النسبية .

وبما أن القرآن الكريم والخلافة الاسلامية هما

---

(1) الغارة على العالم الاسلامى 16 .

(2) والفكرتان معا خارجتان من كنانة المكر الصهيونى الذى يتخذ من تطاحن الشعوب وتقاتلها متنفسا عن احقاده ، واخفاء لمراميه : « لا تتصوروا أن تصريحاتنا جوفاء ، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والاثر غير الاخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الاممى سيكون واضحا لنا على التأكيد » من البروتوكول الثانى، ص 132 ترجمة محمد خليفة التونسى .

مصدر القوة الدينية والسياسية للمسلمين فان القذائف توجهت أول ما توجهت نحوهما · ونترك الكلام عن القرآن الكريم الى الحديث عن الشطر النفسى ونبدا بالشطر والتفتيت السياسى .

كانت الوحدة الاسلامية بمثابة سور ضخم وسد شامخ تحطمت على جدرانه حملات الصليبيين التى تعاقبت فى موجات متتابعة حوالى قرنين كاملين ، وفى بداية العصر الحديث اصطدم الاستعمار بالخلافة العثمانية التى كانت ــ رغم عيوبها ــ حائلا وحاجزا بينه وبين تحقيق احلامه فى السيطرة على الشعوب الاسلامية واستغلالها ، كما كانت مانعا يمنع « المبشرين » عن ايقاف المد الاسلامى الذى كان يستمد قوة انتشاره منها · لهذا جعلها الاستعمار ــ والصهيونية من ورائه ــ الهدف الاول فى قائمة المراكز التى يجب تحطيمها ، قال رئيس ارساليات التبشير الالمانية : « ان نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتابع فى البلاد النائية ولا مستعمراتنا فى آسيا وافريقية ، بل ستكون فى المراكز التى يستمد منها الاسلام قوتــه وينتشر سواء اكان فى افريقية أم فى آسيا ، وبما ان كل الشعوب الاسلامية تولى وجهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة فان كل المجهودات التى نبذلها لا تأتى بفائدة اذا لم نتوصل الى قضاء لبانتنا فيها ، ويجب أن يكون جل ما نتوخاه جمعية ارساليات التبشير الالمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهى قلب العالم الاسلامى » (3) .

وبجانب التبشير فى عقر الخلافة وضع فى جوفها لغم انفجرت بانفجاره . وهو لغم العصبية القومية ، يذكر الاستاذ عبد الله التل عامل القومية كأهم وسيلة لهدم الخلافة : « الدعوة المغرضة للقومية العربية ، التى اسهمت فى تحقيق مآرب اليهود فى القضاء على الخلافة وقد استعمل اليهود بعض مفكرى العرب واكثرهم من النصارى الذين لم يروا الا فساد الخلافة وظلمها ، فأبرزوا المساوىء على نطاق واسع ، ودعوا الى القومية العربية بأساليب بعثت الشك فى اولئك الدعاة ، الذين نادوا بتحرير العرب وفصلهم عن الخلافة مقلدين النزعات القومية التى اجتاحت دول اوروبا فى القرن التاسع عشر ، ويعترف مؤرخو العرب من النصارى بأن الرواد الاوائل لحركة القومية العربية كانوا من النصارى . وانهم تعاونوا مع الماسونية الاوروبية وفروعها ومحافلها فى المشرق العربى . . ودغدغت الحركة عواطف الكثيرين من العرب فأيدوا الحركة القومية بعضهم بحسن نية ، وبعضهم عن مكر ودهاء لضرب الاسلام فى اخطر معاقله » (4) وفى هذا المعنى كتب الاستاذ محمد محمود الصواف تحت عنوان : « كيف بدأ الاستعمار بهدم الخلافة : « لقد بدأ الاستعمار ببث الفكرة القومية بين المسلمين وبث لها عملاءه ووكلاءه من المسلمين ليدعوا بها ويجمعوا حولها الانصار والاعوان ، وبدأ ينشرها بين الاتراك انفسهم ، ومتى انتشر هذا الوعى بين الاتراك وهم رواد الخلافة واصحاب القيادة فيها استيقظ شيطان الامم الاخرى فدعت الى قوميتها وتعصبت لها . . لقد قام المدعو يوسف اقشورايك ، وهو تركى الاصل جاء من تركستان الروسية فبدأ بالدعوة الى الطورانية ووجد له الاعوان من عملاء الاستعمار ، فكشفوا عن خطتهم وابانوا عن دعوتهم وهى الدعوة الى القومية الطورانية التركية . . واسس هذا الداعية ومعه زمرة من أعوان الشيطان وجنده ، اسسوا جمعية فى اسطنبول عاصمة الخلافة الاسلامية اطلقوا عليها اسم جمعية « ترك بوردوا » اى وطن الترك . . كما قامت حركة اخرى من هؤلاء الدعاة باسم « ترك اوجاغى » اى حول الموقد التركى ، واستمر هؤلاء فى دعوتهم يتحمسون لها ويحبرون فيها المقالات ، وينشرون لها المنشورات ويؤلفون فيها الكتب والمطبوعات ويخطبون بها بين الجماهير ، ورجال المخابرات البريطانية ، من ورائهم تؤيدهم ، وتنفق عليهم وتدفعهم الى الامام كلما ونوا وضعفوا . . وهنا لعب الاستعمار دورا خطيرا مع دعاة القومية العربية آنذاك ، وكان سيرهم بتوجيهه ، بل كانت مراكز تجمعاتهم فى اسطنبول هى دور السفارات ــ لحد الآن لا زالت السفارات مراكز التخريب مخفية عملها بقناع الملحق الثقافى ــ الانكليزية والفرنسية والامريكية » (5) ونجحت المخططات الصهيونية الاستعمارية فى شطر الكتلة الاسلامية الى قوميتين وكتلتين هما العرب وغيرهم · لكن ماذا بعد الشطر ؟

---

(3) الغارة ، الطبعة الثانية ص 242 .
(4) الافعى اليهودية فى معاقل الاسلام ص 79 ·
(5) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، الطبعة الاولى 169 / 170 .

ان ظهور القومية العربية وانتشارها ليس هدفا وغاية فى نظر الذين كانوا وراءها بل ما هى الا مرحلة استغلها المخطط الاستعمارى الصهيونى ، وبعد ان ادت دورها يجب التخلص منها (6) ، لماذا ؟ لان القومية العربية بمعناها العربى الاصيل ستؤدى لا محالة الى توحيد العرب ونهوضهم كقوة خطيرة تهدد اطماعهم واحلامهم . وسواء اسمعوا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « اذا ذل العرب ذل الاسلام » وما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه «العرب مادة الاسلام» ام لم يسمعوا فانهم بالتأكيد يدركون من احداث التاريخ ان مركز الاسلام هو العرب ، وان اية قوة لهم سيكون بالتأكيد قوة الاسلام (*) ، وبما ان القومية العربية اداة للتوحيد فيجب اذن تدميرها . وكيف ؟ بافراغها من محتواها العربى الاسلامى وملئها بمفجر يفتت المجتمعين تحت لوائها الى شيع وطوائف متناحرة متطاحنة ، ان لم يكن ذلك بالبندقية والطائرة فبالقلم والمذياع والمطبعة: تحدث الدكتور اديب نصور فى كتابه « النكسة والخطأ » عن تطور فكرة القومية فقال : « عند ما بدا العرب يفكرون قوميا فى مطلع هذا القرن كان حديثهم ينصب على « الامة العربية » وكانت الامة العربية تضم جميع العرب فى بلاد العرب . وكان الحديث يجرى وينحدر من التاريخ العربى ، وينبع من الواقع العربى . ثم جاء التجريد والحديث الايديولوجى فحول « الامة العربية » الى « قومية عربية » وتحولت القومية العربية الى مذهب عقائدى والمذهب العقائدى اتخذ اساسا لتعريف الغرب من جديد ، وبهذا التجريد البعيد والحيلة الفكرية افرغت « القومية العربية » من مادتها الاساسية ، الا وهى امة العرب (7) » ويقول فى مكان آخر « والامة العربية تضم جميع العرب فى بلاد العرب هى كل العرب ، اما « القومية العربية » هذا المفهوم المجرد هذا المذهب العقائدى فقد اجاز أن تنقسم الامة العربية الواحدة الى طبقات وفئات ، وأن يجرى صراع الطبقات والفئات فى الامة العربية الواحدة كما يجرى الصراع المميت بين الد الاعداء » (8) « .. واذا جاز لنا ان نتكلم بامثال فمثل القومية العربية كأس كانت ممتلئة بعصير معتق من كروم البلاد وفى أرضها الطيبة فافرغت الكأس وجيء بمركب كيماوى مصنوع فى مختبرات بلاد بعيدة ليملا الكأس الفارغة ، وتفجر السائل المستورد وتحطمت الكأس فى يد الشاربين ، اما المركب الكيماوى فهو المحتوى الاقتصادى والاجتماعى الذى جاء به الثوريون » (9) .

ادت الدعوة الى القومية (10) دورها وهو تفتيت الكتلة الاسلامية اولا والعربية ثانيا ، وذلك بعد ما افرغت من محتواها العربى الاصيل وملئت بايديولوجية شيوعية ، يقول الدكتور « بايرد دودج » المدير السابق للجامعة الامريكية فى بيروت : « .. واليوم وقد اصبحت القومية ذات الصبغة المادية عنصرا قويا فى الفكر الاسلامى والمجتمع ، وهذا يؤدى بالطبع الى مناهضة فكرة الوحدة الاسلامية او الخلافة وكون الاسلام اخوة منظمة — فالقومية قد حلت محل المظهر الدينى للوحدة الاسلامية الى حد كبير ، وغنى عن البيان ان الشبان المسلمين الذين لا يبالون بالاسلام باعتباره نظاما عظيما هم الذين يغلب عليهم اعتناق

---

(6) المرحلية واستغلال افكار الآخرين فى تنفيذ المخطط الصهيونى من اهم الوسائل التى تبنى عليها الصهيونية سياستها : « .. واهم من ذلك أن نستعمل العواطف المتاججة فى اغراضنا بدلا من اخمادها ، وان نشجع افكار الآخرين ونستخدمها فى اغراضنا بدلا من محوها » البروتوكول الخامس ص 145 . وبالفعل استخدموا عواطف القوميتين العربية والتركية فى هدم الخلافة ثم اججوا العواطف بالدعوة الى صراع الطبقات متقنعين بقناع الشيوعية ، وهذه الايديولوجية المستوردة هى المفجر الذى فجر كأس القومية بعد ما اعطت كل ما هو مطلوب منها .

(7) النكسة والخطا ، الطبعة الاولى ص 61 .

(8) نفسه 32 .

(9) نفسه 67 .

(10) للحديث عن الدعوة الى القومية ونتائجها انظر :

ا — المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ص 44 و 169 .
ب — الحلول المستوردة 1 / 58 .
ج — الافعى اليهودية فى معاقل الاسلام 79 .
د — النكسة والخطأ .

(*) واصدق مثل على هذا نتائج الحرب الاخيرة التى رفعت رؤوس المسلمين عاليا أينما كانوا .

الشيوعية » (11) والشيوعية بدورها فكرة صهيونية ادت دورها ولا زالت تؤديه فى تنفيذ المخطط الصهيونى ودورها هو تحطيم الاديان وتأجيج نار العداوة والبغضاء بين الافراد والشعوب : « .. اننا نسخر فى خدمتنا جميع المذاهب والاحزاب : من رجال يرغبون فى اعادة انشاء الملكيات ، واشتراكيين وشيوعيين ، وحالمين بكل انواع الطوباويات ولقد وضعناهم جميعا تحت السرج ، وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقى من السلطة ، ويحاول ان يحطم كل القوانين القائمة » (12) وهم باذرو بذور النزعات القبلية والعصبية والخلافات العقائدية والمذهبية « لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع اغراض الاميين الشخصية والقومية بنشر العصبيات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا » (13) .

وليس هدم الخلافة ثم تفتيت الكتلة الاسلامية هى اول عمل اجرامى قام به اليهود ، فقد بدات محاولاتهم فى فجر البعثة النبوية : « مرشاس بن قيس — وكان يهوديا شديد الطعن على المسلمين — على نفر من الاوس والخزرج بعد ان نزع الاسلام ما بينهم من احقاد وضغائن ، فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم فجلس اليهم ، واخذ يجرهم شيئا فشيئا الى احداث الماضى المشحون بالعداوة والخصومة ، واخذ ينشدهم بعض ما قيل فى حروبهم من الشعر فحرك وجدانهم وهاج من عصبيتهم ، وما زال بهم حتى تنادوا فيما بينهم : السلاح ، السلاح ، وكاد يقع الصدام فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم مخاطبا اياهم : ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام ، واكرمكم به .. واستنقذكم من الكفر والف بين قلوبكم ، فعرف القوم عندئذ انها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا (14) »

واذا كانوا قد فشلوا فى حلم الشطر والرسول صلى الله عليه وسلم حى فانهم سرعان ما نجحوا بعد فى التهيىء لمعركة صفين ثم استغلال نتائجها (15

راينا فيما سبق ان التفتيت بدا اولا على صعيد الوحدة والخلافة الاسلامية ، ثم هبط الى صعيد القومية العربية ، اما المرحلة الثالثة فتفتيت الشعب الواحد داخل قطر واحد ودولة واحدة ، والبداية هى وضع حاجز وفاصل بين القيادة والجمهور : « اننا نخشى تحالف القوة الحاكمة فى الاميين مع قوة الرعاع العمياء غير اننا قد اتخذنا كل الاحتياطات لمنع احتمال وقوع هذا الحادث ، فقد اقمنا بين القوتين سدا قوامه الرعب الذى تحسه القوتان : كل من الاخرى ، وهكذا تبقى قوة الشعب سندا الى جانبنا ، وسنكون وحدنا قادتها ، وسنوجهها لبلوغ اغراضنا » (16) وفى كتاب « اليهودى العالمى » ترجمة اخرى لهذه الفكرة تجعل الحاجز « .. سورا عاليا من الخصومات المتبادلة بين هاتين القوتين » (17) «... والحاكم لم تكن له سبل الى قلوب رعاياه ، ولهذا لم يستطع ان يحصن نفسه ضد مدبرى المكائد والدسائس الطامعين الى القوة ؛ وقد فصلنا القوة المراقبة عن قوة الجمهور العمياء ؛ ففقدت القوتان معا اهميتهما ، لانهما حين انفصلتا صارتا كأعمى فقد عصاه » (18) وبعد فصل القيادة عن الجمهور تأتى مرحلة تفتيت الشعب ، يقول هنري فورد مؤلف كتاب اليهودى العالمى : « وكل الاسلوب الذى شرحته البروتوكولات ينطوى على التفتيت والتحليل ، فالمطلوب هو تجزئة الشعوب الى احزاب وشيع ، .. وبعد ان ذكر ان وسيلة التجزئة هو نشر افكار متضاربة قال : « وتكون النتيجة من كل هذا تجزئة ضخمة وقلق عنيف : وهذا هو الهدف المقصود » (19) وجاء فى البروتوكول الخامس « ولضمان الراى العام يجب اولا ان نحيره كل الحير

(11) الاسلام فى القرن العشرين ، الطبعة الثانية ص 193 .
(12) البروتوكول التاسع ص 157 .
(13) البروتوكول الخامس ص 144 وانظر هنا ايضا اليهودي العالمى ص 89 .
(14) اليهود فى القرآن : الطبعة الثانية ص 29 .
(15) انظر كتاب البروتوكولات المشار اليه ص 80 والصراع الفكرى فى البلاد المستعمرة لمالك بن نبى ص 134 وانظر ايضا مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية عدد 3 سنة 2 ص 39 .
(16) البروتوكول التاسع ص 158 .
(17) اليهودى العالمى ص 103 .
(18) البروتوكول الثالث ص 134 .
(19) اليهودى العالمى ص 90

تغييرات من جميع النواحى لكل اساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الاميون .. وهذه السياسة ستساعدنا أيضا فى بذر الخلافات بين الهيئات ، وفى تفكيك كل القوة المجتمعية » (20) .

هذا واشير فى النهاية الى ان اسلوب الشطر التفتيت له تطبيق جغراق ، كتجزئة سوريا الى سوريا ولبنان والاردن . وكتجزئة اليمن وتقسيم باكستان . وكمحاولة تجزئة نيجريا والسودان العراق . وليس هناك دولة فى العالم شوهها الشطر والتفتيت ــ لا المانيا ولا الفيتنام ولا كوريا ــ كالمغرب، فقد فتت الى ستة اقسام .

فعسى ان تكون فى هذه الامثلة والشواهد تبصرة وذكرى لمن نسى ان قانون « فرق تسد » لا زال مفعوله يسرى . وآثاره تستفحل وتستشرى .

(يتبع)

مكناس : ابو عدنان عبد القادر البوشيخى

(20) البروتوكولات 147 .

دراسات مقارنة :

الذمة والأهلية في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ عبد الرحيم بنسلامة

مـدخـل :

الذمة وصف شرعى اعتبارى ، يقصد بها فقهاء الشريعة الاسلامية من ناحية سلبية الالتزام ، فاذا قالوا فى ذمة عمرو مائة درهم عنوا بذلك انه ملزم بأداء المبلغ المذكور لصاحبه .

والذمة فى اللغة يعنى بها العهد او الكفالة ، قال تعالى : « لا يرقبون فى مومن الا ولا ذمة » . وفى الحديث الشريف : (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم) .

وعرف ابن الحاجب الذمة بأنها : امر تقديرى يفرضه الذهن فلا وصف ولا ذات لها .

وعرفها ابن عرفة بأنها ملك متمول كلى حاصل ومقدر يخرج منه ما امكن حصوله .

نظرة فقهاء الشريعة الاسلامية الى الذمة والاهلية

1) الفقيه عبد الرزاق السنهورى :

يقول الفقيه الكبير السنهورى بأن الذمة سابقة لوجود الاهلية فهى تثبت للجنين منذ تكوينه جنينا فى بطن امه حيث تكون له ذمة ناقصة تصبح كاملة حين ولادته حيا ، وبذلك تصبح له اهلية وجوب تؤهله بأن يلزم (1) ويلتزم ، فالجنين عند ما يكون فى بطن امه تكون له ذمة واهلية ناقصة تخوله حقوقا كثيرة فهو يرث ويوقف عليه ويوصى له ، بل عند ما يولد حيا يمكن ان يلزم ويلتزم وينوب عليه فى ذلك وليه او الوصى عليه او المقدم .

وهكذا نستنتج من نظرية الفقيه السنهورى : أن الذمة سابقة للاهلية فلا يشترط لها لا البلوغ ولا الرشد ولا التكليف ولا التمييز وانما يجعل الولادة مع

(1) الاهلية نوعان : اهلية وجوب او تمتع ، واهلية اداء او تصرف ، فأهلية الوجوب هى صلاحية الشخص للتمتع بالحقوق دون التحمل بالالتزامات ، وهى تثبت لكل انسان — ولو جنينا — شريطة ان يولد حيا ، لان الاهلية هى الاصل وعدمها هو الاستثناء .
اما اهلية الاداء فهى صلاحية الشخص للالتزام وهى تختلف باختلاف العقود والتصرفات التى يباشرها الانسان والذى يعدمها هو الجنون والسفه والحجر .

الحياة شرطا لتمام الذمة التى عنها تترتب اهلية الوجوب .

) الفقيه مصطفى الزرقاء :

ان الفقيه الزرقاء يخالف الفقيه السنهورى فى نظريته فهو يرى بأن الذمة ما هى الا وعاء تقديرى اعتبارى يقدر قيامه فى الشخص لاثبات الديون والالتزامات فى شخصه .

وهكذا يرى بأن الذمة لا تثبت للانسان الا بعد ان يولد حيا ، فلا تكون له ذمة ، وبالتالى لا اهلية اذا كان جنينا فى بطن امه .

فوجه الخلاف بين الفقيهين السنهورى والزرقاء يتحدد فى النقط الثلاث التالية :

ا) الزرقاء يرى بأن الذمة تترتب على الاهلية ، اى ان الانسان يجب ان تكون له اهلية حتى تكون له ذمة لانها مجرد وعاء ، بينما السنهورى يرى بأن الذمة هى الاصل والاهلية مترتبة عليها .

ب) الزرقاء يرى بأن الجنين لا تكون له ذمة لانه لا اهلية له ، فلا ذمة ولا اهلية الا بعد ولادة الجنين حيا ، لكن السنهورى يقول : بما ان الجنين فى بطن امه يرث ويوقف عليه ويوصى له — اذا ولد حيا — فان له ذمة اى له وعاء تقديرى ويترتب على ذلك ان له اهلية وجوب ناقصة تكتمل بميلاده .

ج) اذا كان الزرقاء يجعل الولادة مع الحياة شرطا للحصول على الاهلية كنتيجة لثبوت الذمة ، فان السنهورى يجعل الولادة مع الحياة شرط تمام للذمة التى تترتب عليها اهلية الوجوب .

) الفقيه القرافى :

يشترط الفقيه القراقى فى الذمة البلوغ والرشد ، فمن بلغ سفيها او مجنونا فلا ذمة له ، وكذلك المحجور عليه والمفلس ، على عكس ما يراه الفقيهان السنهورى والزرقاء حيث لا يشترطان فى الذمة البلوغ والرشد .

4) الفقيه المقرى :

لا يشترط الفقيه المقرى فى الذمة البلوغ ، ولكنه يجعل الحجر على الراشد البالغ سببا لاستيفاء ذمته، فالعبد والمفلس لا ذمة له فى نظره .

5) الفقيه بن الشاط :

يقول اذا كانت للصبى ذمة تجعله قابلا للحقوق والالتزامات فان له اهلية وجوب وذمة للزوم التعويض على أروش الجنايات وقيم المتلفات ، فاذا الحق الصبى ضررا بالغير فانه يعوض عنه من ماله كثبوت ذمته .

6) العلامة علال الفاسى :

يقول المرحوم علال الفاسى براى السنهورى الذى يجعل الاهلية نتيجة لثبوت الذمة ، اى ان الذمة اولا ، والاهلية بعدها ، فالذمة عنده هى الشخصية وهى التى تؤهل الانسان للاهلية لقبول اللزوم والالتزام، وحيث ان الذمة وعاء تقديرى فلا مانع من اعتبار الجنين ذا ذمة لانه ذو وعاء تقديرى يحصل له به الاغتناء عن طريق الميراث والوصية والوقف ويكفل له ذلك بمجرد ولادته حيا .

والمرحوم علال ينتقد نظرية الفقيه الزرقاء الذى يقول فيها بأن الجنين ليس له ذمة ولا اهلية حتى يولد ، فى حين ان جميع الفقهاء يقرون الذمة للصبى ، فهى تثبت له وهو جنين فى بطن امه ، فلا يشترط فيها التمييز فضلا عن التكليف ، فالمميز وغير المميز والراشد وغير الراشدكلهم يتمتعون بالذمة ويكونون ملزمين فى ذمتهم بتعويض كل الاضرار التى يحدثونها للغير .

نظرية الذمة فى الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى

لم يوضح القانون الفرنسى حقيقة الذمة المالية (2) لكن الفقيهين (ابرى) و (روا) حاولا فى القرن التاسع عشر تعريف الذمة فى كتابهما فقالا : « ان الذمة ليست الا نتيجة وجود الشخصية » ،

(2) كانت فرنسا الى سنة 1854 تعتبر الرقيق ناقص اهلية ، ليست له ذمة ولا اهلية ، وبالتالى لا يمكن ان يلزم . وكان نظام الموت المدنى يعمل به حيث يحكم على المدين بالموت المدنى فيصبح بدون ذمة ولا اهلية فتستحق تركته وتعتبر كانه ميت ، وكل هذا تنهى عنه الشريعة الاسلامية فى احكامها العامة والخاصة .

فنظرية الذمة فى راى هذين الفقيهين تنتج مباشرة عن الشخصية ومجموع حقوق الشخص تكون كلا قانونيا أو جماعيا هو « الذمة » ·

وعليه حسب النظرية الفرنسية التى يقول بها (ابرى وروا) تكون الذمة :

— مجموعة قانونية ·

— هذه المجموعة مرتبطة بالشخص ·

— الذمة وحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ·

فالنظرية التى يدافع عنها (ابرى) و (روا) تقوم اذن على الرابطة بين الشخص والذمة ، لان الذمة ما هى الا صفة للشخص ·

الا ان ضيق هذه النظرية الفرنسية الكلاسكية يتجلى فى كون الذمة تشكل كلا لا يتجزأ امام الدائنين ، فكم من تاجر يرغب الا يدخل فى معاملته الا بعض متاعه محتفظا بالباقى لحماية نفسه ، لكن النظرية التى تقول بعدم تجزئة الذمة والتى تبنتها النظرية التقليدية الفرنسية لا تقبل منه ذلك ·

وبالنسبة للاشخاص المعنوية فان الذمة هى التى تجعل لمؤسسة ما شخصية واهلية ليصبح لها وجود قانونى ·

وحسب راى (ابرى وروا) او النظرية الفرنسية التقليدية فان الذمة لا يمكن تحويلها ولا تجزئتها لكن يمكن نقلها بسبب الموت ، فالوارث ليس الا امتدادا لشخصية الموروث ، وقد برهنت هذه النظرية على خطئها لانها تقيم رابطة وثيقة بين الشخصية والذمة مما جعل القانون الفرنسى يتخلى عنها اخيرا حيث اخذت عدة تشريعات تعمل بمبدأ تجزئة الذمة المالية وهو ما تدعو اليه النظرية الالمانية الحديثة التى سادت فى القرن العشرين معتبرة الذمة مجموعة اموال مخصصة لغرض دون أن تكون مرتبطة بوجود شخص معين ·

واذا كانت النظرية التقليدية قد وجهت لها انتقادات شديدة لكونها :

1 — تجعل لكل شخص لزوما ذمة مالية ·

2 — تجعل لكل ذمة مالية شخصا تستند عليه ·

3 — تجعل للشخص ذمة مالية واحدة ·

4 — تجعل الذمة المالية امتدادا للشخصية ·

فان النظرية الالمانية الحديثة التى اعتنقها الاشتراكيون تجعل من الذمة وظيفة اجتماعية وكيانا اقتصاديا ، فحسب هذه النظرية تكون الذمة المالية :

— ضمان لديون الدائن ·

— مستقلة عن الشخصية ·

— الذمة مجموعة قابلة للتجزئة ، فمن تلقى جزءا منها يعتبر خلفا عاما ·

فاذا افترضنا أن شخصا اتلف مالا مخصصا لاستغلال صناعى فان مبلغ التعويض يحل محل المال التالف وفقا لنظرية « تخصيص الذمة » فلا يكون الذى اتلف المال ملزما بالتعويض الا فى نطاق الجزء المخصص للاستغلال الصناعى لا فى كل ماله ، كما أنه اذا كان احد الاشخاص مساهما فى شركة ما ووقع افلاسه فان ديونه لا تؤخذ الا من حصته فى الشركة ، فلا يمكن ان تؤخذ من حصص كل المساهمين لتخصص الذمة فى حين ان النظرية التقليدية التى تقول بعدم تخصيص الذمة تجعل الشركاء متضامنين لان الذمة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ، فالشركة لها ذمة واحدة بغض النظر عن الشركاء فيها ·

مقارنة بين احكام الشريعة والقانون

بعد ان عرفنا وضع الذمة فى الفقه والقانون الغربى على ضوء النظريتين الفرنسية والالمانية فعلينا ان نتساءل عن موقف الفقه والشريعة الاسلامية فى هذا الباب ، هل تتفق مع النظريتين الفرنسية والالمانية أم تخالفهما ؟

الواقع ان الفقه الاسلامى سبق كثيرا من النظريات الفقهية الغربية الى تحليل نظرية الذمة فهو ينظر اليها بنظرة تخالف نظرة المقلدين والمحدثين فهو ينظر اليها كمجموعة من المال تندمج فيها اجزاؤه ولا كوحدة لا تتجزأ ولكن ينظر للذمة كوعاء تقديرى يقوم بالشخص ، فهى تتعلق بالانسان منذ أن يكون جنينا حتى يلقى الله ، وربما تبقى بعد موته عند ما يحتاج الى [illegible] تصفية تركته ، [illegible] عكس [illegible] التى

تزول احيانا بعوارض الجنون والسفه والحجـر ، فالذمة تبقى مع وجود هذه الحالات .

الا ان بعض الفقهاء كالشيخ خفيف والدكتـور محمد سامى ذكروا بأن الفقه الاسلامى تأثر بالنظرية التقليدية الشخصية التى تأخذ بمبدأ وحـدة الذمـة المالية ، والصحيح ان هناك خلافا بين الفقهين الاسلامى والغربى ، ويتجلى هذا الفرق فى كون :

1 ــ الذمة فى الفقه الاسلامى وصف تصدر عنه الحقوق والواجبات المالية ، اما الذمة فى الفقه الغربى فلا تشمل الا الحقوق والالتزامات .

2 ــ فى الفقه الاسلامى تبدأ الذمة من الشخص وتنتهى الى المال ، اما فى الفقه الغربى تبدأ الذمة بالمال وتنتهى الى الشخص .

3 ــ الذمة فى الفقه الاسلامى لا تجعل المـال مجموعا ، اما الفقه الغربى ــ ولا سيمـا النظريـة التقليدية ــ يجعل المال مجموعا لا يتجزأ .

موقف القانون المغربى من الذمـة والاهليـة

لقد رجعنا الى عدة تشريعات مغربية ولا سيما مدونة الاحوال الشخصية ، وقانون الالتزامات والعقود المغربى ، فتبين لنا ان المشرع تناول موضوع الذمة والاهلية بشكل لا يدعو الى الجدل الفقهى .

فالبنسبة للاهلية نصت مدونة الاحوال الشخصية على احكامها فى الفصول من 133 الى 146 .

اما الذمة فلا نجد لها نصوصا متعددة فى قانوننا المدنى تتناول احكامها اللهم الا ما جاء فى الفصل 1241 من قانون الالتزامات والعقود الذى تأثر فيه المشرع المغربى بالمشرع الفرنسى الذى تأثر هو الآخر بالنظرية التقليدية التى سبق تحليل مضمنها .

مصـــادر البحـث :

ــ القرآن الكريم .

ــ السنـة النبـويـة .

ــ الوسيط ــ عبد الرزاق السنهورى

ــ المدخل لدراسة الفقه ــ مصطفـى احمـد الزرقـاء .

ــ مقاصد الشريعة الاسلامية ــ علال الفاسى

ــ المعاملات فى الفقه الاسلامى (محاضرات) علال الفاسى .

ــ المعاملات فى الشريعة الاسلامية ــ أبو الفتح

ــ العقود فى الفقه الاسلامى ــ الصابونى

ــ مدونة الاحوال الشخصية المغربية

ــ قانون الالتزامات والعقود المغربى .

Droits Privés — Obri et Roit
Droits Réels — « «
Droits de créance — « «

الرباط : عبد الرحيم بن سلامة

المدرسة القرآنية في الصحراء المغربية

2

للأستاذ
سعيد أعراب

من القبائل التى اشتهرت بالدراسات القرآنية ، وبرز فيها ائمة مقرئون ، ـ قبيلة (آيت ابا عمران) ، معقل الابطال ، وموطن اهل العلم والفضل ، وكانت اول مدرسة عرفها التاريخ بالصحراء ، مدرسة (اكلو) ـ بضاحية (تزنيت) ، اسسها العالم المصلح وجاج ابن زلو اللمطى ، نسبة الى لمطة : الاسم الاصلى لقبيلة (آيت ابا عمران) ، وتصحف في بعض عصور التاريخ باسم (بعمرانة) (39) .

ومن مشاهير القراء الباعمرانيين :

أبو العباس احمد بن ابراهيم بن احمد البوكرافى ، المعروف بانجار ، كان في (اكلو) ـ كقرينه اعجلى بجبال جزولة ، فكلاهما رفع راية الروايات السبع ، وحظى بانتشار التلاميذ الذين تخرجوا به ، مع صلاح واعتقاد الناس (40) .

ونجهل كل شيء عن حياة ابى العباس انجار ، وعن شيوخه الذين اخذ عنهم ، وكل ما نعرف انه كان قطبا من اقطاب هذا الفن ، يحفظ العشر الكبير ، وتخرج على يديه كثيرون ، نذكر منهم :

1 ـ أبا عبد الله محمد بن عبد الله الضحاكى ، نسبة الى (الضحاك) من قرى (آيت ابا عمران) ، حفظ القرآن بمسقط رأسه ، ثم التحق بمدرسة (اكلو)، فأخذ عن الشيخ انجار ، وكان من عمد القراءات السبع، امام جليل القدر ، قليل النظر في عزلته ، وفي عزوفه وعبادته ، وفي اقباله على تعليم القرآن بمختلف الروايات.

اقرأ بمدرسة بوكراف مدة ، وكان عنده من اصحاب القراء ، نحو خمسة وثمانين ، منهم اصحاب قالون ، والبصرى ، والمكى ، فكان يمر على الواجهم ـ اصحاب حمزة ـ وهم من اتقنوا السبع ، وكان هو فقط يمر على الواح السبعيين ، تجعل امام بيته الذى ينعزل فيه ، فيأخذها مرة واحدة في الهاجرة اليه ، فاذا مر بها وضعها في نافذة فيحركها ، فيتناولها اربابها ، وكان صاحب عزلة ، وللناس فيه اعتقاد عظيم ، وكانت العصا لا تفارق يده ، وعند ما انقطع الى داره في مرضه الذى توفي منه ، جاء الطلبة لتوديعه ، فصار يوصى كل واحد منهم بالتقوى وخوف الله ، (ت 1323 هـ)(41)

2 ـ ابو الحسن اشطاب ، من حفاظ السبع ، كان يقطن (تارحالت) ، اقرأ بمدرسة (الخميس) بآيات بو بكر وغيرها ، (ت 1345 هـ) (42) .

(39) انظر المعسول 11 / 38 ، ـ 39 ، وج 12 / 197 .
(40) المعسول 5 / 294 .
(41) المعسول 12 / 198 .
(42) خلال جزولة 4 / 200 .

3 — ابو عبد الله محمد بن احمد التيمولاتى ،
اخذ عن انجار حرف مكى ، ويقال انه لا يزال عند اسرته
لوحه فيه ختمة للقرآن ، عليه آثار لقلم انجار ·

وكان لابى عبد الله التيمولاتى اعتقاد خاص فى
استاذه ابى العباس ، وهو الذى ارسله لطلب العلم ،
فاخذ عن جماعة من الشيوخ ، وحصل كثيرا من العلوم
والفنـــون ·

قضى جل حياته فى تعليم كتاب الله بتيمـــولاى
السفلى ، ثم فى العليا ، (ت 1352 هـ) (43) ·

4 — ابو عبد الله محمد بن العربى من قريـــة
(تامدا اير عمان) من (اداوزال) ·

كان ابوه انتقل اليها من (تاركانت) من قبيلــة
(اداوزيكى) ، حفظ القرآن بقريته ، ثم انتقل الى (اكلو)
حيث اخذ عن الشيخ انجار ، ثم طوف على شيوخ هذا
الفن ، فأتقن القراءات ، برواياتها ، فتصدى للاقراء
بمدرســة (اكلى) بالمنابهة ، فجاءته يوما عجوز ليقرا
رسما فلم يستطـــع ، وحاول أن يعتذر لها ولكن بدون
جدوى ، فقالت له العجوز : وماذا قرات اذن فى حياتك ؟
فطلق ما كان فيه ، والتحق بمدارس العلم ، فاكب على
التحصيل بهمة لا تعرف الفتور ، وكان اذا صعب عليه
تحصيل شىء — لكبر سنه — يقول : آه مما امضيناه
فى غير العلم ! ولكنه مع ذلك ، حصل نصيبا وافرا من
الفنون ، (ت 1345 هـ) (44) ·

وللشيخ انجار ثلاثة احفاد ، كلهم يتقنون القراءات
السبع ، خلفوه فى اداء رسالة هذا الفن ·

توفى — رحمه الله — سنة (1286 هـ) ، ودفن
بمسجد (اكلو) على يمين الداخــل الـــى مصلـــى
المسجد (45) ·

ومن آثاره القرآنيـــة :

1 — منظوم فى الارداف ، اسمـــاه (بستـــان
المبتدىء) ، وموضع الارداف كتب فيه كثيرون ، ويقال

ان اول من ابتدعه المغاربة والاندلسيون ، ولم يكـــن
السلف يجمعون بين الروايات فى ختمة ، بل يقراون
كل رواية على حدة ، وانما حدث ذلك اثنـــاء المائـــة
الخامسة للهجرة ، على عهد الدانى ومكى والاهوازى
والهذلى ومن بعدهم (46) ·

ولعل اقدم من الف فى ذلك من المغاربة ، ابـــو
الحسن على بن سليمان الانصارى ، مقرىء فـــاس
وشيخ جماعتها ، (ت 730 هـ) ، واسمى كتابه : (ترتيب
الاداء ، وبيان الجمع فى الاقراء) (47) · وقد لخص
اكثـــر مسائله ابـــو العلاء ادريس المنجرة فى كتابه :
(نزهة الناظر والسامع ، فى اتقان الارداف والاداء
للجامع) (48) ·

وتحدث عن الموضوع باسهاب ، ابن عبد السلام
الفاسى — فى كتابه (الوقف والإبتداء) — ، وذكر ان
طريقة المغاربة فى ذلك — منذ عهد ابن غازى واشياخه
— ان الطالب اذا حفظ القرآن برواية ورش ، جمع
اليه رواية قالون فى ختمة او اكثر مما يتأتى حفـــظه
فيه ، فاذا حفظ حرف نافع ، جمع اليه حرف عبد الله
ابن كثير من روايته فى ختمة او اكثر فاذا حفظ حرفيهما
جمع اليهما حرف ابى عمرو البصرى من روايته ايضا —
فى ختمة او اكثر كذلك .

فاذا حفظ الاحرف الثلاثة ، جمع اليها الاحرف
الاربعة الباقية من رواياتها الثمان — دفعة واحدة ·

طريقـــة اهـــل صحـــراء سوس :

وربما جمع بعض قراء اهل السوس الى الاحرف
الثلاثة ، حرف ابن عامر الشامى من روايته كذلك ،
ثم جمع الثلاثة الباقية الى الاربعة (49) ·

وعمدة ابى العباس انجار فى منظومته (البستان)
— ابن عبد السلام الفاسى ، فقد ضمنها اكثر مسائله —
كما يصرح هو نفسه بذلك ·

(43) انظر المعسول 12 / 207 — 210 ·
(44) المعسول 14 / 195 — 198 ·
(45) خلال جزولة 1 / 78 ·
(46) انظر النشر 2 / 195 ، وغيث النفع ص 10 — 11 ·
(47) انظر الميثاق س 8 ، ع 134 ·
(48) الميثاق س 9 ، ع 151 ·
(49) انظر الميثاق س 9 ، ع 157 ·

2 ـ تاليف فى رمزية الشامى مع اثنين من اصحابه

كان لاهل سوس والصحراويين بعامة ـ اعتناء خاص بحرف الشامى ورواته ، ولذا نرى مترجمنا يفرد رمزيته بالتاليف ·

والرمز فى القراءات من صنع المغاربة ، لا تعرفه المدرسة الشرقية ، ولعل اول من رمز الى شيوخ القراءات بالاحرف الابجدية ، ابو القاسم الشاطبى (ت 590 هـ) :

جعلت ابا جاد على كل قارىء
دليلا على المنظوم اولا اولا

فجعل (ابج) لنافع وراوييه ، فالهمز لنافع ، والباء لقالون ، والجيم لورش ·

و (دهز) لابن كثير وراوييه ، فالدال لابن كثير ، والهاء للبزى ، والزاى لقنبل ·

و (حطى) لابى عمرو البصرى وراوييه ، فالحاء لابى عمرو ، والطاء للدورى ، والياء للسوسى ·

و (كلم) لابن عامر الشامى وراوييه ، فالكاف لابن عامر ، واللام لهشام ، والميم لابن ذكوان ، وهكذا (50) ·

ثم خصت الرمزيات بالتاليف ، فكانت هناك رمزية قالون ، ورمزية نافع ، ورمزية البصرى ، ورمزية ابن كثير ، ورمزية حمزة (الشيخ) ، ورمزية ابن عامر ، وسواها ·

وظهرت اخيرا مدرسة العدد ، فاضافت الى رموز القراء ، عدد وجوه القراءات ، واختلاف الروايات ؛ وكانت اخيرا لها شهرة ذائعة بشمال المغرب ، تشد اليها الرحال من سائر الجهات (51) ·

ولما زار السلطان المولى الحسن الاول (آيت ابا عمران) فى رحلته الاخيرة الى الصحراء ، سنة (1303 هـ) ـ مثل بين يديه وفد من الطلبة (القراء)؛ يتقدمهم طالب يدعى محمد الخلفى الباعمرانى ، فاختبره السلطان ـ على عادته (52) ـ وكان مما سأله عنه قوله تعالى : « ما لها من فواق » ، فاجابه الطالب الصحراوى بقراءة حمزة (53) : « ما لها من فواق » بضم الفاء (54) ·

ومن خريجى المدرسة ، بآيت ابا عمران ، ـ ابو محمد الحاج الحسين من اهل قبيلة (آيت عبلا) البعمرانية ، وكان بطلا شهما ، (لا يصطلى له بنار ؛ ولا يزال ذكره شائعا ـ الى الآن ـ بالشجاعة والرجولة (الفذة) (55) ، ابلى البلاء الحسن فى المعركة التى قادها الجنرال (لاموط) ـ الى آيت ابا عمران ، ودافع دفاعا مستميتا الى أن سقط صريعا فى ساحة الشرف (1335) (56) ·

اما مدرسة الساقية الحمراء ـ واعنى بها مدرسة الشيخ ماء العينين ـ فقد اهتمت الى جانب تعليم القرآن وحفظه ، ورسمه وتجويده ـ بالتربية وتهذيب النفوس؛ وهى ـ كما يبدو ـ متأثرة بالمدرسة الصوابية (57) ؛ التى رفعت راية الاصلاح بسهول جزولة ، وجمعت بين العلم والعمل ـ كما اومأت الى ذلك فى صدر هذا البحث (58) ·

---

(50) انظر ابن التاصح على الشاطبية ص 18 ·

(51) انظر الميثاق س 9 ، ع 162 ·

(52) كان السلطان مولاى الحسن فى الشمال او الجنوب يسأل ـ بالدرجة الاولى ـ عن القراء ، وحفاظ كتاب الله ، فيذاكرهم ويختبرهم ، وقد حدثنى بعض الشيوخ انه لما زار جبل العلم ، بشمال المغرب ـ حيث المقر المشيشى ـ اتصل بالفقيه ابن عبد الوهاب المقرىء ، فأعجب بتبحره فى علوم القرآن؛ وكان الطالب المعروف بالردام ، اول من احرز على الجائزة الاولى ، ـ لحفظه القرآن ـ على صغر سنه ·

(53) هى قراءة حمزة والكسائى وخلاد ، وقرا الباقون بالفتح ، انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ص 552 والتيسير للدانى ص 3 ـ مخطوط خاص ، والنشر لابن الجزرى 2 / 361 ·

(54) فى خلال جزولة 4 / 59 ـ (فواق) ـ بضم القاف ، وهو تصحيف ·

(55) المعسول 10 / 213 ·

(56) نفس المصدر ، وانظر ج 3 / 392 ـ 394 ·

(57) خلال جزولة 4 / 36 ·

(58) انظر مجلة دعوة الحق س 17 ع 6 ، ص 74 ·

والشيخ ماء العينين ، هو ابو الانوار محمد
ـصطفى — واشتهر بلقب (ماء العينين) — بن الشيخ
ـكبر محمد فاضل بن مامين ، من الشرفاء الادارسة
ـذين انتقلوا الى الصحراء .

ولد بالحوض — فى القبلة — عام (1247 هـ)
ـلازم والده ملازمة المريد لشيخه ، فنال منه ما نال
ـن العلوم والمعارف ، وربما كان شيخه الوحيد ،
ـلما شب عن الطوق ، رحل الى المشرق ، وأدى فريضة
ـحج عام (1274 هـ) — وله من العمر (28 سنة) ،
ـكانت له فرصة للاتصال بأهل العلم والمعرفة ، وممن
ـيه بمكة الشيخ عبد الرحمان افندى ، ويذكر انه
ـحتفل بملاقاته ، وقدم اليه هدايا سنية ، وقد اخذ
ـنه ابو زيد افندى سر حرف (الحاء) (59) ، — والشيخ
ـاء العينين من الماهرين فى علم اسرار الحروف — الذى
ـحدث عنه ابن خلدون فى المقدمة (60) .

وقد دون رحلته هذه الى الحجاز ، وضمنها آثار
ـحرمين الشريفين .

تردد على ملوك المغرب منذ مولاى عبد الرحمان ،
ـتى عهد مولاى عبد الحفيظ ، وقدم اليهم الولاء
ـالطاعة ، انتقل الى الساقية الحمراء فى حدود
1277 هـ) (61) وبنى بها مدينة (الصمارة) (62)
ـهم الذين شجعوه على بناء المدينة ، وقدموا اليه كل
ـلمساعدات ، وظلت القوافل تحمل الميرة من الصويرة
ـى الساقية الحمراء (63) .

كان شجى فى حلق المستعمر ، قاومه بكل قواه
ـتى آخر رمق من حياته ، وكان له نفوذ واسع فى قبائل
ـصحراء ، وشهرة ذائعة فى سائر الاقطار .

كان عالما عاملا ، متبحرا فى علوم الشريعة ،
ـلجا الضعفاء والمساكين ، ومأوى الارامل والعجزة
ـالايتام ، له يد سخية لا تصرف حدودا ، (امضى حياته
كلها فى العلم وفى تدريسه ، والتاليف فى عالم الفنون
حتى نظم « المزهر » ، وحتى تعالى الى جميع ما اتفق
عليه الفقهاء ، فانتشرت به علوم جمة ، وتخرج به
فطاحل عظام من الصحراويين (64)) :

هو الشيخ ماء العينين : عين شريعة
وعين حقيقة فليس منازع (65)

وصفه بعضهم بقوله : (.. ناصح
الامة ، المفرج عنها كل غمة مدلهمة ، بحر الولاية ،
وشمس فلك الرواية والدراية ، مركز دائرة فنون
العلوم ، وقاموس محيط المعانى والفهوم ، حجة الله
البالغة ، وآياته البينة الدامغة ..) .

ويقول فى حقه صاحب الوسيط : (.. هو العلامة
الوحيد ، له معرفة بعلوم الشرائع : من الحديث والفقه
وغير ذلك ، ما جاء بعد الشيخ سيدى مثله فى اقبال
الناس عليه وانفاقه .. كان فاضلا كريما ، لا يوجد
أحسن منه اخلاقا ، وقد اجتمعت به — حين خروجى
من مدينة شنقيط الى مراكش ، فى توجهى الى الحجاز
رايت منه ما حيرنى ، لانى اقدر من معه فى وادى اسمار
من الساقية الحمراء ، بعشرة آلاف شخص ، ما بين
أرملة ومزمن ، وصحيح البنية ، وكل اصناف الناس،
وكل هؤلاء فى ارغد عيشة ، كاسيا من ذلك الشيخ ..
مع حسن معاشرته لهم ، لا فرق عنده بين ولده
والمحسوب عليه ، ومتى بلغ الانسان قريبا منه ، يسمع
مريديه يذكرون الله ، وينشدون الادعية ، ورأيته فى
تلك الايام التى أقمت عنده ، لا تفوته صلاة الجماعة
فى اول الوقت ، مع كبر سنه ، وضعف جسمه ، وبعد
العصر يسرد له الحديث وهو يسمع ، ثم يشرح لهم
بعض المواضع منه ..) (67) .

ولا نريد أن نتوسع فى ترجمة هذا الشيخ ، فقد
افردت بالتاليف ، والذى يهمنا ، أن نسلط بعض اضواء
على المدرسة المالسينية بالصحراء ، التى احتضنت آلاف
التلاميذ والمريدين ، وخرجت عشرات العلماء الافذاذ .

---

(59) انظر نعت البدايات ص 187 .
(60) انظر الفصل الثالث والعشرين من المقدمة ، ص 6 و 9 — 915 .
(61) المعسول 4 / 97 .
(62) ولم يتم بناء مدينة الصمارة الا فى نحو (1322 هـ) .
(63) انظر المعسول 4 / 93 .
(64) المعسول 4 / 85 .
(65) من افواه الرجال 1 / 128 .
(66) انظر خاتمة كتاب (نعت البدايات) ص 269 .
(67) انظر الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط ص 365 — 368 .

واكثر مواد الدراسة بهذه المدرسة — زيادة على تحفيظ القرآن ، وتعليم رسمه وتجويده — التفسير — الحديث — الفقه — الاصول ٠

ومن الذين اعتمدهم الشيخ لتعليم كتاب الله ، وتدريب التلاميذ على النطق الصحيح بالحرف القرآني — ابو عبد الله محمد بابه الصحراوى ، كان من المهرة فى القرآن — حفظا ، ورسما ، وحسن اداء ، صحب الشيخ ماء العينين ، واخذ عنه ، وكان يقرأ الحزب الراتب بين يديه ٠ (ت 1342 هـ) (69)

وكان الشيخ ماء العينين يتولى بنفسه تدريس القرآن (التفسير) ، ويعقد مجالس الفقه والحديث والاصول ٠

وكان الى جانب المدرسة الفسيحة الارجاء ، — داخلية كبرى ، يأوى اليها مآت التلاميذ والمريدين ، مع مكتبة ضخمة ، تضم آلاف المجلدات من مطبوعات ومخطوطات ، واكثرها من هدايا السلاطين ، والعلماء الكبار ، فى الشرق والغرب ٠

وقد أفاد منها كثير من اساتذة المدرسة ، الذين تفرغوا للبحث والتاليف ٠

وعند ما انتقل الشيخ الى (تزنيت) — امام ظروف قاهرة — نقلها معه ، حيث وافاه اجله هناك سنة (1328 هـ) ، — عن عمر مديد ، ملىء بجلائل الاعمال ٠

خلف آثارا علمية قيمة ، وجلها مطبوع بمصر وفاس ، منها :

1 — شرح نفيس على كتاب راموز الحديث ، على ترتيب الجامع الصغير : تاليف ضياء الدين الكشمخانوى الاسلامبولى ٠

2 — نعت البدايات ، وتوصيف النهايات ٠

3 — نظم المزهر — فى اللغة ٠

4 — منظومة فى التوكل والتكسب — وهى غريبة المبانى ، لا يكاد يلتصق فيها حرفان — على حد تعبيره ، وقد اسماها (راتق الفتق) ، وله عليها شرح يحمل عنوان (فاتق الرتق) ، جمع فيه من شوارد اللغة ونوادرها ، ما يدل على سعة اطلاع الرجل فى هذا الميدان ٠

5 — دليل الرفاق ، على شمس الاتفاق ٠

7 — مذهب المخوف ، على دعوات الحروف ٠

8 — مبصر المتشوق — فى التصوف ٠

9 — المرافق على الموافق ٠

10 — تبيين الغموض ، على النظم المسمى بنعت العروض ٠

11 — مفيد الحاضرة والبادية ٠

12 — ابراز اللآلىء المكنونات ، فى الاسماء الظاهرة والمضمرات ٠

13 — مجموع يشتمل على رسائل (70)

ومن خريجى المدرسة المالعينية :

1 — ابو العباس احمد الهيبة ، بن الشيخ ماء العينين ، تربى فى حجر والده ، ورضع افاويق العلم والفضل منذ نعومة اظفاره ، وهو من العلماء الذين رفعوا راية الجهاد فى وجه المستعمر عند فرض الحماية ، وقد التفت حوله قبائل الصحراء ، وبايعوه على الموت فى سبيل الله ، وظل يقاوم — واذناب الاستعمار يبثون التفرقة بين صفوفه ، الى ان انتهى به المطاف — الى كردوس (بعقيلة) ، ولم يبق معه ، الا شرذمة قليلة من اصحابه ، حيث توفى هناك سنة (1337 هـ) (71) ٠

2 — النعمة بن الشيخ ماء العينين ، ساعد والده فى تسيير شؤون المدرسة ، وكان من اساتذتها البارزين يغلب عليه الخشوع والتبتل ، الف فى ريق شبابه تآليف عدة ، بعضها مطبوع ، وكانت وفاته سنة (1339 هـ) (72) ٠

3 — ابو العباس احمد بن الشمس ، عالم جليل ، اخذ عن الشيخ ماء العينين — وهو عمدته ٠ (ت 1342 هـ) (73) ٠

4 — مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين ، اخذ

---

(68) وقد اورد فى المعسول 4 / 305 — قائمة باسماء الذين كتبوا عن حياة الشيخ ماء العينين وذكر مؤلفاتهم٠

(69) المعسول 3 / 29 — 30 ٠

(70) انظر معجم المطبوعات 1601 ، ومعجم المؤلفين 289 ، (560 ، واعلام الزركلى 8 / 145) ٠

(71) انظر — ترجمته فى المعسول 4 / 101 — 246 ، والاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام 2 / 289 — 303 ٠

(72) انظر المعسول 4 / 273 — 274 ، وج 14 / 51 ٠

عن والده وعلماء حضرته ، كان الساعد الايمن لاخيه احمد الهيبة ، وله من الحزم والعزم والاقدام ما لو تسنى له الانفراد بالراى ، لكان له ما يكون ، وكان الى ذلك اديبا ذواقة للادب ، يقرض الشعر ويجيد القول فيه (ت 1361 هـ) ، خلف نحو (120) مؤلفا (74) .

5 — ابو عبد الله محمد سالم بن عبد الفتاح الصحراوى ، من قبيلة (ادا وعلى) من (تاكانت) ، انتقل والده الى الساقية الحمراء ، ونزل على الشيخ (ماء العينين) ، وهناك ولد المترجم ، حفظ القرآن على الشيخ محمد بابه الصحراوى ، وتخرج على اساتذة المدرسة المالعينية ، (ت 1364 هـ) (75) .

6 — ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز العالم الورع ، اخذ عن الشيخ ماء العينين ، وكان له فى تقوى الله والورع أوصاف يتناقلها الناس بالاعجاب ، (ت 1370 هـ) (76) .

7 — سيديا بن احمدو بن سليمان ، من بنى ديمان بالقبلة ، ينتسبون الى السلالة البكرية التيمية ، وهم من العرب الداخلين الى الصحراء قديما ، اخذ عن علماء بلده ، ثم وفد على الشيخ ماء العينين — الصمارة — هو واهله فارين من جيوش الاحتلال التى هاجمتهم فى عقر دارهم سنة (1325 هـ) .

اخذ عن الشيخ ماء العينين علوما ، منها علوم الاصول ، ثم هاجر معه الى تزنيت ، فلم يزل يأخذ عن الشيخ الى ان توفى ، ثم اتصل بابنائه (الهيبة) و (النعمة) ، وسواهما . وعند ما تم احلال صحراء سوس ، عاد الى مسقط راسه حيث توفى هناك سنة (1373 هـ) (77) .

— فى آخرين — وهم كثير (78) .

ولما تولى السلطان مولاى الحسن الاول عرش المغرب (1291 هـ) كلف بعض حاشيته أن يأتوه بعالم يأنس به ، ويذاكره فى شؤون دينه ودنياه ، واقترح ان يطلبوه من قبائل الصحراء ، فأتوه بالشيخ محمد البهالى — من الشرفاء السباعيين بالركيبات ، وقالوا له : لا نرتضى لك غير هذا فى علمه ودينه وورعه ، وحسن ادبه وسمته ، فلازمه مدة ، وكان يصحبه اينما حل وارتحل (79) .

وفى زيارته للصحراء سنة (1303 هـ) — وهو فى طريقه الى تزنيت عند مرجعه من (وادى نون) — عرض له صف من الطلبة ، اندلق من بينهم شاب من آل البصير المشهورين فى قبائل الركيبات بالساقية الحمراء ، فأراد الحجاب أن يردوه ، فأشار اليهم السلطان أن دعوه ، فوقف بين يديه ، فسأله من هو ؟ فعرفه بأسرته ، وان مقصوده أن يدعو له بنيل رضى الله الاكبر — ودعاء السلطان مستجاب — فتبسم السلطان ، وبعد مداولة حديث ، أمر له بجائزة سنية (80) .

وعند وقوفه بوادى نون ، كتب الى الشيخ ماء العينين يدعوه الى حضرته ، ومما جاء فى الرسالة التى وجهها الى الشيخ :

وابرح ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الديار من الديار
ولكن للعيان لطيف معنى
لذا سال المعاينة الكليم

ثم سافر الشيخ الى مراكش سنة (1304 هـ) ، فتلقاه الملك بالاجلال والتكريم ، وحين جلس اليه ، قال له الشيخ : انى زرت جدك مولاى عبد الرحمان فجعلنى ابنا ، واباك فجعلنى اخا ، فقال له مولاى الحسن : وانا اجعلك ابا ، ثم ودعه الملك ، واسند اليه النظر على تلك الناحية ، من طرفاية الى الداخلة وما بينهما (81) .

فاذا توغلنا فى تخوم الصحراء المغربية ، نجد اكبر مدرسة عرفها التاريخ بهاته الجهات : مدرسة ابن الاعمش الجاكانى .

وقد اسسها عند ما وضع التخطيط النهائى لمدينته الجديدة (تيندوف) — فى حدود سنة (1270 هـ) ، وساعده على تشييدها اخواله ابناء قبيلة (تجاكانت) ،

---

(74) انظر المعسول 4 / 247 — 272 ، وخلال جزولة 2 / 185 .
(75) المعسول 3 / 35 — 38 .
(76) نفس المصدر ص 299 .
(77) نفس المصدر ص 26 — 28 .
(78) انظر خلال جزولة 2 / 184 — 185 ، والمعسول 4 / 285 — 302 .
(79) المعسول 12 / 161 .
(80) نفس المصدر ص 111 .
(81) المعسول 4 / 98 .

فكان الرجال يخدمون نهارا ، والنساء ليلا ـ احتسابا للـــه ٠

وكان حجر الزاوية لهذه المدينة ـ الجامع الاعظم، فهو اول ما بنى بها ، ثم تتابع سير البناء (82) ٠

وابن الاعمش ، هو العالم المقرىء ، ابو عبد الله محمد المختار بن الاعمش الاكبر ، (من اهل الصيت الذائع ، وله اتباع كثيرون ـ نظير الشيخ ماء العينين غير ان ابن الاعمش اكثر تحقيقا ، واوعى لجميع الفنون، وهو حجة فى الجميع ، زاهدا فى الدنيا ، لم يلتبس بشىء منها (83) ٠

كان والده من فطاحل العلماء ، ومـــن الفقهاء الكبار ، تدل على ذلك فتاواه المخطوطة (84) ٠ وقد ولد بشمامة ـ ازاء (كندر) ، وهناك تعلم ، واخذ عــن مشايخ بلده ، ثم حج ومر فى طريق عودته بـ (تجاكانت) فنزل عندهم ثم تزوج ، وهناك ولد له ولـــده محمـــد المختـــار ٠

ثم رجع الى شمامة ، وبها توفى قبـــل سنـــة (1260 هـ) (85) ٠

تعلم ابو عبد الله المختار (مترجمنا) على والده، وعلى غيره من علماء (شمامة) ، ثم نزل بالشيخ محمد ابن الشيخ المختار الكنتى ، فلازمه حتى صار بحـــرا متفجرا بفنون العلم والمعرفة ، وكان الشيخ استخدمه فى انتساخ بعض كتبه ففتح عليه ، ثم ودعه فذهب الى اخواله : آل (تجاكانت) ، فشارطه رئيس القبيلـــة ـ ويعرف بالديمانى ـ : يعلم بنيه ، ويؤم به فى الصلاة٠ وقد زوجه بنتيه بالتتابع ، وبعد موت الديمانى ـ صهره، فارق شمامة ، ونزل بالمكان الذى اسس فيه مدينـــة (تيندوف) ، ومدرسته التاريخية ـ كما أومأنا الـــى ذلك آنفا ٠

وكان للملوك العلويين اهتمام زائد بهذه القبائل ، وخصوصا آل (تجاكانت) ، فقد كان فيهم علمـــاء ، وافاضل صلحاء ، وهناك ظهائر تتعلق بهم ، وتضفى عليهم كل اجلال وتقدير ٠

ومن رجالاتها الكبار ، القائد احمد بن مالك الذى تولى على هذه الجهات ـ منذ عهد مولاى الحسن ، الى عهد المولى عبد العزيز (86) ٠

وقد تصدى ابو عبد الله بن الاعمش لمحاربـــة اصحاب السطو من قبائل الركيبات ، واصدر عدة فتاوى بمحاربتهم وقتالهم ، لانهم قطاع الطريق ، يسعون فى الارض فسادا ، وكان مكرمـــا لآل البيت ، يسميهـــم (اخوان الله وجلاويزه) (87) ٠

(كان عالما جليلا ، يدوى صوته فى كل الجهات ، وهو فريد فى العلوم ، وفى القراءات ، تاليه يصار فى حل المعضلات ، وفتح ابواب المشكلات ، وظل هناك يعلم القرآن ، ويدرس الحديث) (88) ٠

وهكذا قضى اكثر حياته فى التدريس والتعليـــم ، والفصل بين الخصوم ، وقد تلمذ له كثيرون ، نذكر منهم:

1 ـ ابا عبد الله محمد محمود التركزى الشنقيطى علامة عصره فى اللغة والادب ، مر فى طريقه الـــى المشرق على الشيخ ابن الاعمش بتيندوف ، فتلقى عليه جملا من الحديث (ت 1322 هـ) (89) ٠

2 ـ ولده احمد دكنا الذى سنتحدث عنه كخليفة عـــن والـــده ٠

3 ـ ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن عبد الله بن محمد البيروكى ، عالم مشهـــور ، عاش اواخر القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر للهجرة ، اخذ عن الشيخ بن الاعمش علوم القرآن ، وكان يتقن القراءات السبع ، وللناس فيه اعتقاد ٠

اقرا بـــ (تاهلا) و (تانالت) ، ثم القى جرانه فى بلده (بوفتاركا) ، تخرج على يديه نحو سبعين من كبار العلماء ، وفى آخرة عمره كف بصره ، ولم يترك الدراسة قط فى النحو واللغة ، والتفسير والحديث ،

---

(82) المعســـول 18 / 159 ٠
(83) المعسول / 329 ٠
(84) المعسول 18 / 158 ـ 159 ٠
(85) نفس المصـدر ٠
(86) نفس المصـــدر ٠
(87) الجلاوزة : الاعـــوان ٠
(88) المعســـول 18 / 159 ٠
(89) الوسيط ص 381 ٠

والفقه والفرائض والحساب — مع ملازمته للعبادة (90)

4 — محمد المولود اكبر اولاد الشيخ بن الاعمش له يد في العلم والمعرفة ، وكان شغله الشاغل تلاوة القرآن ؛ توفي اوائل القرن الرابع عشر الهجري ، ودفن في روضة والده بتيندوف (91) .

5 — ابو عبد الله محمد الامين بن الشيخ بن الاعمش ، عالم جليل ، كبير القدر ، له رسائل في الحض على صون النساء (92) .

6 — ابو محمد عبد الله بن الشيخ بن الاعمش ، له رسوخ في العلم ، وكان يجول في القضاء بين الناس (ت 1326 هـ) (93) .

7 — ابو الحسن على بن التهامي ، كان عالما نسيبا ، تزوج احدى بنات الشيخ ابن الاعمش ، وهو الذي بنى قبة ضريحه بتيندوف (94) .

ومن الشيوخ الذين تولوا التدريس بالمدرسة البلعمشية :

1 — محمد محمود التكرى الآنف الذكر ، درس صحيح البخاري بمدرسة تيندوف ، واخذ عنه ابو العباس دكنا وغيره (95) .

2 — الشيخ ماء العينين ، زار المدرسة البلعمشية — عند عودته من الحج في حدود سنة (1275 هـ) وقد افاد من مكتبتها ، وربما اقرا بها (96) .

3 — محمد يحيى الولاتي ، كان عالما متبحرا في علوم التفسير والحديث ، اقرا بالمدرسة البلعشمية ايام ابي العباس دكنا — حين مروره الى الحج سنة (1312 هـ) — واودع بخزانة المدرسة كثيرا من كتبه — عند ما عجز عن الاصحار بها (ت 1330 هـ) (97) .

توفي الشيخ ابو عبد الله بن الاعمش سنة (1285 هـ) ، ودفن بتيندوف في مشهد عليه قبة بنيت على شكل قباب المغرب ، ولم تكن عادة اهل الصحراء بناء القباب (98) .

وقد خلف آثارا علمية ، منها :

1 — نصيحة ذوي الرسوخ .

2 — شرح اضاءة الدجنة — لابي العباس المقرى — في التوحيد .

3 — مؤلف في رسم المصحف .

والذي يعنينا — في هذا الحديث — ما كتبه عن رسم المصحف ، وقد الف الداني كتابه (المقنع) ، وابن نجاح (التنزيل) ، والشاطبي (عقيلة الاتراب) ، وابو الحسن البلنسي المراكشي (المنصف) ، وابو عبد الله الخراز (مورد الظمآن) (99) .

ومن الصحراويين المعاصرين للشيخ ابن الاعمش — ابو العباس احمد بن عمر الجاكاني ، المعروف بطوير الجنة ، (ت 1330 هـ) ، له نظم في خذف القرآن ، اسمام (السراج) (100) .

وابو الفضل المحجوب الصحراوي ، له قصيدة لامية في الثبت والحذف ، رتبها على حروف المعجم ، وهي كلها رموز ، وله عليها شرح مبسط (101) .

والرسم عندهم قسمان : قياسي ، وتوقيفي ، فالقياسي : تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها والوقف عليها ، ويرادف الخط والكتابة .

اما الرسم التوقيفي ، فهو علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لاصول الرسم القياسي . وانواع المخالفة ستة : حذف ، زيادة ، بدل ، فصل ، وصل ، هاء التانيث .

وخلف الشيخ ابن الاعمش — ولده ابو العباس

---

(90) المعسول 14 / 308 — 312 .
(91) المعسول 18 / 160 .
(92) نفس المصدر .
(93) نفس المصدر .
(94) نفس المصدر .
(95) المعسول 18 / 160 .
(96) المعسول 4 / 97 .
(97) المعسول 8 / 224 ، وانظر شجرة النور الزكية ص 435 .
(98) المعسول 18 / 160 .
(99) انظر الميثاق س 8 ع 125 .
(100) انظر سوس العالمة ص 199 .
(101) انظر الميثاق س 10 ع 164 .

احمد دكنا فى تسيير شؤون المدرسة ، وسار على نهجه حذو النعل بالنعل ، حتى انه حارب — على عادة والده — اهل الفساد من قبائل الركيبات ٠ ويقال انه كان عنده سر الحرف ، كما كان عند اهله ، وهو فى سيرته مع الناس وديع متواضع ، يأخذ عن العلماء — اقرانه الذين يمرون عليه الى الحج ، فقد اخذ عن محمد محمود التركزى ، ومحمد يحيى الولاتى — فى آخرين (102) .

(كان عالما فقيها ، مشاركا فى العربية والفرائض والتاريخ وعلم الاسماء ، والتفسير والحديث والسير ، قائما على ساق الجد فى دائرة عمله : يدرس ويقضى ويفتى وينسخ . وقد احيا الله به العدل فى تلك الجهات ، لانه كان جبلا راسخا فى الحق ، وكان حينا من الدهر قاضى كل جهات (تامانارت) ، لا يعلى عليه ٠ وقد مثل فى حضرة السلطان مولاى الحسن ، ومدحه بقصيدة ، نولاه قضاء (تيندوف) ، وهناك ظهائر سلطانية باحترام وتوقير آل ابن الاعمش ، لعلمهم وفضلهم) (103) .

وبعد وفاة الشيخ دكنا ، خلفه ولده أمانة الله ، وينطق به الصحراويين — هكذا : (منتلا) . اخذ عن والده ، ثم عن الاستاذ محمد مبارك — الامام الراتب بجامع (تيندوف) .

وكان له بصر حاد فى الفقه ، تولى قضاء تيندوف الى ان توفى نحو (1360 هـ) (104) ، وربما كان آخر علماء الاسرة البلعشمية — بهذه المدينة الحافلة بالامجاد٠

وعند ما رزىء اهل (تيندوف) بالحاق مدينتهم بالصحراء الفرنسية ، واهمال المغاربة شأنها — وهى كما يقول بعض المؤرخين تحت انفهم وبين اعينهم — تفرقوا أيدى سبا ، والتحق كثير منهم بوطنهم الام (المغرب) ، وللباطل جولات ، ولا بد للحق ان ينتصر

فبان من هذا العرض السريع ، ان الصحراء كانت دار قرآن ، وعلم وفقه ودين ، زاخرة بالفقهاء والقراء والمصلحين ، عامرة بالمساجد والزوايا ، والمدارس والخزائن العلمية ، وانها ظلت — فى احقاب التاريخ — العضو الذى لا ينفصم من المغرب ، وستبقى الى الابد — بحول الله .

بقى ان نقول كلمة المراة الصحراوية التى شاركت اخاها الرجل فى سائر الميادين ، وخصوصا عند المحنة ، وتصاعد الازمات ، فقد رأيناها فى المسيرة الخضراء تتقدم الصفوف ، وتحمل الرايات ، وتتأبط المصاحف ، وتنادى باعلى صوتها : لبيك ياصحراء ، يا اماه . . !

ومن النساء الشهيرات خريجات المدرسة القرآنية:

1 — خناثة بنت الشيخ بكار المغافرى ، زوج السلطان الاعظم المولى اسماعيل ، وجدة الملوك العلويين .

كانت عالمة اديبة ، لها اعتناء بالحديث ورجاله ، ذكرها ابو عبد الله اكنسوس وقال : ان لها حواشى بخطها على هامش نسخة من كتاب الاصابة — للحافظ ابن حجر .

ويوجد المجلدان ، الثالث والرابع بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم (4932) .

ذهبت الى الحج عام (1143 هـ) ، وصحبت معها حفيدها المولى محمد بن عبد الله — وهو دون البلاغ ، توفيت سنة (1155 هـ) (106) ، ودفنت بروضة الاشراف بالمدينة البيضاء بفاس .

2 — رقية بنت الشيخ احمد الصوابى ، تعلمت على والدها ، وتولت بعده تسيير شؤون المدرسة الصوابية — على كثرة ما كان بها من تلاميذ ، ومريدين ، وشيوخ .. وقد اومأت الى هذا فى القسم الاول من هذا البحث (107) ٠

3 — تعزى بنت الفقيه عبد العزيز التيزكى السملالى ، عاصرت العالم المقرىء محمد بن ابراهيم اعجلى (ت 1271 هـ) ، وكانت مشهورة بالدين والوعظ والصلاح (1288 هـ) .

4 — مريم بنت محمد سالم بن عبد الله بن احمادو ،

---

(102) المعسول 18 / 161 — 162 .
(103) نفس المصدر ص 163 .
(104) المعسول 18 / 165 ٠
(105) انظر الاستقصا 7 / 58 ، 131 ، 138 ، 158 ٠
(106) انظر مجلة دعوة الحق س 17 ع 6 ص **74** ٠
(107) المعسول 11 / 127 — 128 .

من قبيلة آل سالم ، المعروفين بالعلم من اجيال ، اشتهرت بمريم الصحراوية ، وهى قرينة الشيخ محمد سالم بن عبد الفتاح الشنقيطى ، وقد ذكرناه — ضمن تلاميذ الشيخ ماء العينين ، وكانت عالمة قانتة عابدة ، نزلت مع زوجها بزاوية (ايليغ) وبدات تعلم بنات آل الحاج صالح ، وتهتم بتربية اولادها وبناتها ، وتعمل على تثقيفهم وتهذيبهم .

كانت تتهجد الليالى الطوال ، وتتلو القرآن بغنة تسحر الالباب ، انتقلت فى سنة (1355 هـ) مع زوجها الى (تادلا) ، وظلت هناك تعلم بنات الشيخ ابراهيم ابن البصير — الى أن توفيت فى حدود سنة (1356 هـ) (108) .

5 — (ماحا) زوج الشيخ ماء العينين ، ووالدة الشيخ احمد الهيبة ، كانت عالمة فاضلة ، تخرجت على يد مريم الصحراوية الآنفة الذكر ، وعنها اخذت سيرتها وسمتها الحسن (109) .

6 — عائشة بنت الطيب بن خالد بن محمد الاكمارى ، زوج الفقيه العالم ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الواقى ، تمت الى اسرة عريقة فى العلم والفضل ، وكانت عالمة فقيهة ، تحفظ مترجم (المختصر) للهوزالى — بالشلحة . وربما ساعدت زوجها فى فصل بعض القضايا التى تستعصى عليه ولا يجد لها مستندا . (1336 هـ) (110) .

7 — خديجة بنت محمد البيضاوى ، كانت فقيهة عالمة ، مستحضرة للسيرة وسائر الفنون .

هاجرت الى مراكش ، فتصدت لتعليم ابنائها ، وكانت تدرسهم كتب اللغة والنحو والتاريخ والسير (111) .

8 — رقية بنت الشيخ محمد العربى الادوزى (عالم جزولة) ، وزوج الشيخ العالم الصوفى ابى الحسن على بن احمد الالغى ، اتقنت حفظ القرآن الكريم ، وختمته سبع ختمات ، كانت اول معلمة — من النساء فى (ايليغ) ، (1342 هـ) (112) .

فى اخريات وهن كثيرات لا يتسع لهن صدر هذا البحث المقتضب . ويذكر احد المؤرخين المعاصرين فى بعض مذكراته عن قبائل الساقية الحمراء ووادى الذهب — أنه شاهد بقبائل الصحراء فى الركيبات — نساء عالمات ، اديبات ، اقل بضاعتهن فى الفقه — : المرشد المعين لابن عاشر ، وارجوزة القرطبى ، وفى الادبيات : المعلقات السبع ، وايام العرب .

وزاد يقول : وفيهن مدرسات للعلم فى جميع الاوقات ، وجميع الانصبة . . وقد شاهدنا امراة وسطا تحلى عليهن الشيخ خليل بلا شرح ، فخاضت فى شرح متنه ، وحررت مسائله احسن تحرير بلا تكلف فى ادارة املائه ، وحولها من آخذات العلم ، ما يزيد على ستين امراة ، ويحضرن ايضا مجالس العلماء الذكور (113) .

ويكفى ان نعرف ان بأجر سيف فى قبيلة (امانوز) — مقبرة ، فيها جناح خاص للنساء الحافظات للمدونة — وهو الكتاب المفضل فى الفقه الاسلامى (114) .

وبمقبرة (تاجاكانت) من النساء الحافظات للقرآن الكريم — ثلاث عشرة — وهن من خريجات المدرسة البلعشمية بـ (تيندوف) (115) .

ويرحم الله الشاعر الصحراوى اذ يقول :

آه لمعهد دين كان يعمره
قد اقفر منه اى ايوان !

تطوان — سعيد اعراب

---

(108) المعسول 3 / 57 .
(109) نفس المصدر .
(110) المعسول 11 / 87 ، 94 .
(111) خلال جزولة 4 / 157 .
(112) وهى والدة علامة سوس استاذنا المرحوم محمد المختار السوسى ، كتب عنها ترجمة وافية فى المعسول 3 / 39 — 44 .
(113) انظر مذكرات المانوزى فى المعسول 3 / 404 .
(114) انظر سوس العالمة ص 155 .
(115) المعسول 18 / 161 .

التاريخ المغربي المفترى عليه

للاستاذ

عبد القادر القادري

الدولة العلوية ومواقفها فى نصرة المسلمين وفى الدفاع عن حوزة الوطن المغربى وفى استرجاع ثغوره من قبضة النصارى وموقف الدول الاوروبية منها وتحالفها عليها ، هذه أمور قد طرقها المؤرخون المغاربة طرقا .

وقد آثرنا ان نطرق امرا لم يطرقه هؤلاء المؤرخون وطرقه المؤرخون المشارقة طرقا تحاملوا فيه على السلطان المقدس المولى عبد الرحمن الا وهو التدخل المغربى خلال فتح فرنسا للجزائر .

يقول المؤرخ المصرى **جرجى زيدان** مؤسس مجلة الهلال وصاحب كتاب تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر : « .. فتعبت فرنسا من الامير عبد القادر الجزائرى وهو لم يتعب فأبدلت قائد الحملة وبعثت القائد القديم **بوجود** ومعه الجيوش المجشية ولم تكتف بذلك بل اغرت سلطان مراكش على مساعدتها وفى اواخر سنة 1847 علم بقدوم المراكشيين وكانوا يزيدون على الخمسين الفا فخاف الامير على رجاله وان يكن لم يعرف الخوف قبل فعادت اليه نخوته فهجم ليلا بذلك الجيش القليل وفرق شمل المراكشيين ثم عادوا فاجتمعوا ثانية وهاجموه فطاردهم وظهر عليهم ولكنه خسر جانبا من رجاله فرأى الانسحاب افضل لـه » .

ويقول المؤرخ المصرى **حبيب جاماتى** :

« .. وحاول الفرنسيون أن يحدوا من سلطان الامير عبد القادر الجزائرى ثم جردوا حملة كبيرة للقضاء عليه ولكنه تمكن من ابادة هذه الحملة وعاودوا الكرة عليه بقوات جديدة فى سنة 1835 ثم عززوا قواتهم مرات ، فلم يستطيعوا أن يقهروه ، وجرت مفاوضات للصلح انتهت بعقد معاهدة بين البلدين ، وفى خلالها بنى مدينة تجارية كبيرة ونظم الجيش على الطريقة الحديثة، وانشا مصانع عسكرية ومدنية ومدارس كبيرة ، وبعد ذلك حاولت فرنسا خرق المعاهدة وتصدى هو لمقاومتها وهزم جيوشها مرات واخيرا تمكنت فرنسا من اغراء سلطان مراكش بمحاربته ، وجرت بينهما معارك حامية كان النصر فيها حليفه ، حتى سنة 1847 ثم آثر التسليم لفرنسا .. » .

اما **شارل أندريه جوليان** الاستاذ الشرقى بالسربون والعميد الشرفى لكلية الآداب بالرباط سابقا فيقول

فى هذا الصدد فى بحث له نشر بمجلة البحث العلمى الرباطية فى عددها الثالث1964 بعنوان : التدخل المغربى فى الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية سنة 1830 : » « لم يفطن امبراطور المغرب ولا باى تونس بان احتلال العاصمة الجزائرية فى 5 يوليوز 1830 كان يعتبر المرحلة الاولى فى رضوخ المغرب ، فمنذ صعود السلطان مولاى عبد الرحمن الى الحكم سنة 1822 لم تفتأ العلاقات تتدهور بين المغرب والدول الاوروبية التى كان يقلقها زيادة على هذا التدهور تجدد حرب التسابق منذ سنة 1825 وتضاعفت المنازعات الى حد تنبلة طنجة من طرف الانجليز فى سنة 1828 ، وقنبلة العرائش واصيلا وتطوان من طرف النمسا سنة 1829 وبعد سنة 1830 اخذت بعض الصعوبات تجعل المغرب وجها لوجه ازاء فرنسا فى غرب الجزائر ، ولم يكن المخزن يرتبط بعلاقات ودية مع الاتراك فى الجزائر فالدرقاويون الذين كانوا يدعون الى تمرد فى منطقة وهران وذلك فى بداية القرن التاسع عشر كانوا يفعلون ذلك بموافقة السلطان مولاى سليمان ان لم يكن بمساندته وزوايا عين ماضى التجانية التى كانت تثير القلاقل فى ناحية الاغواط كان يحميها المولى عبد الرحمن . .

وساعد رد فعل الراى العام التدخل المغربى ففى اليوم نفسه الذى تراس فيه برتيزن جيش الاحتلال اكد السلطان عبد الرحمن لنائب قنصل فرنسا بطنجة حقوقه على تلمسان **وواجباته ازاء مسلمى الجزائر وكان جزائريو تلمسان قد طلبوا من قبل مساعدة السلطان مولاى سليمان سنة 1806 فطلبوا من السلطان ان يعترف بهم كرعاياه وكان هذا الاخير قد رفض طلبهم بناء على فتوى علماء فاس ولكنه رضخ فى الاخير نظرا لضغط الرأى العام فعين صهره مولاى على بن سليمان وكان عمره آنذاك 15 سنة خليفة على تلمسان تحت وصاية القائد ادريس عامل وجدة فى 7 نونبر 1830 ودخلت القوات المغربية الى تلمسان ورحب بهم «الحضر» بينما بقى « الكولوغليون » وهو خليط من الاتراك والمغربيات فى المشور . .**

وادى نجاح مهمة الكونت شارل دومورناى لدى المولى عبد الرحمن بالفرنسيين الى اعتبار قضية احتلال منطقة نف؟ الباى فى الغرب سطلة تقضى 22 مارس 1832 استقبل المولى عبد الرحمن السفير فوق العادة تحت جدران مكناس وذلك فى حفلة كبرى رسمها الرسام الفرنسى الرومانى دولكروا الذى كان ضمن حرس الشرف وبعد احدى عشرة مقابلة بين السفير الفرنسى وممثلى المخزن وافق السلطان على استدعاء ابن الحمرى من تلمسان وايقاف كل عملية فى الجزائر وهذا ما ادى الى انسحاب العملاء الموفدين الى مليانة ومديه وكذلك وافق على عدم تكليف القنصل الانجليزى بالجزائر بالمصالح المغربية وذلك لانه كان يشك فيه بانه ضد الاحتلال وهكذا رجع الوفد الجزائرى الذى كان موجودا بالعاصمة الشريفة بدون أن يحصل على الحماية المعول عليها وغادر ابن الحمرى تلمسان بعد ان ترك امر تنظيم المقاومة فى يد جزائرى تلقى لقب خليفة السلطان محيى الدين ، وفى أوائل أبريل اختارت قبائل ناحية معسكر كرئيس لها شيخا وهو رئيس زاوية ينتمى الى بنى هاشم وزاوية القادريين ولكنه رفض لقب ملك وكان مسنا فلم يستطع ان يمثل روح الاستقلال عند القبائل ولكن أحد ابنائه وهو عبد القادر كسب شعبية كبيرة وذلك لانه حج عدة مرات ولانه لم يكن مهاودا ازاء المستعمرين مما احاطه بهالة من الاساطير .

وفى 24 نونبر 1832 اجتمعت ثلاث قبائل وهى : بنو هاشم وبنو عامر وقبيلة غرابة فى سهل « اغريس » واختارت عبد القادر الذى كان عمره 24 سنة ملكا ولكنه رفض لقب ملك واتخذ لقب خليفة المولى عبد الرحمن ثم لقب اميرا وبعد ذلك لقب امير المومنين ، وكان مصير رئيس المقاومة مرتبطا بالمغرب كما كان مصير « يوغرط » منذ تسعة عشر قرنا خلت وقد لجا عدة مرات الى المغرب .

وفى سنة 1847 سلم الامير عبد القادر نفسه الى الجنرال لامور يسير على الحدود المغربية بعد ان تابعته القوات الشريفة والقوات الفرنسية وبعد ان ابان عن مزايا القائد العسكرى ورجل الدولة مما جعل منه شخصية قوية » .

ويقول المؤرخ المغربى احمد خالد الناصرى فى كتابه الاستقصا : « ان الامير عبد القادر الجزائرى طمع فى الجلوس على عرش المغرب . . »

وصفوة القول ان السلطان المقدس المولى عبد الرحمن آزر الامير عبد القادر الجزائرى فى مقاومة الغزو

العسكرى الفرنسى للجزائر وهذه هى التى ادت بالجيش المغربى الى الانهزام فى معركة ايسلى الشهيرة سنة 1844 والى قنبلة طنجة والصويرة من طرف الاسطول الفرنسى والى اضطرار المولى عبد الرحمن الى عقد معاهدة الصلح مع الفرنسيين حفاظا على استقلال المغرب من السقوط فى قبضة الاستعمار .

فلولا حنكة المولى عبد الرحمن السياسية لاصبح المغرب مستعمرة فرنسية كالجزائر ولكان بامكان فرنسا آنذاك ادماج المغرب والجزائر معا فى مستعمرة واحدة ولحال ذلك دون تنفس اهل الجزائر الصعداء فى المغرب المستقل طيلة الثورة الجزائرية التى عجلت بحصول الجزائر على استقلالها عام 1962 ، زيادة على ان المملكة المغربية قامت بدور مهم والجزائر ثائرة فى رفضها هى مشروع فرنسى لتمزيق اراضى الجزائر .

وليس من شك فى ان دخول المغرب فى القرن الماضى الحرب ضد فرنسا لاغاثة الامير عبد القادر الجزائرى ووجود قادة الجزائر السياسيين والعسكريين لدى الملك محمد الخامس الملاذ الامين ورفض المغرب المشروع الفرنسى لتمزيق اراضى الجزائر ابان الكفاح الجزائرى المسلح هى اعمال تنكر فتشكر .

« وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ».

> نحن اوفياء للسياسة الاقتصادية التى سلكناها باستمرار ومنذ الاستقلال : أن يكون الاقتصاد بالمغرب اقتصادا مغربيا .
>
> جلالة الملك الحسن الثانى

خدعنا المستشرقون فقالوا :

إن مساجد المغرب ليس بها ما هو عربي

● للدكتور عثمان عثمان إسماعيل ●

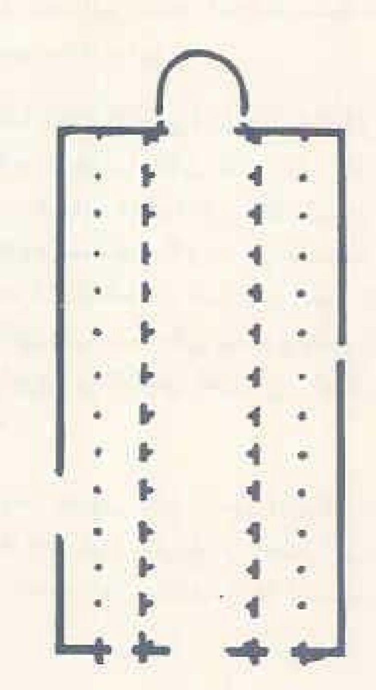
قبل ان نتزعج لقول بريموند ان (مساجد المغرب ليس بها ما هو عربى) ، نتذكر اولا زعم زملائه المستشرقين امثال بروكلمان وكيتانى وكريسويل الذين انكروا على الرسول نفسه بناء مسجد بالمدينة (1) فقد اكد كريسويل أن المسلمين ظلوا دون مسجد جامع فى المدينة حتى عام 54 بعد الهجرة . ان الرسول الامين الذى تلقى وحى الله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) ، ينكرون عليه بناء مسجد تشع منه الدعوة وتنظم به الدولة . لقد كان مسجد الرسول بالمدينة بالصحن الفسيح وبيت الصلاة وجدار القبة ثم المجنبات مصدر تخطيط عمارة المساجد فى الشرق والغرب وهو نفس التخطيط الذى تلتزم به جميع مساجد المغرب العربى دون استثناء حتى يومنا هذا .

وهكذا تبدا محاولة المستشرقين المغرضة بانكار المصدر والينبوع الاول لعمارة المساجد الاسلامية ثم تنتقل لتحطيم مراحل التطور . فعند ما لاحظوا اتساع بلاط المحراب بالازهر قال هوتكور ان اتساع بلاط المحراب بالازهر يشبه فناء البازليكا المسيحية وقال كريسويل بان اتساع بلاط المحراب فى الازهر هو اول مثال من نوعه فى العمارة الاسلامية ويشبه ذراع الكنيسة Transept ، وقال مارسيه فى كتابه الفن الاسلامى (طبع باريس 1946) عند دراسته لبيت الصلاة بالمسجد الجامع بالقيروان ان بلاط المحراب المتسع يشبه فناء الكنيسة البازيليسكية وأن المسجد مدين للكنيسة فى ذلك التخطيط اذ ان البلاط الاوسط Nef Central يصنع شكل حرف T وهو مستمد من البازيليكا ، ثم عاد فى كتابه عن العمارة الاسلامية الغربية عام 1955 (ص 201 — 202) وقال ان تخطيط مسجد تنمل يؤكد نظام الحرف T الذى ظهر بالقيروان ثم زاد (ص 205) بأن ذلك النظام يتضاعف فى مسجد الكتبية ، ثم زاد لامبير ان البلاط الاوسط فى مساجد قرطبة وتازة وتنمل ومراكش واشبيلية والرباط وفاس جعلت لنظام مساجد المغرب والاندلس نظاما خاصا هو النظام الصليبى . ويقول سروسبير ريكار فى كتابه (pour comprendre l'Art Musulman) ان مساجد المرابطين من القرن الخامس الهجرى بتلمسان ، والبلاط الرئيسى المتجه نحو المحراب والاكثر سعة من بقية البلاطات ، يصنع مع اسكوب المحراب شكل حرف T ويذكر بالصليب فى الكنائس المسيحية

(✻) الحلقة الاخيرة من هذا البحث نشرت فى العدد السادس (الصفحة 154) السنة السادسة عشرة.

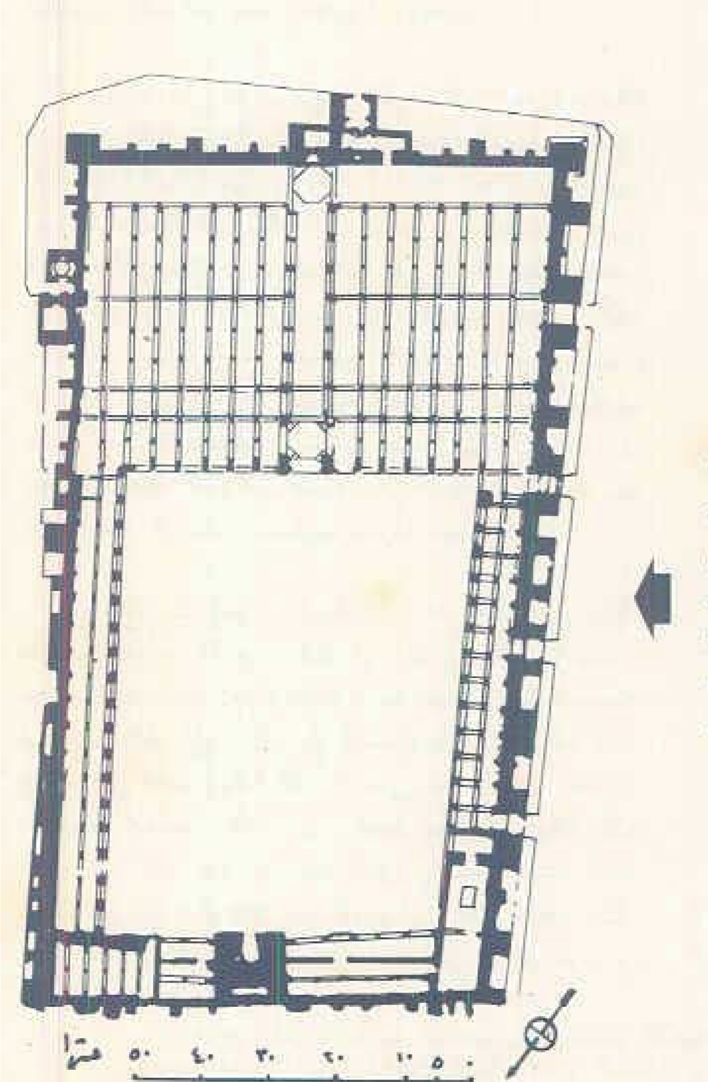
(1) انظر بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص 45 واحمد فكرى فى المدخل ف 6 وخاصة ابتداء من ص 188 عرض تلك الآراء ونقدها ووضع مراحل زيادة المسجد منذ انشائه .

(2) ذراع الكنيسة Transept : يقصدون به المجاز او الممر بين صفى الاعمدة الذى يقطع العقود والاقواس التى تعترضه ويلغيها من التخطيط فيسمى بالمجاز القاطع .



اللـوحـة رقـم (1)

تخطيط البازليكا المسيحية ويتضح فيه بلاط متوسط اكثر سعة من البلاطين الجانبين بنسبة واضحة ، ثم هيكل يبلغ اتساعه ثلث طول الجدار العرضي تقريبا ، وتخطيط البازليكا عمقا لا عرضا . وكل ذلك خـلاف تخطيط المسجد ونسبة طول المحراب قياسا الى طول حائط القبلـة .



اللـوحـة رقـم (2)

المسجد الجامع بالقيروان الذى وضع اساسه الصحابى الجليل سيدى عقبة بن نافع ، والتخطيط يوضح حالته بعد أعمال زيادة الله الامير الاغلبى الذى استغل سعة اسكوب المحراب فقام بتوسيع بلاط المحراب (بهدم صف الاعمدة المتوسطة) ليقيم قبة فوق المربع الناشىء من زيادة السعة فى اسكوب المحراب وبلاطه دون أن يكون ذلك تقليدا لتخطيط الكنيسة المسيحية .

المكونة من البلاط الاوسط وحنيته (Abside) ومجازها (Transept) ، وهكذا يبدو المسجد المغربى من نفس فصيلة الكنيسة البازيليكية المسيحية .

وفى نفس الاتجاه سار هنرى تيراس عمدة المستشرقين المتخصصين فى دراسة تاريخ وآثار الاسلام بالمغرب وقال فى كتابه الكبير عن الفن الاندلسى المغربى (باريس 1932) أن تخطيط المسجد على شكل حرف T تطور فى عصر الموحدين عن عصر المرابطين وقد ولد ذلك النظام فى جامع القيروان (ص 230) .. وانه يبدو ان مسجد تازة الموحدى يعتبر اقدم مسجد بالمغرب على شكل حرف T (ص 306) ثم اضاف بان طول جدار القبلة اصبح اكثر من عمق بيت الصلاة وان وضع ثلاث قباب على اسكوب المحراب يعتبر تجديدا موحديا .

ولكنه على الرغم من ضخامة تلك المحاولات فانه لا يخفى علينا ان المستشرقين المتعصبين تعمدوا اعطاء الاهمية لبلاط المحراب وزعموا انه محور تخطيط المسجد توطئة للوصول الى هدفهم . والصحيح فى اعتقادنا ان بلاط (1) المحراب لم يكن له نظام خاص يتميز به ، بل ان اسكوب (2) المحراب وجدار القبلة كانا منذ البداية اساس تخطيط المساجد ، وان اتساع اسكوب المحراب منذ البداية ايضا عن بقية اساكيب بيت الصلاة قد حدث لاسباب دينية وفنية كذلك ، فى حين أن بلاط المحراب المتجه نحو القبلة قد اتسع بعد ذلك وتميز لاسباب معمارية طارئة فقط .

وخلافا لما ذكره المؤرخون ، فقد كان اول بلاط متسع بالمسجد الاموى بدمشق عام 87 للهجرة من عصر الوليد حيث تعلوه ثلاث قباب تستلزم زيادة سعته اما اقدم مثال ثابت التاريخ لاتساع بلاط المحراب فانه يرجع الى عصر زيادة الله الاغلبى عام 221 م للهجرة بالمسجد الجامع بالقيروان . فعند ما اراد زيادة الله اقامة قبة المحراب بالمسجد الذى وضع اساسه عقبة ابن نافع منذ عام 50 بعد الهجرة ، هدم معظم جدار المسجد ، وكان اسكوب المحراب اكثر سعة فزاد فى سعة بلاط المحراب بقصد احداث مساحة مربعة امام المحراب يقيم قبته فوقها .

وهكذا كانت الضرورة المعمارية الطارئة هى سبب توسيع بلاط المحراب الذى لفت نظر العبيديين قبل انتقالهم من افريقية فنقلوه الى نظام مساجدهم الجامعة بمصر ونفذوه بمسجد الازهر ثم بمسجد الحاكم بأمر الله بالقاهرة الفاطمية . كما كان ذلك السبب نفسه دافعا للبنائين فيما بعد على توسيع بلاط المحراب ببقية مساجد المغرب والاندلس التى اريد فيها بناء قبة امام المحراب .

وسوف نتناول الآن نفس المشكلة على محور آخر . فالمعروف عبر التاريخ ان العمارة وخاصة الدينية منها تتأثر تصميماتها وتتكيف تبعا لفلسفة العقائد والاديان .

فالعمارة المصرية القديمة للمعابد تتفق مع فلسفة عبادة الاله رع اله الشمس الذى يمنح القوة والحياة للمخلوقات وينضج الحب والنبات . وكان مظهر الاتفاق اقامة مسله هائلة الطول مدببة القمة وسط فناء فسيح اعتقادا بأن الشمس الهائلة تتركز فوق قمة المسله وتسرى خلال جسمها الى ارض المعبد وصحنه الفسيح فتمنح المصرى القديم حياته وقوته وقوته .

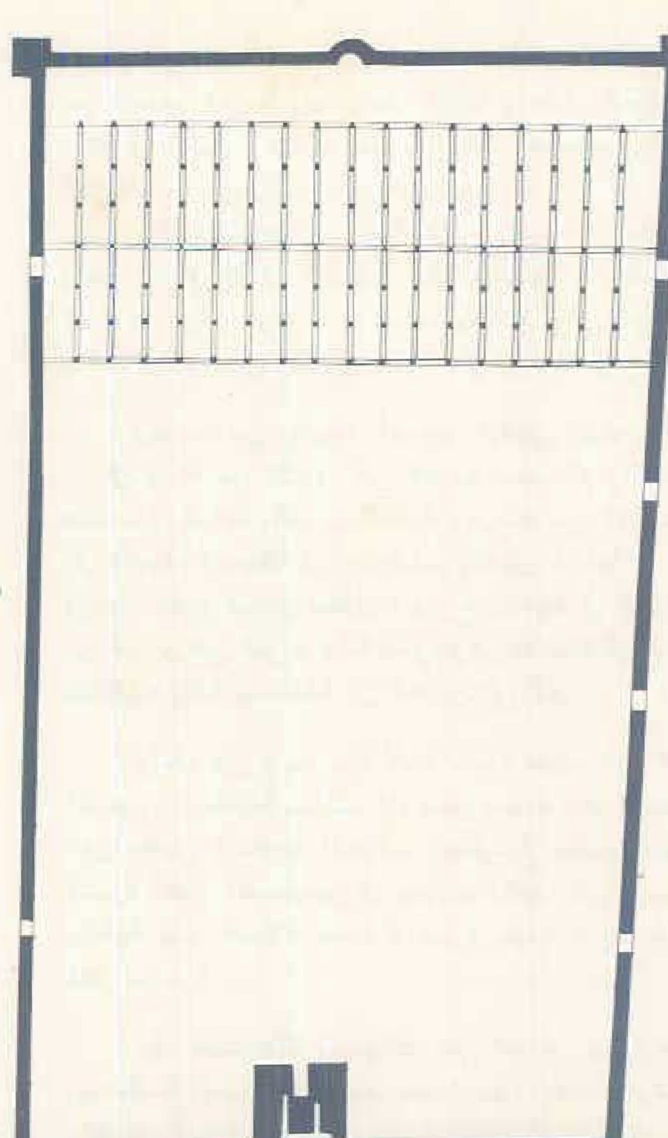
وكانت البازليكا الرومانية ذات فناء مستطيل مقسم الى ثلاثة اقسام ، اى الصحن الاوسط وهو اوسعها واعلاها وعلى جانبيه فناءان اقل سعة وارتفاعا فكان تخطيط ذلك البناء اذن طولا لا عرضا ، اى عمقا لا قبلة ، ذلك ان زيادة العمق مع نقص الاضاءة واسدال ستائر كثيفة وتجميع المخلفات المقدسة للقديسين فى تجويف الحنيه ، كل ذلك يؤدى الى مزيد من الرهبة اثناء العبور الطويل نحو الهيكل والاسراع الى الاعتراف بالذنوب والخطايا والتسليم وهو الامر الذى يتفق وروح الديانة المسيحية .

وعند ما انقسمت الدولة الرومانية الى دولتين وانتقل قسطنطين الاول الى بيزنطة واتخذها عاصمة للدولة الشرقية عام 330 م انشأ فيها اربع عشرة كنيسة

---

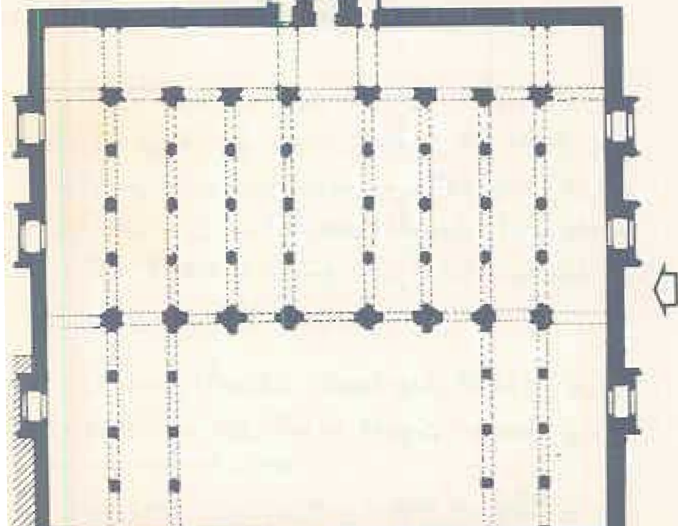
(1) البلاط هو الممر والطريق المحصور بين صفى الاعمدة او الاكتاف ، عند ما يكون الممر ممتدا بعمق حيث الصلاة من الحائط المطل على الصحن ومتجها نحو القبلة من الشمال الى الجنوب .

(2) الاسكوب هو الممر المحصور بين صفى الاعمدة او الاكتاف فى موازاة جدار القبلة من الشرق الى الغرب



اللـوحـة رقـم (3)

المسجد الجامع بالقيروان على عهد هشام بن عبد الملك 105 هجرية وقبل ان يهدم زيادة الله البلاط المتوسط لاقامة قبة امام المحراب .



اللـوحـة رقـم (4)

مسجد تنملل ، وقد عاد الموحدون الى زيادة طول جدار القبة عن عمق الصلاة تمشيا مع تقاليد العمارة الاسلامية الاولى .

على نمط البازيليكا الرومانية ، ثم ظهر بعد ذلك ما يعرف بالطراز البيزنطى الذى يقوم على اساس من الصليب الذى يتساوى فيه الطول والعرض بما يوازى الارتفاع اشارة الى الثالوث المقدس كما كان الحال فى البازيليكا ذات الثلاثة اقسام .

ثم جاء الاسلام ونفى فكرة التثليث « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد » .. النساء 171 وكان الاسلام منذ بدايته مبنيا على الوضوح مطالبا باعمال الفكر وامعان النظر مشجعا على الحوار العقلى للوصول الى الايمان عن طريق الاقتناع الداخلى . فآيات القرآن الكريم واحاديث الرسول الشريفة تنص على ذلك ايضا ، وهذا عمر الفاروق الذى اعز به الله الاسلام يعمل عقله ويحاور الرسول ويجادله بالتى هى احسن وينزل الروح الامين بالوحى لتزكية مواقف عمر . وقد بلغ عمر الذروة العليا فى تفهم روح الاسلام القائمة على التفتح والحوار عندما ضرب المثل الاعلى بندائه فوق المنبر (أصابت امراة واخطأ عمر) وذلك عند ما ناقشت امراة من عامة الناس فكرته عن تحديد الصداق .

اذن فتخطيط المسجد الاسلامى المشتمل على صحن فسيح مكشوف (على عكس سقف البازيليكا المسقوف) ينفتح عليه بيت للصلاة يزيد عرضه على عمقه تحقيقا للاضاءة والتهوية الكافيتين لاستحضار الذهن وانعاش الفكر تمشيا مع فلسفة العقيدة ، يبتعد كل البعد عن المحاولات المغرضة التى سعى وراءها المستشرقون لاثبات اشتقاقه من تخطيط الكنائس .

وتؤيد عمارة المساجد الموحدية هذا الاتجاه بالعودة الى طول جدار القبلة عن عمق بيت الصلاة الامر الذى اعترف به تيراس والذى يؤيده الواقع الاثرى كذلك . ان عودة الموحدين للاصول الاولى دفعهم الى زيادة الاعتناء به بوضع ثلاث قباب عليه بعد ان كانت توضع على بلاط المحراب .

ونستطيع الاحساس باهمية جدار القبلة من حرص المؤرخين والجغرافيين العرب الذين تعودوا وصف المساجد وقياساتها باعتبار الطول ممثلا للجدار المتجه من الشرق للغرب وهو جدار القبلة واعتبار العرض ممثلا فى العمق ، وقد نص على ذلك صاحب روض القرطاس وغيره كثيرون من قبل ومن بعد . وهذا ابن جبير يصف جامع دمشق فيقول (1) (وذرعه فى الطول من الشرق الى الغرب مئتا خطوة ، وهى ثلاث مئة ذراع ، وذرعه فى السعة من القبلة الى الجوف مئة خطوة وخمس وثلاثون خطوة ، وهى مئتا ذراع ..)

ويصف ابن بطوطة المسجد الاقصى بقوله (2) (وان طوله من الشرق الى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعا . .) ويصف جامع دمشق فيقول (وذرع المسجد فى الطول من الشرق الى الغرب مائتا خطوة وهى ثلاثمائة ذراع .. وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من الشرق الى الغرب . .)

ولعل جورج مارسيه لاحظ ضياع حرف الـ T المزعوم من تخطيط مساجد الموحدين بسبب قيام القباب على جانبى اسكوب المحراب وتقطيع عقودها لسيرة المجاز المستعرض فى مخيلتهم فذهب الى تقسيم تخطيط بيت الصلاة نفسه واعتبره حرف T يتكرر اكثر من مرة .

وقد قامت تلك المحاولات على اساس تصويرهم بيت الصلاة بنسر عظيم يمتد جسمه بطول بلاط المحراب واضعا راسه فى المحراب وناشرا جناحه بأسكوب القبلة فيمثل صليبا ناتجا من تقاطع البلاط المتوسط بعد اضافة المحراب اليه مع اسكوب المحراب .

وفى اعتقادى الآن بعد التأمل ، ان المصدر الذى اشتقوا منه ذلك التشبيه يكمن فى تلك القصة التى وردت مفصلة عند ابن جبير ثم لخصها ابن بطوطة ، اذ يقول ابن جبير فى وصفه لجامع دمشق (3) الاموى (. . القبة الرصاصية يشبه الناس منظرها بنسر طائر كان القبة راسه ، والغارب جؤجؤه ، ونصف جدار البلاط عن يمين ، ونصف الثانى عن شمال ، جناحاه .. فهم يعرفون الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه ..)

---

(1) رحلة ابن جبير طبع بيروت ص 236 .
(2) رحلة ابن بطوطة طبع القاهرة ص 53 .
(3) رحلة ابن جبير ط بيروت 1964 ص 237 .

ويقول ابن بطوطة فى وصف نفس المسجد (1)
(.. قبة الرصاص التى أمام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد نسرا طائرا والقبة رأسه ..)

فاذا تأملنا الآن ذلك النص وجدناه يطلق على مسجد واحد بذاته ، وهو المسجد الاموى بدمشق دون ان يطبع الوصف جميع مساجد الاسلام · ومن جهة اخرى فان التشبيه يستمد قوته من المنظر الخارجى العلوى للمسجد المذكور اى من ظاهر السقوف وليس من التخطيط الارضى الداخلى . فهو يشبه القبة الرصاصية التى تتوسط الجمالون (2) السقفى الخارجى لبلاط المحراب وتقاطعه مع الجمالون السقفى الخارجى لاسكوب المحراب بالنسر . على أن سقوف المساجد فى الاسلام ليست كلها على شكل المنشور الهرمى بل انه فى الشرق حيث تقل الامطار يكاد ينفرد مسجد دمشق بهذا النظام · فاذا انتقلنا للمغرب حيث تكثر الامطار وتقتضى العمارة جعل الاسقف على شكل هرمى فليس فى كل نظام التغطيات السقفية وضع معين يتحتم على البناء تنفيذه بحيث لا يمكن تعميم التشبيه المذكور ، بالاضافة الى ان التشبيه لا يصح الا حيث تقوم الاسقف الهرمية على نفس تخطيط سقوف مسجد دمشق مع وجود قبة ظاهرة فوق تلك السقوف وهو أمر غير موجود بالمغرب على الاطلاق .

ومرة اخرى نقول ان تخطيط الاسقف قد يستقل فى نظامه عن التخطيط الارضى كما يتبدل من منطقة لاخرى لاختلاف المناخ ، ومن ثمة فان محاولة استغلال المستشرقين التشبيه الذى أطلقه العوام على جزء من سقوف مسجد دمشق فى وصف التخطيط الارضى للمسجد بشكل الطائر الناشر جناحيه ثم بشكل الصليب ثم تعميم ذلك على جميع تخطيطات المساجد فى الاسلام امر غير مقبول.

ومن ذلك الحيف الذى انزلوه بفنون المغاربة كذلك، ما ادلى به دوتيه من ان (شالة تبرز فى هذا الموقع كرمز لعقم وتلف الاسلام ، حيث يبدو على الفن الاسلامى الذى تمثله علامات الهرم) (3) · فاذا راجعنا ما كتب عن الدولة المرينية فى صفحات التاريخ او الفنون نجد انها كانت تمثل العصر الذى بلغ فيه المغرب الاقصى غاية التطور (4) والرقى وهذا صاحب روض القرطاس يقول (.. وفى عصرهم تأنق الناس فى ملبسهم وفنهم وموسيقاهم ومساكنهم ومبانيهم ..) (5) . وعن هذا الفن المرينى يقول هنرى باسيه وليفى بروفنسال : (لقد وصل الى غاية التطور (6) والتفيح الفنى فيما بقى من آثار شالة المعمارية والفنية) وقد سبق لنا ان اوضحنا بأبحاثنا الميدانية المتعلقة بحضارة شالة وآثارها الاسلامية حيوية الفنون المغربية وتطورها وتأثيراتها الخارجية (7) .

ولم يتوقف تيراس عن ترديد نغمة التفرقة بين البربر والعرب ولم يفته التحامل على كل امير مغربى رفع راية الاسلام أمام الصليب بالاندلس ومن ذلك قوله (وينسب المؤرخون المسلمون الى المنصور شرفا لا يستحقه . .) (8) ، كما سخر تيراس امكانياته فى البحث والاستقراء لارجاع كل اثر معمارى او عنصر زخرفى مغربى الى التأثيرات الاندلسية ذات الاصل البيزنطى حتى وصل اخيرا الى وصف الفنون العربية المغربية بالجمود والتحجر .

ويرى تيراس أن شبكة المعينات المتجاورة (Réseau de Lozanges) التى عمت جميع عمائر الطراز الاندلسى المغربى وزينت اهم آثاره الفنية يرجع أصلها الى زخرفة التضفير التى بدأت بالفن الاسلامى المبكر بالاندلس · ثم واصل ريكار المسيرة وقال بأن التضفيرات

---

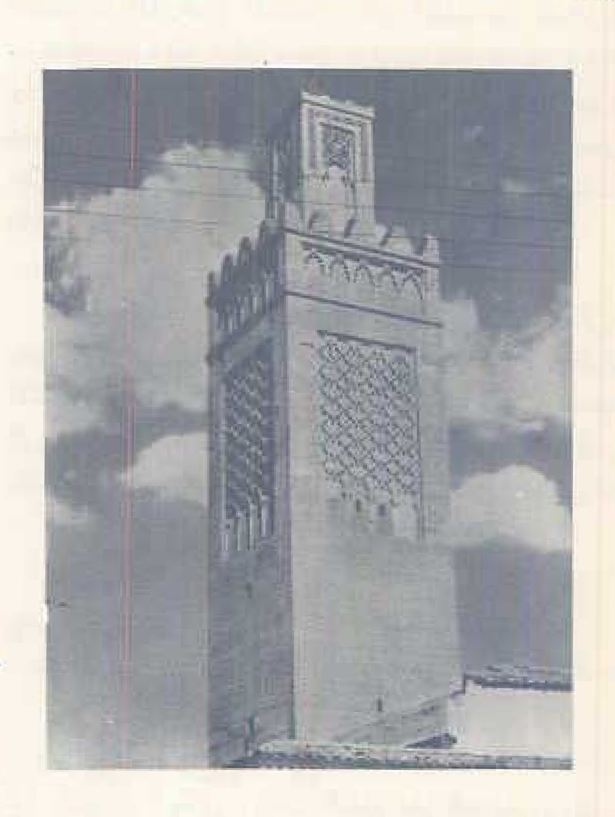
(1) رحلة ابن بطوطة ط القاهرة 1967 ص 52 .
(2) المنشور الهرمى المسمى بالمغرب برشالا .
(3) انظر ص 401 — 403 من : Edmond Doutte, Mission au Maroc
(4) عثمان عثمان بحث بعنوان (حيوية فنون المغرب) بكتاب متنوعات محمد الفاسى الذى أصدرته جامعة محمد الخامس 1968 .
(5) ابن ابى زرع : الانيس المطرب روض القرطاس .
(6) هنرى باسيه وليفى بروفنسال : شالة روضة مرينية ، باريس 1923 .
(7) عثمان عثمان : الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى ، تحت الطبع دار الثقافة ببروت : تنظر المقدمة والفصول الخاصة بالفنون ·
(8) هنرى تيراس : الفن الاندلسى المغربى — باريس 1933 — ص 266 وكذلك كتابه عن تاريخ المغرب الاقصى فى جزئين ·

الهندسية عكست اشكالا زخرفية ظهـرت اشكالهـا البدائية فى اسبانيا بواجهة كنيسة دى لالوز بطليطلـة (de la Luz) واصلها مسجد باب مردوم هناك . وقـد سبق لى أن بينت انحراف تلك المنهجية المغرضة ، ذلك ان شبكة المعينات المتجاورة تمثل عنصرا مغربيا بحتا استنبطته البربر الاولون من طبيعة بيئتهم ونوع ثقافتهم بل ومن أصل معتقداتهم كذلك ، فقد عـرف البربـر الزخارف الهندسية دون الحيوانية او النباتية كما ظل منهم وفيا للخطوط المستقيمة حتى بعد اتصالهم بالاندلس كما تعبر تلك المربعات او المعينات المتجاورة عندهم الى عدد العيون الحذرة اذ تفسر العين الحسودة عند البربر كثيرا من المركبات الزخرفية وتلقى ضوءا على الفروع الزخرفية للعنصر الواحد فتجعل منه شكل يد من اربعة او خمسة فروع لدفع شر العيـن بحيث اصبـح ذلك الاعتقاد يمثل الفكرة الاساسية التى تلعب دورا كبيرا فى الفن البربرى .

وهكذا ظهرت شبكة المعينات عن طريق الفـن البربرى على الصوامع وواجهات المساجد والمنابـر وجلود الكتب ومختلف المنتجات وطبعت فنون الاسلام بالمغرب والاندلس بطابع قوى لا زال منتشرا الى يومنا هـذا (1) .

وجملة القول ان الآثار العربية الاسلامية بالمغرب الاقصى لا زال معظمها قائما رغم محاولات الاستعمار لمسخ معالم بعضها او محوه تماما كما حدث بالقطـر الجزائرى ، ورغم محاولات المستشرقين الذين اساءوا فى الجملة بتعصبهم الاعمى اكثر مما افادوا بسبق البحث وتقنين المناهج ، وأن مدرسة عربية قومية قد نهضت لنفض غبار التهم وازاحة ستائر النسيان عـن ذلك التـراث .

بل ان حركة احياء التراث الحضارى الاثرى ، قد قامت بالمغرب الاقصى على نحو من العزم والوعى والتصميم ، عند ما شيد ضريح المولى المقدس المرحوم محمد الخامس ، ليكون اثرا فنيا نموذجيا يشرح فلسفة العمارة الاسلامية وفنون الزخرفة العربية وصفحـة خالدة تحكى قصـة الحضارة المغربيـة فى ارق وادق عباراتها واحلى وأعذب معانيها .



اللـوحـة رقـم (5)

شبكـة المعينـات

وتظهر بواجهات الصوامع الموحديـة والمرينيـة وكذلك فى صومعة المرابطين بمسجد تلمسان الكبير من عصر على بن يوسف 530 للهجرة . وقد ارجعنا ظهورها قبل ذلك الى عصر بن حماد حيث تظهر آثارها علـى صومعة القلعة الحمادية كما أثبتنا اصلهـا البربـرى المغربى الاصل خلافا لمحاولات المستشرقين وراء اصولها فى الاندلس .

(1) عثمان عثمان : الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى ، الفصل الخاص بالفنون الزخرفية فيه شرح مسهب لهذه الفكرة .

التراث العربي في المغرب

وقضية التواصل بين المشرق والمغرب

للأستاذ محمود محمد الطناحي

— 1 —

من مكرور القول ومعاد الكلام ان الامة العربية قد احتشدت لتسجيل تراثها وجمعه فى جهاد دائب : لم تشهده امة من الامم ، ولم تعرفه ثقافة من الثقافات، ولم يقف هذا الجهاد عند مصر من الامصار ، أو يكتفى بقطر من الاقطار ، بل امتد الى كل بلد طالته يد الاسلام.

وقد اقتضت طبائع الزمان والمكان ان تشهد بلاد المشرق الخطوات الاولى لذلك التسجيل والجمع ، ابتداء من منتصف القرن الثانى الهجرى .

ولم يكد المغاربة والاندلسيون يتسامعون بأنباء هذا النشاط الذى كانت تغلى بــه حلقـات الدرس ومجالس العلماء فى البصرة والكوفة ، وصرير اقلام النساخ فى مكة والمدينة ومصر والشام حتى ولـوا وجوههم شطر المشرق العربى بنفس مشوقة وقلب لهيـف .

والمتتبع لحركة التاليف العربى فى خطواته الاولى يروعه هذا الحشد الهائل من العلماء وطلاب المعرفة . فأى بركان هذا الذى فجره كتاب الله المنزل على النبى الامى ، ففتح به آذانا صما وقلوبا غلفا ؟ واى ضياء وهاج ذلك الذى جاء به الدين الجديد ، فأزاح ظلمات القرون والاحقاب ؟

انسالت امواج المغاربة على المشرق ، يشافهون العلماء ويروون العلم ويستنسخـون الكتب ، وقـد استفاضت كتب التراجم والرجال بأخبار هذه الرحلات، وقد بدات رحلات المغاربة والاندلسيين الى المشرق منذ اواخر القرن الثانى الهجرى ، مواكبة لحركة الجمع والتدوين ، مصاحبة لنشأتها . ذكر ابو بكر الزبيدى الاندلسى ، فى ترجمة الغازى بن قيس المتوفى سنــة 199 ، قال : « كـان ملتزما للتاديب بقرطبــة ايـام دخول الامام عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنه الاندلس ، ثم رحل الى المشرق ، وشهد تاليف مالك للموطأ ، وهو أول من ادخله الاندلس ، وادرك نافع ابن ابى نعيم — احد القراء السبعة — وقرأ عليه ، وهو اول من ادخل قراءته » (1) .

وفى ترجمة جودى النحوى المتوفى سنة 198 ، قال : « هو جودى بن عثمان ، من اهل موروز — قريبا من قرطبة — ورحل الى المشرق ، فلقى الكسائـى والفراء وغيرهما ، وهو اول من ادخل كتاب الكسائى ، وله تاليف فى النحو » (2) .

وهذا قاسم بن اصبغ محدث الاندلس الكبير ، يرحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن ايمن ، ومحمد بن زكريا بن ابى عبد الاعلى ، فيسمع بمكة ومصر من علمائها ، ويدخل العراق فيسمع من المبرد وثعلب ، ويروى عن ابن قتيبة كثيرا من كتبه » (3) .

وقد رايت بخزانة القرويين بفاس نسخة عتيقة جدا من كتاب ابن قتيبة المسمى : « تأويل مشكـل القرآن » برواية قاسم بن اصبغ هذا ، عن ابن قتيبة ، بمنزله ببغداد ، فى شهر ربيع الاول سنة ست وسبعين ومائتيـن .

وتصور لنا كتب التراجم اقبال اهل المغرب على علمائهم العائدين من المشرق ، لسماع ما تلقوه عـن علماء مكة والعراق ومصر والشام (4) . ولقد بلغ من حرصهم وشدة تتبعهم أنهم كانوا يسألون كل قادم من المشرق ، ولو كان من التجار . روى الزبيدى عمن اخبره

* زار كاتب المقال المغرب مرتين عضوا فى بعثة معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمـة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم ، وقد نشر مقاله هذا فى حلقتين بمجلة « الثقافة » القاهرية العددان 27 — 28 — دسمبر — يناير 1975 .

عن عبد الوهاب بن عباس بن ناصح ، قال : « كان ابى لا يقدم من المشرق قادم الا كشفه عمن نجم فى الشعر بعد ابن هرمة ، حتى اتاه رجل من التجار ، فأعلمه بظهور حسن بن هانىء » (5) . يعنى ابا نواس.

وقد كان لاستيلاء بنى امية على بلاد المغرب بعد ذهاب دولتهم فى المشرق ، اثر كبير فى اذكاء روح العربية بتلك البلاد ، ويؤثر عن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل اول خلفاء بنى امية بالاندلس، الكثير من البر بالعلماء والاجلال لهم ، وكذلك سار بنوه من بعده ، دعما لقواعد الملك ، واستكمالا لمظاهر الخلافة . وقد تناهت انباء هذا البر وذلك الاجلال الى المشرق ، فسعى ادباؤه الى هناك ، حيث عطايا الخلفاء موصولة بهبات الوزراء . ذكر ياقوت فى ترجمة ابى الفرج على بن الحسين الاصبهانى صاحب كتاب « الاغانى » ، قال : « وله بعد تصانيف جياد فيما بلغنى كان يصنفها ويرسلها الى المستولين على بلاد المغرب من بنى امية ، وكانوا يحسنون جائزته ، لم يعد منها الى الشرق الا القليل . والله اعلم » (6) . وقد سمى هذه التصانيف الوزير جمال الدين القفطى (7) .

وهذا احد اعلام الادب العربى فى المشرق : ابو على اسماعيل بن القاسم البغدادى القالى ، صاحب كتاب « الامالى » يفد على القيروان سنة 329 ، وقد جلب فى قافلته احمالا كثيرة من نفائس المؤلفات المشرقية، ما بين لغوية وادبية وتاريخية ، ودواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولدين ، فباع منها فى مدة عام كامل ما شاء أن يبيع لاهل افريقية ، ثم تحول بعد ذلك فى سنة 330 الى الاندلس بما بقى له منها . وقد حفظ لنا ابو بكر بن خير الاشبيلى قائمة بأسماء هذه الدواوين فى فهرست ما رواه عن شيوخه (8) .

تواصل ادباء المشرق والمغرب ، وان ظلت رحلات المغاربة الى المشرق اكثر وادوم لاسباب كثيرة ، من ابرزها ان المشرق كان ولا يزال طريق المغاربة للحج ، الركن الخامس من اركان الدين الحنيف .

وحين انتدب المغاربة للتصنيف والكتابة ظهر فى انتاجهم مشابه من مناهج المشارقة وطرائقهم فى الكتابة مما حدا ببعض النقاد والمؤرخين ان يربطوا بين الانتاج المشرقى والمغربى ، على نحو يريد أن يثبت دائما ان المغاربة قد تأثروا بالمشارقة فى كل ما يعالجون ، فهم يقولون : ان ابن زيدون بحترى المغرب (9) ، وان ابا بكر الزبيدى الاشبيلى ، صاحب كتاب « مختصر العين » فى المغرب بمنزلة ابن دريد فى المشرق (10) ، وان ابا الحسن بن بسام الشنترينى صاحب كتاب « الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة » قد تأثر بأبى منصور الثعالبى ونسج على منواله فى كتابه « يتيمة الدهر فى محاسن اهل العصر » (11) . الى غير ذلك من الامثلة .

ولئن قبلت هذه المقالة فى القرون الاولى للتصنيف ، فانها بحاجة الى مراجعة فيما تلا ذلك من قرون . ولقد كان ظهور القاضى ابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى المولود بمدينة سبتة — رد الله غربتها — سنة 476 ، والمتوفى بمدينة مراكش سنة 544 ، ايذانا باستقلال الشخصية المغربية وامتلاكها لناصية البيان واسهامها فى جلاء وجه الثقافة الاسلامية وعياض ركن من العلم باذخ ، وله طرائق فى العلم مأنوسة ، كتب الكثير ، وتمثل تآليفه اضافات هامة فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وقد رزقت مصنفاته من الحظوة وحسن القبول والتلقى ما لم يرزقه مؤلف مغربى آخر (12) . ومما يشيع على السنة المغاربة قولهم : « لولا عياض لما ذكر المغرب » . ويقول شاعرهم:

كلهم حاولوا الدواء ولكن
ما اتى بالشفاء الا عياض

والمعنى الثانى المراد من التورية فى قوله : « بالشفاء » هو كتاب عياض الجليل : « الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى » اشهر واسير كتب الشمائل النبوية .

تتابعت جهود المغاربة فى التصنيف عالية شامخة. وبدءا من القرن السادس لم يعد للمشارقة فضل سبق عليهم ، بل نراهم قد زاحموا المشارقة على فنين عظيمين من فنون التراث : علم القراءات ، وعلم النحو .

أما علم القراءات فعنايتهم به قديمة ، وتصانيفهم فيه مبسوطة ، ويرى الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهوانى ان : هذا هو الميدان الوحيد الذى سيطر عليه المغاربة سيطرة تامة (13) . وبحسبنا أن نذكر من فرسان هذا الميدان : ابا عمرو الدانى ومكى بن ابى طالب وابا العباس المهدوى واسماعيل بن خلف ، وغيرهم كثير نراهم فى فن القراءات من فهارس المكتبات. وبحسبنا ايضا ان نعرف ان اشهر نظم فى هذا الفن ، وهو المسمى : حرز الامانى ووجه التهانى ، والمعروف

بالشاطبية ، صاحبه مغربى اندلسى ، وهو : القاسم ابن فيرة بن خلف الرعينى الاندلسى الشاطبى ، وقد صار نظمه هذا العمدة فى ذلك الفن وتعاقب عليه الشراح من المشرق والمغرب ، ولا يزال يتصدر برامج الدراسة فى معهد القراءات بالازهر الشريف .
ولم تفتر عناية المغاربة بعلم القراءات على امتداد الايام وتصرف الاحوال ، وقد تعرفت اثناء رحلتى الاولى الى المغرب ، على شاب من ريف المغرب ، فى منزل الاستاذ العلامة محمد المنونى بمدينة الرباط ، وكان هذا الشاب آية فى معرفة القراءات العشر بطرقها ورواياتها المختلفة ، يحفظها ويستشهد لها من الكتاب العزيز فى سهولة ويسر . وقد اخبرنى الاستاذ المنونى ان لهذا الشاب نظائر كثيرة فى بلاد المغرب ، وبخاصة فى الريف .

وأما علم النحو فللمغاربة احتفال به زائد ، وقد ظهر اهتمامهم له مبكرا . هذا ابو عبد الله حمدون بن اسماعيل ، من قدماء المغاربة القرويين ، كان يحفظ كتاب سيبويه ، وقد توفى حمدون هذا بعد المائتين (14). وقد وقف المغاربة على قدم واحدة مع المشارقة فى العناية بكتاب سيبويه امام النحاة : شرحا او تعليقا او اختصارا (15) .

ذكر جلال الدين السيوطى فى آخر كتابه « بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة » وهو يسرد موارده فى تاليف الكتاب ، قال : « واما المغرب فاهله اصحاب اعتناء شديد بذلك ، والنحاة به جم غفير »(16).

ويورد جمال الدين القفطى كلاما جيدا يشهد لذلك ، يقول فى ترجمة ابى محمد عبد الله بن على بن اسحاق الصيمرى النحوى : « قدم مصر ، وحفظ عنه شىء من اللغة وغيرها ، وصنف كتابا فى النحو سماه « التبصرة » واحسن فيه التعليل على مذهب البصريين، ولاهل المغرب باستعماله عناية تامة ، ولا يوجد به نسخة الا من جهتهم » (17) .

ويقوى كلام القفطى هذا انى عرفت ثلاث نسخ مخطوطة من هذا الكتاب ، كلها مكتوبة بخط اندلسى مغربى عتيق : النسخة الاولى محفوظة بمكتبة الامبروزيانا بميلانو ، كتبت سنة 582 ، والثانية بالخزانة العامة بالرباط ، نسخت سنة 597 ، والثالثة بخزانة القرويين بفاس ، وهى من خطوط القرن السادس فى اكبر الظن . وبقى من هذا الكتاب نسخة رابعة ، ذكر المستشرق كارل بروكلمان انها محفوظة بالمكتبة الاهلية بباريس ، ولا اعلم من حالها شيئا فاذكره .

وقد ذهبت مؤلفات المغاربة النحوية بالذيوع والشهرة فى معاهد الدرس والتعليم مشرقا ومغربا ، فهذه الفية ابن مالك الجيانى الاندلسى تحظى بالشهرة ، ويتلقاها الناس بالقبول ، ويرجعون اليها فى ضبط قواعد النحو والصرف ، ويأخذون بها ناشئتهم وصبيانهم (18) .

وهذا متن الاجرومية ، لم يطاوله متن آخر : ضبطا لقواعد النحو وحصرا لمسائله ويسرا فى صياغته ، ولا يزال موضع التلقى والقبول الى يوم الناس هذا . وصاحب هذا المتن هو : ابو عبد الله محمد بن محمد ابن داود الصنهاجى ، عرف بابن آجروم ، ومعناه بلغة البربر : الفقير الصوفى . وهو من اهل فاس .

وفيما عدا هذين الفنين شارك المغاربة فى سائر فنون التراث ، درسا وتصنيفا ، ثم كان لهم فضل اظهار آثار المشارقة : شرحا لها وكشفا لغوامضها .

فهذا ابو عبيد البكرى الاندلسى يعمد الى نصين جليلين من تاليف المشارقة ، بالشرح والبيان : الاول كتاب « الامثال » ، لابى عبيد القاسم بن سلام البغدادى ويسمى البكرى شرحه لهذا الكتاب : فصل المقال فى شرح كتاب الامثال . وهذا الشرح قد « احتوى على اكمل تعليقات وتفاسير قديمة ومهمة على ذلك الكتاب، كما احتوى مادة رائعة لا توجد فى غيره من كتب الامثال الاخرى » (19) .

والثانى : كتاب « الامالى » ، لابى على القالى البغدادى . ووسم ابو عبيد شرحه لذلك الكتاب : اللالى فى شرح آمالى القالى . ونشره العلامة عبد العزيز الميمنى باسم : سمط اللالى .

ثم يتصدى ابن السيد (بكسر السين) البطليوسى، بالشرح والبيان لاحد أصول الادب الاربعة ، وهو كتاب ابن قتيبة البغدادى المسمى : « ادب الكاتب » ، او : « ادب الكتاب » . واسم هذا الشرح : الاقتضاب فى شرح ادب الكتاب . وهو من اجل شروح الكتاب ، كما يقول صاحب كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون .

وحين فرغ ابو محمد الحريرى البصرى من انشاء « مقاماته » الادبية المعروفة ، تعاقب عليها الشراح

بالتفسير والبيان ، حتى بلغت شروحها اكثر من خمسة وثلاثين شرحا ، ما بين مشرقى ومغربى . ومن أعظم هذه الشروح واجمعها للغرائب والفرائد شرح أبى العباس الشريشى الاندلسى ·

ولم يعرف للسيرة النبوية التى صنفها محمد بن اسحاق شرح أوعب واكثر جمعا للفوائد والشوارد ، من شرح أبى القاسم السهيل الاندلسى المسمى : الروض الانف والمشروع الروى فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى .

والمشتغلون بتاريخ المذاهب الفقهية الاسلامية يعرفون ان اهم شروح مذهب مالك بن انس رضى الله عنه ، انما جاءت من قبل العلماء المغاربة الذين اكثروا التصنيف فيه ، ما بين مختصر ومبسوط · وذلك لغلبة مذهب مالك على أهل هذه الديار .

ولن يتسع المقام لاكثر من هذه المثل ، وهى كثيرة مفرطة فى الكثرة · وحسبنا أن نختم بذكر اثر خطير من آثار الفكر الاسلامى ، نشط له المغاربة ، وتناولوه بالشرح والتعليق ، على حين قصر غيرهم ، استعظاما لشأنه ، وتهيبا من مسالكه ، ذلك هو كتاب « البرهان » فى أصول الفقه ، لامام الحرمين عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف الجوينى (بضم الجيم وفتح الواو : نسبة الى جوين ، بلدة من نواحى نيسابور) من ائمة علماء الشافعية فى القرن الخامس . يقول تاج الدين السبكى عن هذا « البرهان » : « اعلم ان هذا الكتاب وضعه الامام فى اصول الفقه ، على اسلوب غريب ، لم يقتد فيه بأحد ، وانا اسميه لغز الامة لما فيه من مصاعب الامور ، وأنه لا يخلى مسالة عن اشكال ، ولا يخرج الا عن اختيار يخترعه لنفسه ، وتحقيقات يستبد بها . وهذا الكتاب من مفتخرات الشافعية ، وانا اعجب لهم ، فليس منهم من انتدب لشرحه ولا للكلام عليه ، الا مواضع يسيرة تكلم عليها ابو المظفر بن السمعانى فى كتاب « القواطع » وردها على الامام ، وانما انتدب له المالكية ، فشرحه الامام ابو عبد الله المازرى شرحا لم يتمه ، وعمل عليه ايضا مشكلات ، ثم شرحه ايضا ابو الحسن الابيارى من المالكية ، ثم جاء شخص مغربى ، يقال له : الشريف ابو يحيى ، جمع بين الشرحين » .

ويقول السبكى فى موضع آخر عن المازرى : « هذا الرجل كان من اذكى المغاربة قريحة واحدهم ذهنا ، بحيث اجترأ على شرح « البرهان » لامام الحرمين ، وهو لغز الامة الذى لا يحوم نحو حماه ، ولا يدندن حول مغزاه الا غواص على المعانى ، ثاقب الذهن ، مبرز فى العلم » (20) ·

— 2 —

ويداول الله الايام بين الناس ، فتتهاوى عروش، وتسقط دول ، وتتطاول امم تريد أن تنقض كيدا ومكرا، وتتعرض الامة الاسلامية مشرقا ومغربا لخطوب وفتن كقطع الليل المظلم تسعى لتغتالها اغتيالا .

وفى غمار تلك الاحداث التى صكت المسامع وخلعت القلوب لم تذهل هذه الامة عن تراثها الذى شرفت به، ولم ترض أن تسلم حتى يسلم معها ، كالام تحضن طفلها وسط الحريق المدمر ، لا يهمها أن تنجو حتى تنجو بـه .

ولقد كان من صنع الله ولطفه ان هذه الغزوة التترية الكاسحة على المشرق العربى منتصف القرن السابع ، لم تمد شواظها الى بلاد المغرب ، فظلت خزائنها عامرة بالكتب ، ومجالسها مأنوسة بالعلم والعلماء .

وتتمادى الايام ولا يفتر حماس المغاربة لجمع المخطوطات وتعهدها بالصيانة والرعاية ، ثم تتطور وظيفة الزوايا المغربية ، من مكان معد للعبادة وايواء الواردين المحتاجين ، الى دور تجمع العلماء والكتب ، وتدعو الى الجهاد ومقاومة الاجنبى ·

وفى القرن الثامن تكاثرت الزوايا وانتشرت فيما بين المغرب ومصر ، ايناسا وعونا لحجاج بيت الله الحرام ليأووا اليها فى مراحل سفرهم الطويل ، وقد نمت حول هذه الزوايا مدارس استقر فيها طلبة العلم، الامر الذى حدا بملوك بنى مرين أن يشيدوا كذلك مدارس بجانب المراكز التعليمية الكبرى خصوصا جامع القرويين بفاس (21) . ومن اشهر الزوايا فى المغرب : الزاوية الدلائية ، والناصرية والحمزاوية ، وتضم هذه الزاوية الاخيرة مجموعة من نوادر المخطوطات ، كتب عنها وعرف بها الاستاذ العلامة محمد المنونى ، فى العدد الثامن من مجلة تطوان . ومن انفس مخطوطات هذه الخزانة الجزء الرابع من كتاب « غريب الحديث » لابن قتيبة ، بخط اندلسى ! وقع الفراغ من نسخه سنة 517 ، وهذا الكتاب نادر جدا فى مكتبات العالم · وتنبيهات وتعاليق على كتاب « الكامل » للمبرد ، من تأليف ابى

عبيد البكرى ، والوقشى ، والبطليوسى ، وهذه التنبيهات والتعاليق لا توجد فى مكان آخر من مكتبات العالم ، فيما انتهى اليه علمى .

وفى العصر الحديث لم يستطع الاحتلال الفرنسى ان يطمس الوجوه العربية فى المغرب فيردها على ادبارها بربرية او اعجمية . فهذا مسجد القرويين يموج بالعلم والمعرفة ، وينهض فى المغرب بما ينهض به الازهر فى المشرق . وقد ادرك المغاربة المعاصرون جلال هذا الموروث الضخم الذى آل اليهم ، فتلقوه بكلتا اليدين ، وشدوا يد الضنانة عليه ، ولقد بلغ من احتفالهم به وحرصهم عليه ان اقاموا حوله الجدر ، وبنوا عليه الحيطان ، حذرا عليه فى بعض الاماكن التى خيف عليه فيها من بطش الباطشين واعتداء المعتدين .

ويبرز من بين رجالات هذا العصر عالم فحل ، قدم للتراث العربى يدا باقية ، حين سعى جاهدا وعمل مخلصا فى جمعه وحفظه ، ذلك هو محمد عبد الحى ابن عبد الكبير الحسنى الادريسى الكتانــى الفاسى ، عرف باسم : عبد الحى الكتانى .

كان هذا الرجل شغوفا بالكتب مولعا بجمعها ، مع علم غزير واطلاع واسع ، وقد وقف حياته على الكتب ، ونذر نفسه للعلم ، فطوف الكثير ، ولقى العلماء ، وكاتب واستجاز من لم يلقهم . يقول رحمه الله عن نفسه ، فى مقدمة كتابه « فهرس الفهارس » : « فرحلت لاقاصى البلدان وشاسع الاطراف والسكان ، من حجاز ومصر وشام ، وتونس والجزائر وبلاد المغرب الاقصى حواضره وبواديه ، وكاتبت اهل الجهات البعيدة كالعراق واليمن والهند واصطنبول وصحراء افريقية شنجيط (موريتانيا الآن) وغيرها ، رغبة فى الاستكثار ، فحصل لى من ذلك مالا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد من اهل جيلنا واقراننا » (22) . ولن تصدق هذا الكلام حتى ترى ذلك القدر الهائل من المخطوطات التى عمرت بها مكتبة الرجل ، والتى ضمت الى الخزانة العامة بالرباط (23) .

وقد قام هذا الرجل فى المغرب بما قام به العلامة احمد تيمور فى مصر ، فقد جمع هذا ايضا غرائب ونوادر من المخطوطات حفلت بها مكتبته العامرة التى ضمت الى دار الكتب المصرية وعرفت بمكتبة تيمور .

المكتبات العامة والخاصة فى المغرب :

زرت المغرب مرتين ، عضوا فى بعثة معهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، من منظمات جامعة الدول العربية . وكانت المرة الاولى فى صيف عام 1392 هـ — 1972 م ، والثانية فى صيف هذا العام . وقضيت فى الزيارتين ستة اشهر رايت فيها من عناية المغاربة بالمخطوطات وحرصهم عليها وصيانتهم لها ، ما يبهج النفس ، ويدل على ان الخير باق ، وان الله جلت قدرته لن يضيع تراث هذه الامة مهما تناوشها الاعداء واحاط بها الماكرون .

والمخطوطات فى المغرب تحتفظ بها المكتبات العامة التى تشرف عليها الدولة ، والخزائن الخاصة لدى العلماء . وتوجد المكتبات العامة فى الرباط وفاس ومكناس ومراكش وتطوان . وقد اتيح لى ان ارى مكتبات الرباط وفاس وتطوان .

ففى الرباط مكتبتان عامرتان : الخزانة الملكية الملحقة بالقصر الملكى . والخزانة العامة التابعة لوزارة الثقافة .

وتزخر الخزانة الملكية بنوادر المخطوطات ، ومن انفس ما تضمه هذه الخزانة نص نادر لابى العلاء المعرى ، لا يعرف فى مكتبة اخرى من مكتبات العالم الى يومنا هذا ، ذلك هو كتاب « الصاهل والشاحج » يتكلم فيه ابو العلاء على لسان فرس وبغل . وقد كان لظهور هذا الكتاب دوى هائل فى الاوساط الادبية ، وقد كتبت عنه الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) اكثر من مرة بجريدة الاهرام . ونسخة هذا الكتاب مخطوطة سنة 638 ، بقلم اندلسى ، وفى الخزانة نسخة اخرى من خطوط القرن العاشر تقديرا ، وهى منقولة عن نسخة مكتوبة سنة 693 .

والى جانب هذا الكتاب النادر ، توجد مخطوطات اخرى نفيسة فى الخزانة الملكية ، منها :

اصلاح المنطق — لابن السكيت ، بقلم اندلسى نفيس سنة 591 .

الاصول فى الهندسة — لاقليدس ، بقلم اندلسى نفيس سنة 683 .

البارع فى احكام النجوم — لابن ابى الرجال ، الجزء الاول بقلم اندلسى نفيس سنة 706 ، والجزء الثانى من نسخة اخرى بقلم اندلسى نفيس سنة 361 .

بغية الامل فى ترتيب « الكامل » للمبرد . لمؤلف مجهول . والكتاب مرتب على الفنون ، ومقسم على

اربعين بابا . والنسخة بقلم مغربى سنة 1283 ، منقولة عن نسخة مكتوبة سنة 646 .

تاريخ علماء الاندلس — للخشنى ، بقلم اندلسى عتيق سنة 483 .

تاريخ مكة — للازرقى ، بقلم نسخى قديم من خطوط القرن السادس تقديرا .

تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — للخزاعى . بقلم اندلسى جيد سنة 876 . وهذا الكتاب هو الاصل الذى بنى عليه العلامة عبد الحى الكتانى السابق ذكره ، كتابه العظيم المسمى : التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التى كانت على عهد تاسيس المدنية الاسلامية فى المدينة المنورة العلية . وهو مطبوع فى الرباط سنة 1346 .

دلائل الاعجاز — لعبد القاهر الجرجانى ، نسخة بقلم نسخى نفيس من خطوط القرن السابع تقديرا ، وبأولها توقيع لابن هشام النحوى ، ولابن الصائغ .

ديوان ابى تمام — برواية الصولى ، بقلم نسخى نفيس سنة 664 ، منقولة عن نسخة مكتوبة سنة 381 .

ديوان جرير — برواية السكرى . نسخة نفيسة كتبها الخطاط المبدع ياقوت المستعصمى سنة 689 .

ديوان سبط ابن التعاويذى ، بقلم اندلسى نفيس سنة 724 .

ديوان ابن سهل الاسرائيلى — وهو ابراهيم بن سهل الاشبيلى ، كان يهوديا واسلم — نسخة بقلم اندلسى من خطوط القرن التاسع . والديوان مرتب على حروف الهجاء ، وعنى بترتيبه وتهذيبه ابن الدهان .

ديوان ابن مكانس — وفيه نثره ايضا — بقلم نسخى سنة 989 .

السيرة النبوية — لابن اسحاق . رواية ابن هشام . جزء منها بقلم اندلسى نفيس سنة 533 .

شرح الجمل فى النحو — للزجاجى . تاليف ابن الصائغ الكتانى . بقلم مغربى سنة 891 .

شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين — الجزء الاول بقلم اندلسى جميل سنة 594 ، وبهامشه حواش وتعليقات .

طبقات النحويين واللغويين — لابى بكر الزبيدى الاندلسى . نسخة بقلم اندلسى قديم من خطوط القرن الخامس تقديرا ، وهذه هى النسخة الثانية من الكتاب ، فلم يكن يعرف منه الا نسخة وحيدة بمكتبة نور عثمانية بمدينة استانبول بتركيا . وعنها اصدر الاستاذ الجليل محمد ابو الفضل ابراهيم نشرته الاولى للكتاب ، ثم اعاد تحقيقه ونشره على هذه النسخة الثانية وصدر عن دار المعارف بمصر منذ سنتين .

العباب فى اللغة — للصاغانى . خمسة اجزاء تمثل نحو ثلثى الكتاب ، منها أربعة اجزاء بخط المؤلف نفسه ، سنة 650 ، وخطه نسخى جيد وهذا الكتاب من كتب اللغة المعتبرة ، ويعد من المراجع الاساسية للمعجم المعروف « تاج العروس فى شرح القاموس » .

ووجود هذه الاجزاء الخمسة من « العباب » فى الخزانة الملكية بالرباط يعد كسبا كبيرا ، فان هذا الكتاب لا تكاد توجد منه نسخة كاملة فى اى من مكتبات العالم الى الآن .

فضائل الشام — لابى سعد السمعانى . نسخة بقلم نسخى نفس سنة 649 ، وعليها قراءة للامام الصاغانى المذكور ، فى سنة كتابة النسخة . وحسب معرفتى لا اعلم لهذا الكتاب الا نسخة واحدة بدار الكتب المصرية .

كليلة ودمنة — ترجمة ابن المقفع — نسخة بقلم نسخى نفيس من خطوط القرن الثامن ، وبها اشكال ملونة تحكى احداث القصة .

مختصر شرح مسائل حنين بن اسحاق فى الطب . لمؤلف مجهول . نسخة بقلم نسخى حسن من خطوط القرن الثامن .

المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير — للفيومى نسخة بخط المؤلف ، كتبها سنة 737 والمصباح المنير هو ذلك المعجم اللغوى المحرر الذى كان مقررا على تلاميذ المدارس الثانوية فى مصر الى عهد ليس ببعيد .

المقتبس فى تاريخ علماء الاندلس — لابن حيان . جزء منه بقلم اندلسى جيد من خطوط القرن السادس تقديرا . وهذا « المقتبس » نادر وعزيز جدا فى مكتبات العالم ، ويشتغل به الآن الاستاذ الدكتور محمود على مكى

المنتخب من مسند عبد بن حميد الكشى — لمؤلف مجهول . نسخة بقلم مغربى دقيق سنة 720 ، ويوجد المسند نفسه بخزانة القرويين بفاس .

نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ـــ للمقرى المتوفى سنة 1041 ، نسخة بخط المؤلف .

هذه مثل قليلة مما تضمه الخزانة الملكية من نفائس المخطوطات .

اما الخزانة العامة بالرباط فتمثل المخطوطات المحفوظة بها : الرصد العام للخزانة ، ثم مخطوطات الخزائن الخاصة التى ضمت الى الخزانة العامة ، حفظا لها وحرصا عليها ، ويأتى فى مقدمة هذه الخزائن الخاصة : مكتبة عبد الحى الكتانى ، وبعدها مجموعة الجلاوى والحجوى ، ثم حصيلة الزاوية الحمزاوية والزاوية الناصرية .

واذا كانت الخزانة الملكية تحتفظ باثر نادر من آثار المشارقة ، وهو كتاب « الصاهل والشاحج » الذى ذكرت لك خبره من قبل ، فهذه الخزانة العامة تحتفظ ايضا بكتاب نادر للجاحظ ، ذلك هو كتاب « البرصان والعرجان والعميان والحولان » الذى سجل فيه الجاحظ ادب اصحاب العاهات ، مستطردا على جارى عادته الى ذكر النوادر والغرائب .

لقد ظل هذا الكتاب المعجب يتردد فى بطون الكتب القديمة دون ان تعرف له نسخة فى مكتبات العالم ، حتى اكتشفه الشيخ البحاثة السيد المختار السوسى ، صاحب كتاب « المعسول » رحمه الله . وقف المختار السوسى على هذا الكتاب منذ نحو اربعين سنة ، قابعا فى الزاوية العياشية ببلدة بزو ، بين تادلة والسراغنة جنوب شرقى الدار البيضاء . وتتوالى الايام ولا يفرط المغاربة فى ذلك الاثر النادر ، حتى كانت زيارة الدكتور صلاح الدين المنجد الى بلاد المغرب ، منذ نحو عشرين سنة ، وهو اذ ذاك مدير معهد المخطوطات ، ويصحبه عالم المخطوطات الكبير الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى، الى بزو ، ويقدم له نفائس المخطوطات ومن بينها هذا الكتاب الفريد ، الذى يقدم المغاربة صورة منه هدية للمشارقة تحفظ بخزانة معهد المخطوطات بمصر ، ثم يقوم الاخ الدكتور محمد مرسى الخولى بتحقيق هذا الكتاب ونشره على تلك النسخة الوحيدة ، منذ ثلاثة اعوام بمصر ، وكتب عنه نقدا عالم تطوان الكبير الاستاذ محمد بن تاويت فى مجلة دعوة الحق المغربية ، عدد جمادى الاخرة من هذا العام .

وليس كتاب الجاحظ هذا هو الاثر الوحيد الذى تنفرد الخزانة العامة بالاحتفاظ به دون مكتبات العالم، فمن ذلك ايضا :

تعليق من امالى ابن دريد ، نسخة بقلم نسخى جيد ، سنة 641 .

الوسيط فى الامثال ـــ للواحدى المفسر ، نسخة بقلم نسخى نفيس من خطوط القرن السادس تقديرا ، ولا يعيب هذه النسخة الوحيدة الا ان بها سقطا فى وسطها .

وهذا الكتاب لم يرد له ذكر فى فهارس المكتبات ، ولعل ذلك هو الذى دفع المستشرق الالمانى رودلف زلهايم الى ان يقول : « ولا ندرى المقصود بما ذكره البغدادى فى الخزانة 4 / 110 ، من قوله : قال الواحدى فى امثاله » (24) .

مثال الطالب فى شرح طوال الغرائب (اى الاحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم) ـــ لمجد الدين بن الاثير ، صاحب كتاب « النهاية » . نسخة بقلم نسخى نفيس جدا . وقد اجتمع لهذه النسخة من اسباب التوثيق والقبول مالا يكاد يجتمع فى نسخة اخرى : فناسخها هو محمد بن نصر الله ، وهو ابن اخى المؤلف ، والده ضياء الدين ابن الاثير صاحب كتاب « المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر » . وقد فرغ محمد من نسخ الكتاب سنة 606 ، ثم قراه وسمعه وصححه على عمه المؤلف ، وكتب صورة القراءة والسماع عمه الثانى عز الدين بن الاثير المؤرخ صاحب كتاب « الكامل » .

ديوان شعر ـــ لعبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسى الاندلسى ، كان حيا سنة 836 ، وليس لهذا الشاعر ولا لديوانه ذكر فى اى مكان ، وتتجلى اهميته البالغة فى انه عاش فى الاندلس اواخر ايام دولة الاسلام هناك ، وقضى حقبة من حياته اسيرا عند الاسبان ، وقال فى هذه الاثناء كثيرا من شعره ، كما سجل فى شعره كثيرا من الاحداث فى عصره ، ورثى كثيرا من المراكز الاسلامية التى عاصر سقوطها فى يد الاسبان(25)

والى جانب هذه المخطوطات الوحيدة التى تحتفظ بها الخزانة العامة فى الرباط ، رايت نفائس اخرى . منها : اعراب القرآن الكريم ـــ لابى اسحاق الزجاج ، نسخة فى عشرة اجزاء ، بقلم نسخى جيد سنة 383 .

مجموع بقلم نسخى نفيس جدا ، كتب سنة 351 ـ فيه من الكتب :

الموجز فى النحو ـ لابن السراج

الموفقى فى النحو ـ لابن كيسان

كتاب النحو ـ للغدة الاصبهانى

شرح ما يكتب بالياء من الاسماء المقصورة والافعال ـ لان درستويه المقصور والممدود ـ لابى عمر الزاهد .

كتاب الكتاب (اى الكتابة والخط والاملاء ، وفيه كلام عن المذكر والمؤنث) لابن درستويه المذكر والمؤنث ـ للمفضل بن سلمة .

كتاب الخط ، وكتاب القلم ، وكتاب العروض ـ الثلاثة لابن السراج .

مختصر فى فك دوائر العروض ـ لبعض العروضيين .

كتاب القواف ـ لابى القاسم الطيب بن على التميمى .

الاشتقاق ـ لابن دريد ، نسخة بقلم نسخى جيد ، كتبها العالم المعروف احمد بن عبد القادر بن مكتوم المتوفى سنة 749 . وهذه النسخة هى الثانية المعروفة فى مكتبات العالم من هذا الكتاب الى الآن . والنسخة الاولى محفوظة بمكتبة ليدن بهولاندة ، وعليها كان اعتماد المستشرق الالمانى وستنفلد فى نشرته سنة 1854 م ، ثم عول عليها ايضا استاذنا الجليل عبد السلام هارون فى تحقيقه للكتاب .

التعازى والمراثى ـ للمبرد ، نسخة بقلم نسخى نفيس سنة 757 ، وهذه هى النسخة الثانية ايضا من الكتاب . والنسخة الاولى محفوظة بمكتبة الاسكوريال باسبانيا .

انساب الاشراف ـ للبلاذرى ، نسخة كاملة فى مجلد واحد ، ثم نسخها سنة 661 ، وهى اقدم نسخة معروفة من الكتاب .

مقالة فى الادوية المضمونة المجربة ـ لجالينوس، ترجمة حنين بن اسحاق . نسخة كتبت سنة 683 .

وتحتفظ الخزانة العامة بعدة مخطوطات بخطوط مؤلفيها ، عرفت منها :

غريب الحديث ـ لابن الجوزى ، فرغ من تاليفه سنة 576 ، وخرجه من مبيضته سنة 581 .

ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ـ للحافظ الذهبى وفى آخر النسخة سماعات على المؤلف ، سنة 743 ، 745 .

مجموع يحتوى على عدة تآليف ـ لتقى الدين السبكى المتوفى سنة 756 ، وعلى بعض هوامشه خط صلاح الدين الصفدى .

قطعة من كتاب طبقات الشافعية الكبرى ـ لتاج الدين السبكى المتوفى سنة 771 ، ومن الغرائب ان هذه القطعة من نفس النسخة التى يوجد منها جزء بدار الكتب المصرية ، برقم 64 م (تاريخ مصطفى فاضل) فانظر كيف تفرقت اجزاء النسخة الواحدة فى مكتبات العالم !

وفى فاس العاصمة القديمة للمغرب توجد خزانة جامع القرويين ، مفخرة البلاد المغربية على الاطلاق ، فى رحابه تكون رجال وازدهرت معارف ، وقد وقف كثير من الملوك والامراء والعلماء ، على خزانة هذا الجامع ، العدد الوفير من المخطوطات فى شتى العلوم والفنون ، وتزخر هذه الخزانة بالنوادر والنفائس ، ولا سبيل الى ذكر كل ما رايته من هذه وتلك ، فحسبى ان اجتزىء ببعض المثل ، فمن ذلك :

سير الفزارى ـ ويسمى كتاب السير فى الاخبار والاحداث ـ لابى اسحاق ابراهيم بن محمد بن الحارث الفزارى المتوفى سنة 188 ، والموجود من هذا الكتاب الجزء الثانى ، فى 18 ورقة ، وهو مكتوب على رق الغزال ، وتم نسخه فى شهر ربيع الآخر سنة 270 (مائتين وسبعين) ، وهذا تاريخ له خطره وجلاله عند المشتغلين بتاريخ المخطوطات ، وعلى هذا الجزء خط خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، المؤرخ المشهور ، صاحب كتاب « الصلة » فى تاريخ علماء الاندلس ، ثم توجد عدة اجزاء من نسخة اخرى كتبت سنة 379 ، وتقع فى 59 ورقة .

اجزاء من نسخ مختلفة من تفسير الامام جعفر الطبرى ، على رق الغزال ، وبعض هذه الاجزاء مكتوب سنة 391 .

مختصر ابى مصعب احمد بن ابى بكر الزهرى

ـــ فى فقه المالكية ـــ نسخة بخط اندلسى عتيق سنة 359

النوادر والزيادات ـــ لابن ابى زيد القيروانى ، فى فقه المالكية ، جزء منها على رق الغزال ، بقلم اندلسى قوبل على نسخة المؤلف وهو على قيد الحياة سنة 383

كتاب الزهد والرقائق ـــ لابن المبارك ، نسخة بقلم اندلسى سنة 465 .

السيرة النبوية ـــ لابن اسحاق ، برواية يونس ابن بكير ، وهى رواية عزيزة جدا ، فان المطبوع المتداول من سيرة ابن اسحاق انما هو من رواية عبد الملك بن هشام ، ولم تعرف رواية ابن بكير هذه الا من خلال النقول عنها ، عند ابن سعد وابن الاثير وابن كثير (26) والموجود من رواية ابن بكير فى الخزانة الاجزاء : الثانى والثالث والرابع والخامس ، واحد هذه الاجزاء مكتوب سنة 506 .

الالفاظ فى اللغة ـــ لابن السكيت ، رواية ثعلب ، نسخة بقلم اندلسى على رق الغزال ، قرئت على العالم اللغوى ابن السيد البطليوسى فى منزله بمدينة بلنسية سنة 511 .

السماء والعالم ـــ فى اللغة ـــ لابى عبد الله محمد ابن ابان اللخمى القرطبى المتوفى سنة 354 ، الموجود منه الجزء الثالث بخط اندلسى قديم ، وبآخره وقفية سنة 855 ، ولا تعرف من هذا الكتاب نسخة فى اى من مكتبات العالم ، وهو من مراجع ابن سيده فى كتابه « المخصص » .

البيان والتبيين ـــ للجاحظ ، الجزء الثالث من نسخة جليلة ، على رق الغزال بقلم اندلسى نفيس جدا ضارب فى القدم ، والنسخة مقابلة على اصول صحيحة اصل الوقشى ، وابن سراج ، وعطاء بن البادش ، وبحواشيها تعليقات قيمة من كتاب الموالى ، وكتاب الحيوان للجاحظ .

الابانة فى الوقف والابتداء ، فى القرآن الكريم ـــ لابى الفضل محمد بن جعفر الخزاعى ، نسخة عتيقة بخط ابن البادش النحوى المعروف ، فرغ من نسخها سنة 520 .

كتاب مشتبه النسبة ، ومعه المؤتلف والمختلف فى اسماء والقاب رواة الحديث ـــ كلاهما للحافظ عبد الغنى ابن سعيد الازدى المصرى ، نسخة بخط نسخى جيد سنة 536 .

كتاب خلق الانسان ، وكتاب الفرق ، فى اللغة ، كلاهما لثابت بن ابى ثابت ، نسخة بخط اندلسى سنة 600 ، وفى الخزانة نسخة اخرى من خلق الانسان ، بها بعض النقص ، وهى بخط اندلسى قديم ، وهذا « خلق الانسان » كان قد نشره الاستاذ المحقق عبد الستار احمد فراج بالكويت منذ عشر سنوات ، عن نسخة وحيدة محفوظة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية .

تاريخ رواة الحديث ـــ لابن ابى خيثمة ، الموجود منه الجزء الثالث ، بقلم اندلسى سنة 610 ، وهذا الكتاب عزيز جدا ، وقد عرفت ورايت منه قطعتين صغيرتين : الاولى بالخزانة العامة بالرباط ، والثانية بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام .

مختصر تفسير ابى زكريا يحيى بن سلام التيمى المتوفى سنة 200 ، تاليف ابى عبد الله محمد بن عبد الله ابن ابى زمنين المتوفى سنة 399 ، نسخة بخط اندلسى سنة 611 .

كتاب الاخلاق المسمى : نيقوماخيا ـــ لارسطو ، بخط مغربى سنة 619 ، وبآخره مقالة فى المدخل الى علم الاخلاق يظن انها من تاليف نيقولاوش .

مجموع بخط اندلسى سنة 636 ، فيه كتاب الاضداد للتوزى ، وكتاب الفرق بين الحروف الخمسة ، وكتاب المثلث فى اللغة ، كلاهما لابن السيد البطليوسى .

البيان والتحصيل ـــ فى فقه المالكية ـــ لابن رشد الجد ، نسخة مزينة بخط اندلسى دقيق على رق غزال ، كتبت سنة 720 ، وتفيد هذه النسخة المعنيين بدراسة الخطوط وتطورها ، فقد كتبت بقلم اندلسى دقيق ومنسق جدا ، وبلغ عدد صفحاتها 640 صفحة ، فى كل صفحة 75 سطرا ، وهذا نمط فى الكتابة قل ان يوجد فى المخطوطات العربية ، واوراق النسخة كلها من بطن الغزال ، وهو أرق شىء فيه ، ولك أن تقدر كم من الغزلان استخدم فى كتابة هذه النسخة .

كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر (تاريخ ابن خلدون) ، الموجود منه الجزآن الثالث والخامس من النسخة ذات الاجزاء السبعة التى وقفها ابن خلدون على خزانة جامعة القرويين ، بتاريخ شهر صفر سنة 799 ، وعليها خط يده .

كتاب فى السياسة — لابى بكر محمد بن الحسن المرادي المتوفى سنة 489 ، نسخة مكتوبة سنة 843 .

منظومة رجزية فى علم الطب العام — لابن الطفيل الفيلسوف ، الرجز مرتب على سبع مقالات تتجاوز عدد ابياته 7700 بيت ، ويقول بعض المغاربة الذين قراوا هذه الارجوزة ان ابن الطفيل تكلم فيها على مرض السكر .

شرح ارجوزة ابن سينا فى الطب — لابن رشد الحفيد — نسخة بخط اندلسى قديم .

هذه مختارات مما تفيض به هذه الخزانة العريقة من الذخائر والتحف ، وقد رايت بعض النفائس وقد عبثت بها الارضة والرطوبة عبثا شديدا ، ولولا غيرة القائمين على الخزانة — وعلى راسهم العلامة محمد العابد الفاسي — لاتت الارضة والرطوبة على الكثير من نوادرها ، وهذا رجاء ابعث به الى الحكومة المغربية الرشيدة — واياديها على التراث مذكورة مشكورة — ان تولى مزيد اهتمام بهذه الخزانة ، فتبادر بتصوير كل مقتنياتها تصويرا فنيا بعد أن ترممه وتجلده ، ثم رجاء آخر الى العلامة العابد الفاسى ان يخرج الى النور هذا الفهرس العلمى القيم الذى صنعه لمحتويات الخزانة ، والذى وظف فيه علمه الغزير وخبرته النادرة ، فلقد رايت كثيرا من التعليقات الجيدة على اغلفة المخطوطات بقلمه ، آجره الله وجعله فى موازينه.

وفى تطوان رايت مخطوطات المكتبة العامة ، وعددها قليل بالقياس الى مخطوطات الرباط وفاس ، ومن اهم ما تضمه هذه المكتبة ديوان ابى الطيب المتنبى — بقلم مغربى جميل ، وتمتاز هذه النسخة بأن بها زيادات من شعر المتنبى ليست توجد فى سائر نسخ الديوان المعروفة ، فضلا عما بها من ذكر مناسبات القصائد ، وشرح بعض الالفاظ اللغوية ، والتنبيه على المعنى المراد ، والديوان مرتب على حروف المعجم ، وبأوله مقدمة للاديب ابى جمعة المراكشى الماغوسى ، فى بيان اهمية شعر المتنبى ، وما له من الحظوة عند ملوك السعديين .

وقد كتب عن مخطوطات تطوان العلامة عبد الله كنون ، مقالة مستفيضة تراها فى مجلة معهد المخطوطات — الجزء الثانى من المجلد الاول .

هذا ما كان من امر المكتبات العامة التى عرفتها فى المغرب ، اما المكتبات الخاصة فتنتشر فى حواضر المغرب وبواديه ، وقد اشار الى بعضها الدكتور صلاح الدين المنجد فى الجزء الاول من المجلد الخامس ، من مجلة معهد المخطوطات .

وقد عرف المغاربة المعاصرون قيمة ما انتهى اليهم من ذلك الارث الكريم ، فتناولوه بالدرس والبيان ، واكتشفوا من خلاله تاريخ الحضارة فى بلادهم ، ونفر منهم طائفة تفقهوا فى فن المخطوطات ، فجروا وراءها يجمعونها من الزوايا والصحراء ، ويقيمون حولها الدراسات ، ثم يقدمونها للناس ميسورة الجنى دانية القطاف .

وقد عرفت ثلاثة رجال من اعلام هذه الطائفة : محمد المنونى ومحمد ابراهيم الكتانى فى الرباط ، ومحمد العابد الفاسى فى فاس ، وهذا تقدمت الاشادة بفضله عند حديث القرويين . اما المنونى والكتانى فقد قدما للتراث العربى فى المغرب يدا باقية واثرا مذكورا ، فكم اكتشفا من مخطوطات ، وكم صححا من نسبة كتب لغير اصحابها ، ولولا خوف الاطالة لذكرت من هذا وذاك الشىء الكثير ، ثم كانت مساعدتهما المخلصة وعونهما الكريم لكل من يرد المغرب او يستفتيهما من خارجه فلم يحجبا علما ولم يبخلا بنصح .

ويمثل هؤلاء الاعلام الثلاثة الطبقة الاولى فى الواقع الادبى المغربى المعاصر ، وهى الطبقة التى تخرجت فى القرويين ، واتصلت بالتراث فى اصوله الاولى ومنابعه النقية بعيدا عن عبث المختصرين وضلال المتأولين .

وقد عاشت هذه الطبقة تجربة الحماية الفرنسية بكل مرارتها ، فلم تخدع عن لغتها وتراثها ، وظلت حفية به حريصة عليه مستزيدة منه .

وبجانب هؤلاء الاعلام الثلاثة عرفت من فحول هذه الطبقة : عبد الله كنون فى طنجة ، وسعيد اعراب ، ومحمد داود ، ومحمد بن تاويت — فى تطوان ، والرحالى الفاروقى فى مراكش ، وعبد السلام بن سودة فى فاس ، وفى الرباط : عبد الله الجرارى ، وعبد العزيز بن عبد الله ، ومحمد الفاسى ، وعبد الوهاب بن منصور ، ومحمد بن العباس القباج ، والحاج محمد باحنينى وزير الثقافة ، وهذا الرجل نمط وحده ، فهو اديب مترسل، تستمع اليه فيحملك الى دنيا حافلة بالنغم الحلو واللفظ المعجب والمعنى الشريف . وقد انيح لى أن استمع اليه فى أمسية شعرية بالرباط ، قدم فيها الشاعر السورى

الكبير عمر أبو ريشة ، فخلتنى مع بيان الجاحظ وترسل ابن العميد ، ولا اعتقد ان لهذا الاديب نظائر كثيرة فى المشرق او المغرب .

وما زالت هذه الطبقة تواصل عطاءها السخى ، وعلى وقع خطواتها سارت الطبقة الثانية من ادباء المغرب ، وهى طبقة اصابت من مائدة القرويين العامرة، ثم اتصلت بالمناهج الحديثة وحصلت على ارقى الشهادات الجامعية ، واتخذت مكانها فى قاعات الدرس بالجامعة والمعاهد العلمية ، وهذه الطبقة هى أمل المغرب المعاصر ، لما عرفت من وقوفها على القديم واتصالها بالحديث ، وقد ادركت منها :

الاساتذة الدكاترة : محمد بن شريفة ، وعباس الجرارى ، وعبد الهادى التازى — فى الرباط ، والاستاذ الدكتور عبد السلام الهراس ، وعبد الوهاب التازى ، والشاهد البوشيخى — فى فاس ، والاستاذين حسن الوراكلى واسماعيل الخطيب — فى تطوان ، وعباس الجرارى اكثر هؤلاء اتصالا بالحديث ، مع روافد تراثية خصبة .

ونأتى الى الطبقة الثالثة : كتاب الرواية والقصة والمسرحية والشعر والحديث ، وكتاب هذه الفنون الادبية فى المغرب يعالجونها على النحو الذى تعالج به فى مصر والشام والعراق ، وسائر بلاد المشرق سواء بسواء ، من حيث البناء والمضامين والانتماءات الفكرية المختلفة .

وتطالعك من كتاب الرواية والقصة اسماء : عبد الكريم غلاب ، وادريس الخورى ، وبوشتى حاضى ومن كتاب المسرحية : عبد الكريم برشيد ، ومصطفى الزباخ ، ومن الشعراء : محمد الصباغ ، وحسن الطريبق ، واحمد المجاطى ، وعبد الكريم الطبال ، ومحمد السرغينى ، ومحمد بن ميمون ، ولا شك ان هناك كثيرين غير ما ذكرت ممن عرفت خلال رحلتى الاثنتين الى المغرب .

وهذه الطبقات الثلاث من علماء وادباء المغرب تواصل انتاجها بثراء وغزارة ، ويجمعها كلها عتاب شديد على ادباء المشرق لاعراضهم وتجافيهم عما تنتجه القرائح المغربية ، وهذا العتاب يأتيك هامسا رفيقا من طبقة الشيوخ ، وتسمعه صاخبا غاضبا من طبقة الشباب ، فعلى حين يرى الشيوخ أن هذا الاعراض والتجافى انما جاءا نتيجة عوامل اصطنعت فى الامة العربية اصطناعا لتلفتها عما وجدت عليه آباءها ، وهى الى زوال وانقضاء ، يرى الشباب انهما — الاعراض والتجافى — نغمة من مقام التفوق الثقافى الذى يحس به المشارقة نحو المغاربة ، وآية ذلك هذا السيل من الكتب التى تحمل عناوين توحى بالشمولية ، مثل « دراسات فى الشعر العربى المعاصر » من مصر ، و « الشعر العربى الحديث وروح العصر » من العراق ، و « فى الشعر العربى المعاصر » من سوريا ، ثم تقرأ هذه الكتب فلا ترى فيها ذكرا لشاعر من شعراء المغرب .

وقد كتب الاديب عبد الجبار العلمى ، يرد على الاديب السورى بندر عبد الحميد كلمته التى نشرها بجريدة الثورة السورية ، عن التجربة الشعرية فى المغرب ، واتهامها بالانطواء والعزلة ، ومما قاله العلمى : « واحب ان اقول للسيد بندر عبد الحميد : ان المثقفين المغاربة من اشد الناس حرصا على الاطلاع على النشاط الثقافى فى كل الاقطار العربية ، وانهم يلتهمون كل ما يصل الى المغرب من كتب ومجلات وصحف عربية ، وانهم يتمثلون كثيرا من التيارات الجديدة ، سواء فى القصة او المسرح او الشعر ، وان التجربة الحديثة لدينا تمتح من جميع الاتجاهات ، سواء منها العربية او الاجنبية . . وهناك عديد من الابحاث فى كلية الآداب فى السنة الاخيرة من الليسانس ، كلها تتضمن شخصيات ادبية معاصرة ، سواء فى مصر او فى سوريا او فى العراق » (27) .

وهذا الذى قاله الاديب عبد الجبار العلمى حق كله ، وقد وقفت على اماراته وشواهده فى كل المدن المغربية التى زرتها ، فالمكتبات عامرة بآثار المشارقة، واحالات الاساتذة الجامعيين وغيرهم من الباحثين على كتابات ادباء المشرق تملأ حواشى كتبهم ، وعلى الجانب الآخر انظر ما يكتبه بعض المشارقة من دراسات اندلسية او مغربية ، وسترى خلطا كثيرا واضطرابا بينا ، ادى اليهما قلة معرفة بالمراجع المغربية الاصيلة، وعدم متابعة لما يجرى على الساحة المغربية من نشاط ادبى وفير .

وليسمح لى الاستاذ العلمى ان انتقل بالقضية الى ميدان اخطر واجل من قضايا القصة والمسرح والشعر الحديث ، انها قضية الفكر العربى الشتيت، والامة الغافلة عن ماضيها ، الذاهلة عن

ولقد كان هناك تواصل ولقاء بين ابناء هذه الامة يوم كانت وسيلة الاتصال الناقة والسفينة ، وحين تقاربت المسافات وطويت الآماد تقطعت اسبـــاب التواصـــل وانصرف كل فى واد ، وقد حدثتك من قبل عن قـــاسم ابن اصبغ الاندلسى الذى روى عن ابن قتيبة كتبه بمنزله ببغداد ، ويا بعد ما بين الاندلس وبغداد .

ولم يعد هناك من صور التواصل الا ما يكون من تلك المؤتمرات الادبية التى تعقد فى عاصمة من عواصم البلاد العربية كل عام او عامين ، تستغرق من الايام سبعة او عشرة ، وتنتهى جلساتها ببعض القرارات والتوصيات التى تذروها الرياح ، بل قد تكشف هذه المؤتمرات احيانا عن تنافر موحش بين اعضاء الوفود، نتيجة اختلاف المشارب والاهواء ، واقحـــام قضايـــا تجافى روح الادب والفكر .

واذا كانت الامة العربية تشترك كلهـــا مشرقا ومغربا فى مسؤولية التواصل هذه ، فانى اشهـــد ان المغاربة لم يقصروا ، وما برحوا يمدون ابصارهم الـــى المشرق ، تكريما لعلمائه وافادة منهم ، فهذه الدروس الدينية الرمضانية التى تلقى بين يدى جلالة الملك الحسن الثانى ملك المغرب ، فى قصره بالرباط ، والتى تسمى : الدروس الحسنية ، يدعى اليها كبار مفكرى الاسلام من البلاد العربية ، وقد دعى من علماء مصر هذا العام استاذنا الجليل محمود محمد شاكر — ويسميه بعضهم هناك : شيخ العربية — والباحث الدكتور مصطفى محمود ، وقد حدثنى احد منظمى مهرجان ابن زيدون فى الرباط ان وزارة الثقافة المغربية قد دعت الى هذا المهرجان كل من له ادنى صلة بابن زيدون فى مختلف البلاد العربية ، وقد دعى من ادباء مصر عدد وفيـــر ليسوا كلهم على صلة بابن زيدون ، بل ان بعضهم لا وجود له فيما يكتب من ادب فى مصر هذه الايام ، وقد كانت له ايام ، ولكنها رغبة المغاربة الدائمة فى تكريم الاديب المصرى ، واجلالهم لماضيـــه ، وحـــين زالت الحواجز التى كانت تعوق حركة المصريين اندفع المغاربة فى دعوة كثير من اساتذة الجامعات المصرية للافادة من علمهم فى قاعات الدرس بالجامعات المغربية .

والحق ان لمصر فى الوجدان المغربى رصيدا ضخما من الحب والاعزاز ، تراه انى سرت وحيثما توجهت ، وقد رايت من تعلق المغاربة بكل ما هو مصرى مالا يبلغ كنهه وصف واصف ، ولا يسوء القوم الا اننا نجهل عنهم الكثير ، ولقد قال لى عالم مغربى كبير : اننا نعرف عنكم كل شىء وانتم لا تعرفون عنا اى شىء .

وبعد : فاذا كان المغرب قد حافظ على التراث العربى ، مخطوطات نادرة ونصوصا قيمة ، فانه قـــد حافظ عليه ايضا ، سلوكا وفضلا ورعاية لواجب الاخوة مهما تباعدت الديار وتناءت الامصار .

وهذه دعوة من فوق منبر « الثقافة » الى ادباء المشرق عامة ، وادباء مصر خاصة ان يلتفتوا لفتـــة جادة الى ادب اخوانهم فى المغرب ، درسا له وبحثا عن مواطن الاجادة فيه ، فما ينبغى ان يظل هذا الركن القصى من الوطن العربى غير محسوب فى خريطة الفكر العـــربـــى .

---

(1) طبقات النحويين واللغويين صفحة 254 بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .
(2) المرجع السابق صفحة 256 .
(3) تاريخ علماء الاندلس — لابن الفرضى صفحة 365 طبعة الدار المصرية للتاليف والترجمة .
(4) طبقات النحويين واللغويين صفحة 275 (ترجمة عفير بن مسعود) .
(5) المرجع السابق صفحة 262 ، وايضا تاريخ علماء الاندلس صفحة 296 .
(6) معجم الادباء 130 / 100 طبعة دار المامون .
(7) انباه الرواة على انباه النحاة 2 / 252 بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .
(8) فهرست ما رواه عن شيوخه ابو بكر محمد بن خير الاشبيلى صفحة 395 — 397 نشر المكتب التجارى بيروت ، وانظر ما كتبه العلامة حسن حسنى عبد الوهاب ، عن العناية بالكتب وجمعها فى افريقيـــة التونسية ، من القرن الثالث الى الخامس للهجرة —مجلة معهد المخطوطات العربية بمصر ، المجلد الاول صفحـــة 72 .
(9) ابن زيدون عصره وحياته وادبه — للاستاذ على عبد العظيم ، صفحة 508 ، وانظر ايضا الذخيرة لابن بسام — الجزء الاول من القسم الاول ، صفحـــة 326 .
(10) مقدمة تحقيق كتاب مختصر العين صفحة هـ للاستاذين علال الفاسى ومحمد بن تاويت الطنجى — طبعة الـــربـــاط .

(11) مقدمة تحقيق اليتيمة صفحة 13 للاستاذ الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومقدمة تحقيق الذخيرة صفحة ا ، ب للاستاذ الدكتور طه حسين

(12) مقدمة تحقيق كتاب « التعريف بالقاضى عياض » للاستاذ الدكتور محمد بن شريفة ، ومقدمة تحقيق كتاب « ترتيب المدارك » للقاضى عياض . تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى ـ والكتابان من مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط .

(13) كتب برامج العلماء فى الاندلس ـ مجلة معهد المخطوطات . المجلد الاول صفحة 118 .

(14) طبقات النحويين واللغويين صفحة 235 .

(15) كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ـ للحاج خليفة صفحة 1427 طبعة استانبول .

(16) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ـ الجزء الثانى صفحة 428 تحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .

(17) انباه الرواة ـ الجزء الثانى صفحة 123 ، والصيمرى : بفتح الصاد وسكون الياء وفتح الميم

(18) على الرغم من غلبة الفية ابن مالك على معاهد الدرس مشرقا ومغربا ، فقد رايت الصبيان فى مسجد الجامع الكبير بمدينة صنعاء ـ اثناء رحلتى فى العام الماضى الى اليمن ـ يتدارسون « ملحة الاعراب » للحريرى صاحب المقامات . وهذه « الملحة » اشهر نظم نحوى قبل الفيتى ابن معط وابن مالك .

(19) راجع كتاب الامثال العربية القديمة . تاليف المستشرق الالمانى رودلف زلهايم ، ترجمة الاستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ـ صفحتى 151 ، 219 طبعة بيروت .

(20) طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق اخى الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، وكاتب هذا المقال ـ الجزء الخامس صفحة 192 ، والسادس 243 .

(21) الزاوية الدلائية ودورها الدينى والعلمى والسياسى ـ للاستاذ محمد حجى ، صفحة 25 طبعة الرباط .

(22) فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ـ الجزء الاول صفحة 3 ، وهذا الكتاب النفيس جعله مؤلفه قاموسا عاما لتراجم المؤلفين فى السنة النبوية الشريفة من القرن الثامن حتى اواسط القرن الرابع عشر ، وقد اراده ذيلا على طبقات الحفاظ لابن ناصر والسيوطى .

(23) ينظر عن نفائس هذه المكتبة مجلة معهد المخطوطات ـ المجلد الخامس صفحة 174 .

(24) كتاب الامثال العربية القديمة المتقدم قريبا ـ صفحة 215 .

(25) قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة فى مكتبة جامعة القرويين بفاس ، بمناسبة مرور مائة والف سنة على تاسيس هذه الجامعة ـ صفحة 58 طبعة الرباط .

(26) راجع مقدمة تحقيق مغازى الواقدى للمستشرق الانجليزى الدكتور مارسدن جونز ، صفحة 26 طبعة دار المعارف بمصر .

(27) الملحق الثقافى لجريدة العلم المغربية ـ الجمعة 12 رمضان 1395 هـ ـ 19 سبتمبر 1975 .

صور أدبية :

أبو فارس عبد العزيز الملزوزي المكناسي

للأستاذ محمد العلمي حمدان

لا تذكر دولة المرينيين دون ان يقرن معها ميلاد القومية المغربية والحضارة ذات الطابع المغربي الخالص فى شتى مجالات العلم والفن والعمارة والادب.

ولا تذكر منجزات العصر المرينى الاول بالخصوص دون ان يتبادر الى الذهن بطلها العظيم المنصور ، الذى اشتهر بما خلفه عهده من منجزات حضارية ، وما شيد فيه من مدارس ومارستانات ومساجد ، وما بذله فى سبيل نصرة الاسلام وحماية دياره عن طريق الجهاد ، ثم عنايته برجال العلم والدين والادب، وفى العدد الهائل من اعلام هذا العصر دليل على ما امتاز به عهد هذا السلطان .

كانت هذه المقدمة ضرورية وانا بصدد الحديث عن اديب هذا العصر الذى لم يسعده الحظ بالتفاتة عادلة من كتابنا وادبائنا حتى ينال نصيبه من التعريف الذى يستحقه كشاعر رسمى لدولة المرينيين فى عهد بطلها المنصور بما توفر له من امكانيات القول التى خلدت دولة المرينيين وابطالهم وتاريخهم وجهادهم ومنشآتهم مما جعل شعره سجلا تاريخيا لهذه الدولة بما سطره من ملامح رائعة عنهم ، انه الشاعر الملحمى ابو فارس عبد العزيز الملزوزى المكناسى .

ينتمى هذا الشاعر الى قبائل زناتة التى تربطها بالمرينيين روابط النسب ، ولعل فى هذا الانتماء ما يفسر الاسباب التى جعلته يتوفق فى ان يصبح شاعرهم الرسمى المتجلية فى معرفته الواسعة بقبائلها وافخادها وبطونها ، واثر هذه المعرفة فيما دبجه فيها من اشعار شهرت بالمرينيين ومكنت لدولتهم .

ليس غريبا اذن ان يتخذه الامير ابو مالك عبد الواحد ولى عهد الملكة رفيقه ومنادمه وكاتبه المختار، وان يستعمله الامير يوسف بعد وفاة اخيه وتوليه العهد من ابيه ، هذه المعرفة وهذا التقريب ، هيأ له ان يتبوأ منصب شاعر الدولة التى لم يسعد بها حتى الشاعر الكبير ابن المرحل ، وهو من هو سلاسة قول وعذوبة لفظ ، فاصبح يتنقل معهم فى جل اسفارهم وحروبهم ليسجل بشعره نشاطهم المعمارى وجهادهم البطولى ، ولعل فى معرفته باللسان الزناتى مساعدا له فى ذلك ايضا .

ولا ندرى متى اتصل ابو فارس بقصر المرينيين قبل ان نفاجأ به كاتبا للامير ولى العهد سنة 669 هـ ثم شاعر دولتهم الرسمى ، غير ان مكانة ابى فارس الشعرية هذه فى بلاط المرينيين لم تمح مكانته العلمية

الشعرية كفقيه اهلته لتولى منصب المكلف بالحسبة فى المغرب ، هذا المنصب الذى يمزج بين مسؤولية وزارتى الداخلية والعدل فى عصرنا ، فى الوقت الذى كان يباشر مهمته ككاتب للامير ، وبذلك جمع بين عدة مهام فى قصر المرينيين كغيره من اصحاب الكفاءة فـى القـديـم .

لقد بلغت علاقة شاعرنا بولى عهد الدولة درجة من الصداقة والالفة جعلت الامير ابا بكر لا يستغنى عن كاتبه ، لما كان يجده فى صحبته من انس وثقافة وظرف لا شك ، ويروى الكثير عن هذه العلاقة التى تعدت المجال الرسمى لتدخل مجال رفع الكلفة بينهما، يروى صاحب الذخيرة بعد ذكر صفات واخلاق الامير قصة احدى الجلسات بين الامير وشاعره فيقول : دخل عليه (على الامير) شاعره عبد العزيز الملزوزى فى يوم من شهر رمضان وهو بقصره بحضرة مراكش وكان يوما قد استترت فيه السماء بالسحاب ، والنهار يبكى بالدموع كأنه عاشق صد عنه حبيبه ، وتعطلت دموعه ، وكان الرعد يهدر هدرتـه ، والبـرق .. وكان المجلس الذى كان فيه الامير قد فرش بأصناف الرياحين والورد والبنفسج .. فقال له الامير عبد الواحد : يا عبد العزيز ارايت ما احسن هذا النهار ، لو كان فى غير شهر الصوم ، ثم أمره أن يقول فى ذلك المعنى شعرا فأنشد ارتجالا على البديهة :

اليوم يـوم مـدامـة وعقـار
وتبلـغ الآمـال والاوطـار
او ما رايت الشمس اخفى نورهـا
وتستـرت عـن اعيـن النظـار
وبكـى السحـاب بدمعـه فكانـه
دنف بكـى مـن شـدة التذكـار
والبـرق لاح مـن الغمام كأنـه
سيـف تألـق فى سمـاء غبـار
لا شىء أحسـن فيـه من نيل المنـا
بمـدامـة تبـدو وكشعلـة نـار
لـولا صيام عاقنـى عن شربهـا
لخلعـت فى هـذا النهـار عذارى
لو كان يجزى عـن صوم او فـدا
ما صـوم شهـر فى صيـام نهـار
لكـن تـركـت سروره ومـذاقـه
حتـى اكـون عليـه ذا اقـرار

وعلى ذكر هذه الابيات يـروى صاحب الذخيرة ان الامير اجازه بخمسمائة دينار وكسوة ولكن الوكيل بذلك اعطاه الدراهم ناقصة واعطاه الكسوة من اثواب خشنة ، وكان الوكيل حاجا ، فكتب الشاعر الى الامير يشكو اليه فيها من فعل الحاج الوكيل ، ومما جاء فى شكاته قوله :

ان كـانت الحجـاج طـرا مثلـه
لا بـارك الـرحمـن فى الحجـاج

فضحك الامير وامر بانصافه وتعويضه ، بل ان مستوى العلاقة يصل الى أن يزور الامير شاعره حين علم بمرضه من حمى اصابته بمراكش ، وكان بدأ يخف منها فساله عن حاله فأجاب :

لـمراكش فضـل على كـل بلـدة
ومـا ابصرت عين لهـا من مشابه
ومـا هـى الا جنـة قـد تزخرفت
ولكنهـا حفـت لنـا بالمكـاره

ويتجلى عمق العلاقة الذى يربط الشاعر باميره ان يخصه بالمدح فى قصيدته التى انشأها بعد انتصار المنصور بحضور ولديه مالك وابى يعقوب على امير تلمسان يغمراس سنة 670 والتى يصف فيها القتال ويمدحه فيها بقوله :

ابـا مالك لا زلت للملك مـالكـا
لك السعـد بيت والسيـوف تمائم
اتاكم بـه يغمـور يقـدم جمعـه
ولم يـدر ان الحين فى الجيش قادم
فمـزق ذاك الجيش كـل ممـزق
كمـا مـزقت ميتا بقبـر قشاعـم
هنيئـا لكم نصر مبين على المـدا
وطـول سعـود شأنهـا متداوم

لقد تركت وفاة الامير ابى مالك آلاما فى جميع الاوساط الادبية ، وفى شاعرنا بالاحرى وليس ذلك بغريب ، فقد كان الامير كثير الحدب عليهم يجالسهم ويذاكرهم ، فلا غرابة ان نجد شاعرنا يرثيه بهـذه القصيدة التى يرثى فيها الحياة بكاملها حين يقول :

حكم الزمـان على الخلائق بالفنـا
فالـدار لا يبقـى بهـا ديـار

عش مـا تشاء فان غايتـك الردى
يبلـى الزمـان وتـذهب الاعمـار
فاحـذر مسالمـة الزمـان وامنـه
ان الـزمـان باهلـه غـدار
وانظـر الى الامراء قد سكنوا الثرى
وعليهم كـاس المنون تـدار

انه يرى فى موت هذا الامير انذارا بالخـراب والفنـاء :

فى مـوت عبد الواحد الملك الرضى
لجميـع امـلاك الـورى انـذار
ان ليس يبقـى فى الملـوك مملـك
الا اتتـه منيـة وبـوار
ناديتـه والحـزن خامـر مهجتـى
والقلـب فيـه لـوعـة واوار
يا من ببطـن الارض اصبح آفـلا
اتغيب فى بطـن الثـرى الاقمار ؟ !

وينهى قصيدته بهذا البكاء وهذا الاستعبار طالبا من زائرى قبره الدعاء له بالرحمة والغفران :

لـما وقفـت بقبـره متـرحمـا
بـان العـزاء وهـاجنـى استعبار
فبكيت دمعـا لـو بكت بمثـالـه
غـر السحـائب لـم تكـن امطار
يـا زائريـه استغفـروا لمليككـم
ملـك الملـوك فانـه غفـار

ورغم ان علاقته بالامير يوسف فيما بعد لم تكن متانة ما كان بينه وبين ابى مالك الا ان هذا لم يمنعه ينشىء فيه قصائده ، من ذلك قصيدته فيه حين ذ له المنصور البيعة سنة 971 ، وبعد ان يقدم عره بوصف جميل لمدينة سلا ومناظرها التى اخذت هذه البيعة يقول :

لـلـه درك يـا سـلا مـن بلـدة
من لا يعاين مثل حسنك ما اشتفى
قـد حـزت بـرا ثم بحـرا طاميا
وبـذاك زدت مـلاحـة وتزخـرفا
فاذا رايت بهـا القطـائع خلتهـا
طيـرا يحـوم على الورود مرفرفا

ثم ينتقل الى المدح واصفا اياه بالملك فى قوله :

ملك بـه تزهـى الخلافـة والعـلا
وبـه تجـدد فى الرياسة ما عفـا
من لم يزل يسبى الفوارس فى الوغى
ان سـل يوما فى الكريهـة مـرهفا
الفـت محبتـه القلـوب لانـه
ملك لنـا بالجـود اضحى متحفـا
القـى اليـه الامر والـده الـذى
عن كل خطب فى الورى ما استنكفا

ان الوسط الذى يعيش فيه أبو فارس ودوره كشاعر الدولة تجعله الكلمة من طموح لا بد أن تدفعه الى توسيع مجال القول من الامراء ولاة العهد الـى الملوك ، وهو ما فعله شاعرنا الذى كان يعيش خضم الاحداث السياسية والحربية ويساهم فيها بالمشاهدة وابداء الراى .

فان تنقلاته وغزوات المنصور بالاندلس وجهوده الحضارية المعمارية والعلمية كانت تجد الصدى البعيد فى نفسه فكان يترجمها الى قصائد ينشدها بين يدى ملكه من ذلك ما حدث سنة 680 بالجزيرة الخضراء بعد غزوة يعقوب الكبرى حين جلس يوم عيد الفطر يتلقى التهانى فانشده الشعراء ما جادت به قرائحهم وكان نصيب ابى فارس قصيدته الطويلة ذات الخمسين والمائتى بيت ، تلك القصيدة التى تحدث فيها عـن سيرة السلطـان وغزواته وغزوات بنيه وحفدته ، والتى امتدح فيها قبائل بنى مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد ، وقد انشدها بين يدى المنصور الفقيه ابو زيد الفاسى المعروف بالغرابلى ، ونال عنها جائزة المنصور الف دينار كما نال قارئهـا مائتى دينار ، وهذه بعض مقاطع القصيدة يقول :

لـمولانـا امـيـر العـدل ملـك
بـه انسلبـت يـد الكفـر انسلابا
ولـم نـر قبلـه فى العصر ملكـا
ارانـا فى الغـد العجب العجـابا

الى ان يقول متحدثا عن جهاده وغزواته التى انتقل فيها الى الاندلس اربع مرات وما فعله ذلك فى نفوسهم :

نجـاز البحـر مجتهـدا مـرارا
يقـود الى العـدا الخيل العـرابا
فالبـس ملكهـم ذلا وصـارت
بـه الامـلاك تهب ارتهـابـا

ويخبر انه سيخلد هذه البطولات فى شعره بقوله:

ساودع فى غـزوهم فى الـروم نصا
نظـاما لا اخـاف بـه اضطـرابا
واذكـر مـن وقائعهـم امـورا
يصيـر بهـن طعـم الشرك صابا

ثم يأخذ فى سرد الاحداث منذ جاز المنصور البحر اول مرّة للجهاد واضعا المعارك المختلفة التى جرت له هناك ويختم بمثل هذا القول :

هنيئـا يا امريـن لقـد علـوتـم
بنـى الامـلاك باسا وانتجـابـا

وللملزوزى بالاضافة الى ذلك ارجوزة تاريخية سماها نظم السلوك فى ذكر الانبياء والخلفاء والملوك نستطيع من خلالها التعرف على مدى ثقافة الشاعر التاريخية ، وقد كانت هذه الارجوزة شبه مفقـودة الى ان عثر عليها الاستاذ بنمنصور فنشرها كاملة فى كناش خاص ، وقد بلغ عدد ابياته أزيد من الف وثلاثمائة بيت ومن قوله فيها متحدثا عن يعقوب المنصور :

سيـرتـه ان يقـرا الكتـابـا
ويـذكـر العلـوم والآدابـا
مجلسـه ليـس بـه فجـور
ولا نتـى فـى قولـه يجـور
كأنهـم مثـل النجـوم الزهـر
ومثلهـم يعقـوب مثـل البدر

وقد كان لحزمه وعدله نتائج طيبة على البـلاد والعبـاد :

فأمـن الغـرب مـن الفسـاد
ونشـر العـدل علـى البلاد
ولم يـدع فى الغـرب مـن يجور
وزالـت الاهـوال والفجـور
ورفـع الظلـم عـن الـرعيـة
وتمـم الطغـاة فـى البريـة

وفى حديثه عن المرينيين ونسبهم الزناتى يرجع بهم الى اصل عربى اما سبب لكنتهم فيقول عنه :

فجـاورت زنـاتـة البـرابـرا
فصيـروا كـلامهـم كمـا ترى
مـا بـدل الدهـر سوى اقـوالهم
ولـم يتبـدل مقتضى احـوالهم
بل فعلهم اربى على فعل العـرب
فـى الحـال والآثـار ثم فى الادب

وقد راى بعض الباحثين فى البيت الاخير ما يدل على شعريته فى صاحبه ، وما هو كذلك يؤكد رايى ما جاء فى قصيدته التى القاها بالجزيرة بعد حديثه عن البربر واعمالهم قوله :

واذكـر خدمـة العـرب التى قـد
اعزتهـم لـدى المـوتـى جنـابا
فجـاوزوا عنـده اعـلا مكـان
مكـان لـن يـرام ولـن يصـابا
فأنتـم ايهـا العـرب انتصـرتـم
لعـزكـم فـالـزمكـم منـابـا
اليس لحميـر لكـم انتسـابـا
كذاك مـريـن ان رفعـوا انتسابا
وانتـم اخـوة نسبـا وصهـرا
فمـا حدثتـم عـن الفخر اجتنابا

ويثير استغرابنا فيما تبقى من شعره خلوه من اية قصيدة فى ابى يعقوب يوسف رغم انه عاش تحت ظل دولته اثنى عشر عاما من 685 الى 697 وهى سنة وفاة الشاعر احتفظ له يوسف بمهمة الحسبة التى كانت له بل واضاف اليه سنة 693 بمناسبـة المجاعة التى حلت بالبلاد مسؤولية جعـل الصيعان على مد النبى .

نريد بعد هذا العرض السريع ان نقف قليلا مع شعر ابى فارس من خلال القصائد التى اوردنا له وهى قصائد متنوعة الاغراض رغم قلتها ، لتقييمه واستخلاص ثقافة صاحبه ، واول ملاحظة نستخلصها من شعره انه عبارة عن منظومات تاريخية ليس فيها كد للذهن عند الشاعر او خيال واسع فسيح فكانما وضع امامه كتبا تاريخيا عمل على نظم ما جاء فيها من احداث لنترك لنا ارجوزته الكبرى نظم السلوك او قصيدته

بالجزيرة الخضراء ، الا ان هذا لا يمنع من القول من ان هذا الشعر كان ياتيه يسيرا بسبب ثقافته اللغوية والتاريخية التى لا يقف حاجزا امامها اى موضوع مهما كان .

وقد ترك ابو فارس قصائد ذاتية تدل على انه كان احيانا يخلو الى نفسه مع قلبه وانفعالاته فقد اشار الاستاذ كنون الى انه عثر اثناء بحثه فى أوراق الشاعر بأحد اديرة غرناطة على اوراق بها شعر نظمه ابو فارس بتلمسان يتشوق الى بلدته بمكناس وأمداح مختلفة وخلاف ذلك من الاغراض ، وهو ما اشار اليه ابن الخطيب حين قال عنه :

« كان شاعرا مكثرا سيال القريحة ، اماما بأيدينا فلا يعدو قصيدة واحدة بثها شوقه وعذابه وما يقاسيه من بعد الحبيب جاء فيها » :

اعلمت بعدك زفرتى وانينى
وصبابتى يوم النوى وشجونى
اودعت اذ ودعت وجدا فى الحشا
ما ان تزال سهام تصمينى
ورقيب شوقك حاضر مترقب
ان رحت صبرا بالاسى يفرينى
من بعد بعدك ما ركنت لراحة
يوما ولا غاضت عليك شؤونى
قد كنت ابكى الدمع ابيض ناصعا
فاليوم تبكى بالدماء جفونى
قل للذين قد ادعوا فرط الهوى
ان شئتم علم الهوى فسلونى
انى اخذت كثيرة عن عروة
ورويت سائره عن المجنون

وباضافة هذه القصيدة الى مرثيته فى الامير ابى بكر ، وفى ابياته التى كان يرتجلها لساعتها وهو صحبة اميره ، ما يدل على انه كان شاعرا بالاصالة ، لكن يبدو انه لم يكن يهتم بتنقيح شعره ، اما عن مطولاته فقد اطلق عليها بعض البحاث اسم ملحمة ، ولكن الاستاذ بنتاويت يرى ان عناصر الملحمة فيها ليست مستوفاة اذ ينقصها الخيال المبدع .

والواقع ان مظاهر الملحمة عنده لها ما يبررها من خلال الاحداث والغزوات والحروب الطاحنة المستمرة التى كانت تجرى بين المنصور ومسيحيى الاندلس ، وحركة الجنود فى العبور والعودة وحضوره فى هذه المشاهد ، بل وتتجلى فى المنصور نفسه بطل الدولة ، هذا النفس الملحمى شيء يمتاز به ابو فارس دون غيره من شعراء المغرب فيما خلفه من تلك القصائد الطوال والاراجيز التاريخية التى يتبع فيها سير الاحداث بحسب تواريخها . .

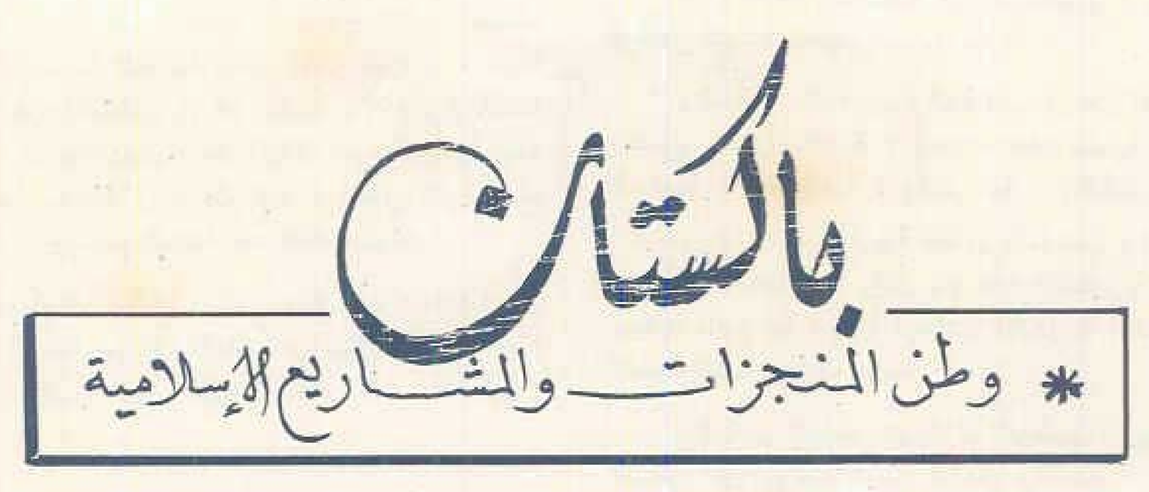
ورغم ذلك فقد اخذ على ابى فارس بعض المآخذ المختلفة فى شعره من ذلك انه كان يطلب مقابل ما يقدمه من اشعار فى صراحة تامة كما جاء فى ختام قصيدته فى الجزيرة ، السابقة الذكر حين يقول :

مرين لقد مدحتكم فوفوا
لمدحكم ببغيته الثوابا
وقد ورخت دولتكم وصارت
حياتى يحدو بها الحادى الركابا
وكل منظم شعرا سيفنى
ويبقى فيكم مدحى كتابا

كما يأخذ عليه قلة ذوقه فى مخاطبة ولى العهد بلفظ ملك وبحضور الملك ، غير ان هذه المآخذ لا تصل الى حد الطعن فى شاعريته التى بوأته ان يكون شاعرا للدولة ، فقد بلغ ابو فارس من التقدير والاحترام فى بلاط المرينيين ما دفعهم الى ان يقتلوا شاعرا هجاه ، وهو عبد المهيمن بن محمد الاشجعى نزيل مراكش قبل وفاته بعدة شهور فقط .

الا ان هذه المكانة عند الشاعر لم تشفع له عند ملكه حينما اتى من التصرفات ما لا تسمح به سياسة الدولة ففى سنة 697 يقول صاحب القرطاس، نكب امير المسلمين جماعة من خدامه منهم عبد العزيز الملزوزى الشاعر ومحمد الكنانى والفقيه ابو يحيى ابن ايوب الى الصبر ، ويذكر صاحب الاحاطة زيادة فى الخبر حين يقول توفى خنقا بسجن فاس لسعاية جناها تهوره ، وهكذا انتهت حياة شاعر وانتهى ما اخذه او جمعه من احوال وصفت بانها كانت كثيرة ، ولكن شعره فى المرينيين خلد ولم يمت فكانوا الرابحين فى الصفقة .

فاس فى 6 / 9 / 1976



للأستاذ محمد المنوني

اقامت دولة باكستان ذكرى للمولد النبوى الشريف كانت الاولى من نوعها ، وهى التى جسمها « المؤتمر الاسلامى العالمى للسيرة النبوية » ، ابتداء من فاتح ربيع النبوى 1396 هـ ، حتى اليوم الثانى عشر منه ، الموافق 3 الى 14 مارس 1976 م ، وكما سنرى فقد ساهم فى هذا التجمع الاسلامى 172 استاذا وعالما من 43 دولة .

وشاركت فى هذه الندوة نيابة عن المغرب بمبادرة من جهة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، حيث قضيت برحاب مؤتمر السيرة النبوية خمسة عشر يوما ، وسجلت ـ خلال الفترة ذاتها ـ معلومات وارتساما عن الجهات التى زرتها ، حسب امكانيات التفاهم فى وسط تغلب عليه الاردية والانكليزية ، وسيتدرج ترتيب العرض مع النقط التالية :

ـ تعريف سريع بباكستان فى مدخل تمهيدى .

ـ مؤتمرات اسلامية بباكستان .

ـ مبادرات نحو دستور اسلامى باكستانى .

ـ معاهد اسلامية .

ـ منظمات اسلامية .

ـ المؤتمر الاسلامى العالمى للسيرة النبوية .

باكستان ـ ولا تقل الباكستان ـ تؤدى مدلول وطن طاهر ، وهو الاسم الذى تحمله الجمهورية الاسلامية بشبه القارة الهند وباكستانية جنوب آسيا .

وقد تأسست ـ عام 1367 هـ / 1947 م ـ من وحدتين جغرافيتين ، شرقية ، بنغلاديش ، وغربية ، وهى التى استمر عليها اسم باكستان ، حيث ستكون موضوع هذا العرض .

وهى تتاخم الافغان وايران من الغرب ، وجنوبا بحر العرب الذى هو قطعة من المحيط الهندى ، ومن باقى الجهات تجاور الهند .

مساحتها 360.860 ميلا مربعا ، وحكومتها جمهورية اتحادية برلمانية ، ودستورها الحالى هو الخامس بعد استقلال البلاد ، ويتكون اتحادها من اربع ولايات كالتالى :

ـ اقليم البنجاب ، وقاعدته مدينة لاهور .

ـ اقليم السند ، وقاعدته كراتشى .

ــ اقليم بلوشستان (1) ، وقاعدته تسمى كويتا ٠

ــ اقليم الحدود الشمالية الغربية ، وتحمل قاعدته اسم بيشاور ٠

وكانت العاصمة المركزية هى كراتشى ، ثم نقلت منها الى اسلام اباد : مدينة حديثة على مقربة من مدينة روالبندى عند اقصى الحدود الشمالية لاقليم البنجاب وتجهز العاصمة الجديدة بمبنى فاخر للبرلمان ، حيث وضع حجره الاساسى فى 14 غشت 1974 م ، كما ان الملك الشهيد فيصل عاهل المملكة العربية السعودية، تبرع ببناء مسجد فى اسلام اباد ، ليكون اكبر جامع بباكستان ، وسيتم تشييده بعد ثلاث سنوات ٠

اما شكل ارضها : فهى جبال ومرتفعات فى القطاع الشمالى واقليم كويتا ، وسهول وصحراء فيما عدا ذلك على العموم ، ويجتازها نهر السند العظيم ٠

وتربتها : ــ بصفة عامة ــ صالحة ، ومناخها ملائم لنمو جميع انواع الفاكهة المعروفة ، ويشكل الانتاج الزراعى ثمانية وثلاثين فى المائة من الانتاج القومى العام (2) ٠

والى جانب السكان الاصليين بالبلاد ، توجد عناصر فارسية وافغانية وسواها ، فتختلف ــ تبعا لذلك ــ الوان الباكستانيين من البياض الناصع ، الى المشوب بالحمرة ، الى السمرة ، وبالبلاد ــ ايضا ــ جاليات من القارات كلها ٠

ويبلغ تعداد السكان خمسة وستين مليونا (3) اكثريتهم مسلمون بينما لا تتعدى الاقليات الدينية مليونين (4) ٠

والمسلمون سنيون يتبعون المذهب الحنفى ، ولذلك يثنون اقامة الصلاة ــ وفيهم اقلية شافعية وحنبلية وشيعية ، والطرق الصوفية الشائعة هى : القادرية الرضوية ، والنقشبندية ، والسهروردية ، والبشتية ، وهذه الاخيرة تنتسب للشيخ معين الدين من بشت بالافغان ٠

اما الاقليات الدينية فترجع الى خمس فرق رئيسية :

ــ البراهمة وهم الهنادك .

ــ والبوذيين ٠

ــ والبارسى ، المجوس عبدة النار ، واسمهم الاصلى الفارسيون ٠

ــ والسيخ : نحلة قامت لاصلاح ما فسد من ديانات الهند القديمة ٠

ــ والفرقة الخامسة هم المسيحيون ، ولهم فى كراتشى كنيسة القديس سانت باتريك ٠

واللغة السائدة بين غالبية السكان هى الاردية ، وتشيع معها الانكليزية ، وهناك لغات محلية ، منها السندية ، والبلوشية ، والفارسية ، والبشتية وهى الافغانية ، ويجيد العربية بعض المثقفين والدعاة والجاليات العربية ، ولكل من هذه اللغات جرائد او مجلات تطبع بها ، واذا استثنينا الانكليزية ، فان بقية اللغات تكتب بحروف عربية ٠

واللباس الغالب هو الزى الوطنى ، ويستعمل اللباس الاوربى طبقات من الرجال والنساء ٠

والزى الوطنى يختلف بين جهة واخرى حسب المناطق التى زرتها ، ففى المدن يلبس الرجال صدرة متدلية ضيقة ذات اكمام تنتهى الى الرسغين ، يتصل بها سروال طويل الى القدمين ، بينما يرتدى النساء ملاحف مزركشة تستر الجسد الى القدمين ، مع الكشف عن اليد اليمنى الى قرب الكتف ، ويغطى بعض شعر الراس بنفس الملحفة او بمنديل على حدة ٠

وفى البادية ، يرتدى الرجال فوق اللباس الداخلى، اكسية صوفية ، ويرسلون من كمائمهم عزباب متدلية، أو يرفعون فوقها ذؤابات قائمة ، وهذه الذؤاباتاستمرت شعار الحرس الوطنى ، وقد تكون من بقايا عادات المغول : الحكام الاقدمين للهند ٠

وبالبلاد حركة تجديد تمس سائر القطاعات ، غير أنها لا تنسى المحافظة على القديم ، وبالخصوص فى مجالات الصناعات اليدوية ، والفنون الوطنية ٠

ومن هنا فان المصنوعات المحلية تزخر بها المتاجر القومية او تستوقف الزائر بروعتها وتفننها ، ومن بينها الاقمشة المشجرة ، والمنسوجات المطرزة بالحرير او الاسلاك المذهبة ، والشالات الكشميرية ، والعطور المقطرة من الازهار الزكية ، الى الطرف الرخامية والخزفية المزخرفات بالنقش البديع ، الى

الادوات المزينة بالحفر على النحاس أو الخشب ، هذا فضلا عن الاخبية الواسعة ذات الالوان الاخاذة ، والمصنوعات الجلدية ، وهم يزخرفون من هذه جلد الجمل فما دونه ·

وللفنانين براعة فى الرسم والتصوير والتلوين بالوان متناسبة باهرة ، ويستخدمون التلوين فى الانارة عند المناسبات ، فتبدو الواجهات مكسوة بزجاجات كهربائية ملونة يتصل بعضها بالبعض كانها قطعة واحدة·

وهم يحتذون فى المعماريات الهندسة والزخرفة المغولية : فى مبان تعلوها قباب شبه مكورة ومتفاوتة الاحجام ، ويرتفع على المساجد مآذن شامخة مخروطة الشكل ، تزينها الواح ــ من الرخام وغيره ــ مزخرفة بالوان لامعة ·

ومن ملامح الفنون الشعبية فى المطاعم الكبرى ، تزيين قاعاتها بمصابيح الغاز القديمة الفاخرة ، واستخدامها للاضاءة فى انارة كهربائية باهتة ·

كذلك يوجد ببعض المطاعم المنوه بها ، جوق للموسيقى الوطنية القديمة ، حيث يجلس أفراده الثلاثة ــ ازاء مخرج المصعد ــ متربعين على فراش فى قليل من الارتفاع عن الارض ، فينشدون الاغانى بالاردية ، ويعزفون على آلاتهم التى تتالف من قيثارة وناى وطبل شبيه « بالطبلة » التى كانت تستعملها بعض الاجواق المغربية القديمة ·

وعلى المستوى السياسى ، يوجد بباكستان احزاب وطنية ، منها « حزب الرابطة الاسلامية » ، و « حزب رابطة عوامى القومية » ، وهذا قد اوقف نشاطه وشيكا ، ثم « حزب مجلس مسلمى الباكستان » ، والرابع « حزب الشعب » الذى يتزعمه ذو الفقار على بوهتو رئيس الوزراء ، وهو الحزب الحاكم الآن ، تحت سيادة رئيس الجمهورية : فضل الهى شودرى ،

والجرائد هناك كثيرة : دورية ويومية ، واليومية تصدر منها بالانكليزية اربعة ، وبالاردية ستة ، وبالسندية ثلاثة ، وبالفجراتية اثنتان (5) ·

هذا سوى المجلات ، ومنها واحدة نسوية باسم « اخبار خواتين » ، وثلاث بالعربية تحمل اسماء : « العرب » ، و « باكستان » ، و « اليقين » ·

وبالبلاد مطابع باللغات الآنفة الذكر ، وسواها من البشتية ، والبنغالية والكشميرية ، والفارسية ، والتركية ·

وباستثناء العربية والانكليزية ، فان سائر المطابع الباكستانية تسير على قاعدة الطباعة الحجرية ، فتصدر منشوراتها مكتوبة بالحروف اليدوية ·

* *

على أن المعجزة الباكستانية الكبرى ، تبرز فى تمسك شعبها بالاسلام ، وستواجهنا ــ فى هذا الصدد ــ ظاهرة تثير الانتباه ، فالدولة الباكستانية لم تقم على مراعاة الجنس او اللغة أو ما الى ذلك ، وانما نشات على اساس الارتباط الاسلامى ، ونشير ــ بهذه المناسبة ــ الى تصريح خالد للقائد الاعظم محمد على جناح : « باكستان تجسيد حى لوحدة الامة الاسلامية ، لذلك فمن المحتم أن تبقى ، وعلينا نحن كمسلمين ، ان نحرص على هذه الوحدة ونحميها » ·

* *

ويدرك الباكستانيون ــ جيدا ــ وزن الاسلام فى تكوين دولتهم ، فيحرصون على التمسك بالدين ، ويكنون الحب العميق للمومنين ، ويبالغون فى الترحيب بزياراتهم ، ولهم اهتمام زائد بجمع كلمة المسلمين واستصلاح احوالهم ، وبهذه العاطفة استضافوا ــ فى ارضهم ــ عدة مؤتمرات اسلامية نشير الى احد عشر منها :

واولها : « مؤتمر العلماء المسلمين » الذى دعا له بعض علماء باكستان ،وانعقد فى كراتشى حيث كانت عاصمة الدولة ، بتاريخ الثامن عشر من جمادى الاولى عام 1371 هـ ، الموافق منتصف فبراير سنة 1952 م

وفى قريب من هذا التاريخ ، انعقد بنفس العاصمة وفى السنة نفسها : « مؤتمر الشعوب الاسلامية » ، بدعوة من السيد شودرى خليق الزمان ، وبدا اشغاله فى الخامس عشر من شعبان ، عام 1371 هـ ، الموافق مايو 1952 م ، برئاسة شيخ الاسلام فى باكستان السيد شبير احمد عثمانى ، وبالاضافة الى قرارين عن قضية فلسطين ، أصدر المؤتمر قرارات اخرى تمس الحياة الاسلامية ، وتثير وضع الشعوب المسلمة التى كانت اغلبيتها لا تزال ترزح تحت الاستعمار ، واهم هذه التوصيات خمسة :

ــ أولا : تمكين العقيدة الاسلامية فى نفوس المسلمين كافة ، وتثبيتها بالاخلاق الفاضلة ، واقامة مرافق حياتهم على هدى قواعد الاسلام ·

— ثانيا : تحرير الشعوب الاسلامية — سياسيا واقتصاديا — من السيطرة الاجنبية ، وتجمع قواهـا وسائر مواردها لخير شعوبها ودولها ·

— ثالثا : رفع المستوى الادبى والمادى للافراد فى البلاد الاسلاميـة ، وكفالة حقـوقهم الاجتماعيـة والسياسية ، والعمل على اقامة وتوطيـد العدالـة الاقتصادية بين الشعوب طبقا لمبادىء الاسلام ، ونشر الثقافة الصحيحة بينهم ·

— رابعا : التوسع فى تعلم اللغات المختلفة للبلاد الاسلامية لتيسير سبل التفاهم بينها ، والحث على تدريس لغة القرآن لشعوبها ، لانها لغة دينهم ، ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها ·

— خامسا : تقوية الروابط الاقتصادية والاجتماعية والادبية بين البلاد الاسلامية (6) ·

وبعد مؤتمر الشعوب الاسلامية ، عرفت سنة 1954 م ثلاثة مؤتمرات تنعقد بالجهة ذاتها : اثنان فى كراتشى ، والثالث : مؤتمر الدراسات العربية والاسلامية فى مدينة بيشاور ·

وفى السنة التالية : 1955 م : انعقد فى كراتشى المؤتمر الدولى الاول للشبيبة الاسلامية ·

وسيأتى بعد هذه المؤتمرات : الندوة العالميـة للدراسات الاسلامية ، وقد انعقدت فى مدينة لاهور من 29 ديسمبر 1957 الى 8 يناير 1958 م ، وساهم فيها — بعد العلماء المسلمين — عدد من المسيحيين واليهود المختصين ·

وفى رمضان 1387 هـ / دجنبر 1967 م ، اقامت باكستان مؤتمر احياء ذكرى نزول القرآن الكريم ·

وفى ديسمبر من عام 1970 م ، انعقد فى كراتشى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ·

وبعد عاصمة الرباط ، يجتمع مؤتمو القمة للدول الاسلامية بمدينة لاهور ، فى فبراير سنة 1974 م ·

ثم كان المؤتمر الحادى عشر هو الندوة العالمية للسيرة النبوية ، المنعقدة — وشيكا — فى باكستان ، بحيث سيخصصه هذا العرض بموضوع على حدة فى العدد التالى بمشيئة الله سبحانه ·

ومن الجدير بالملاحظة أن عددا من هذه المؤتمرات كان الاول من نوعه على رقعة العالم الاسلامى ·

* *

وننتقل — الآن — الى عرض بعض النظريـات الباكستانية ، فى اتجاه التركيز الاسلامى على مستوى الدولـة ·

ففى 7 مارس 1949 م ، قدم المغفور له لياقت على خان ، اقتراحه التاريخى : بأن يكون الكتاب والسنة أساس الدستور الباكستانى ، وقد وافقت عليه الجمعية التأسيسية بالاجماع ·

وفى عام 1954 م ، اقترح اغاخان على المؤتمر الاسلامى المنعقد فى كراتشى ، أن تكون لغة باكستان الرسمية هى العربية ·

وبعد هذا — عام 1971 م — يأتى تصريح السيد ابو الاعلى المودودى أمير الجماعة الاسلامية : « وقد كان من رأى الجماعة منذ زمن طويل ، ان دستـور البلاد يجب أن يرسى — بدقة — على أسس اسلامية »·

وفى مناسبة تالية توضح الجماعة الاسلامية هذه الاسس وتفصلها فى سبع نقط كالتالى :

اولا : تلتزم الدولة الباكستانية باتباع كتاب الله وسنة رسوله ، وتهتدى بهدى الخلافة الراشدة ، وتطبق فيها مبادىء الاسلام وأحكامه بصورتها المستكملة·

ثانيا : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلى كلمة الله فى العالم ·

ثالثا : تقضى على كل مظهر من مظاهـر الظلم والاستغلال والانحلال الخلقى ، وتبنى المجتمع — من جديد — على اساس القيم الاسلامية ، وتقيم العدل فى كل ناحية من نواحى الحياة ·

رابعا : تكون دولة تخدم خلق الله ، وتضمن لكل مواطن حاجاته الضرورية من الغذاء واللباس والسكن والتعليم والعلاج ، وتفتح فى وجه الجميع أبواب الكسب الحلال ، وتوصد عليهم ابواب الكسب الحرام ، وتكثر من ثروة البلاد بكل طريقة مشروعة ، وتسهر علـى توزيعها بالعدل ·

خامسا : تدرك حاجات المواطنين ومطالبهم قبل أن يصرخوا ، وتهرع الى نجدتهم قبل ان يستنجدوا ·

جامع باد شاهي

« منارة باكستان » نصب تذكاري اقيم في
لاهور تخليدا لقرار تاسيس دولة باكستان

سادسا : تبتغى مصلحة المواطنين وهم يبتغون مصلحتها ، وتكون حقوق الناس الاساسية فيها مصونة مؤمنة بكل وجه ·

سابعا : تكون دولة ديمقراطية بمعنى الكلمة (7)·

وهذا وجه آخر لتعلق باكستان بالاسلام ، ويبدو — على المستوى الشعبى — فى انتشار المؤسسات التى تتبنى تعليم الدين والعربية ، وتعتمد فى ايرادها على نفقات او تبرعات المحسنين ·

وبالاضافة الى المدارس الصغرى ، تقوم معاهد كبرى تحمل اسم الجامعات ، وهذه يتلقن فيها الصغار القرآن الكريم ومبادىء الاسلام ، بينما يتلقى الطلبة الكبار مواد عالية على الطريقة القديمة :

تفسير القرآن الكريم ·

والحديث الشريف : دراسة للكتب الستة .

والفقه الذى يغلب عليه المذهب الحنفى ·

مع ملحقات هذه المواد ·

والعلوم اللسانية والادبية ·

والمنطق والفلسفة ·

والطلبة الداخليون بهذه الجامعات ، تصرف لهم حاجياتهم مجانا ، وفيها الغذاء والسكن والكتب المنهجية، وعند نهاية الدراسة يمنح الفائز شهادة التحصيل ·

ومن هذه المؤسسات بمدينة لاهـور : اولا — « الجامعة الحنفية القاسمية » ، شيخها : مولانا محمد عبد الحليم القاسمى ، وكلمة مولانا هناك لقب يمنح للعالم ·

ويرجع تأسيس هذا المعهد الى عام 1361 هـ · الموافق 1943 م ، حيث كان يحمل اسم المدرسة العربية ، ثم تطورت الى جامعة ·

وتشتغل ادارتها — حاليا — فى تشييد مبنى جديد لها ، يشتمل — الى جانب المسجد الفسيح — على قاعات للمحاضرات ، وغرف لسكنى الطلبة ، وحجرات المطالعة ، ومكتبة ، ومرافق ·

الثانية : « الجامعة النظامية الرضوية » شيخها مولانا محمد عبد القيوم القادرى الرضوى ·

تأسست منذ خمس عشرة سنة ، وبنايتها الحالية جديدة ، قريبة من تصميم الجامعة الحنفية القاسمية ، وقد سنحت الفرصة فزرتها مع عضو المؤتمر الاستاذ المجاهد السيد ابى بكر القادرى ، وكان ذلك ليلة الاثنين السادس من ربيع النبوى ، الموافق ثامن مارس الاخير ، فاستقبلنا شيخها بكثير من الترحاب واللطف ، وطاف بنا على اقسام الجامعة : بمسجدها ، ومكتبتها ، وغرف الطلبة ، ويبلغ تعدادهم مائة وعشرين داخليا ، من مجموع طلبة المؤسسة الذين يصل عددهم الى مائتين وسبعين ، يزاول تعليمهم ستة عشر استاذا ، تتراوح مرتباتهم من مائتين وخمسين الى ستمائة روبية ، وهى عملة محلية تعادل — على وجه التقريب — نصف درهم مغربى ·

وقد لمسنا — نحن الاثنين — فى شيخ الجامعة علما وفضلا وتواضعا ، واطلعنا على انظمة المؤسسة، ومن بينها نموذجان للشهادات التى تمنح للمتخرج ، احدهما شهادة اجازة الفراغ من الدراسة ، والثانى : شهادة حفظ القرآن الكريم واتقان تجويده ، والنموذجان — معا — مكتوبان على صفحة مستطيلة بخط شرقى رقعى بارع ، يحيط به اطار مزخرف ملون ·

والآن : ننتقل من لاهور الى مدينة كراتشى ، لنلتقى مع اربعة معاهد لتعليم الدين والعربية :

دار العلوم ، شيخها : مولانا محمد مفتى شفيع ·

والمدرسة العربية ، شيخها : مولانا محمد يوسف البنورى ، وبالاضافة الى المتعلمين بها من الباكستانيين تضم طلبة وافدين من 23 دولة اسلامية ·

ثم المعهد العربى ، مديره مقرىء اذاعة باكستان : الشيخ محمد على شرف الدين اليمانى ، ويخصص — يوميا — ساعتين لتعليم اللغة العربية واللهجات العربية مجانا ·

الرابع : المدرسة الاسلامية التابعة لجماعة غرباء اهل الحديث ، شيخنا رئيس الجماعة : مولانا عبد الغفار السلفى لقبا ومشربا ·

وقد اعلن شيخنا هذا بيانا (8) عرض فيه تصميم البناية الجديدة المزمع تشييدها برسم المدرسة الاسلامية ، بحيث سيشتمل البناء على مجموعة من المرافق كالتالى :

جامع متسع — دار القرآن — دار الحديث — دار الفقه — دار التفسير — دار التجويد — دار العروبة — دار الافتاء — دار الترجمة — دار الايتام — دار الضيافة — دار التبليغ — دار الصناعة للطلاب —

دار المعارف ــ دار الاقامة ــ دار المطالعة ــ دار المغذورين ــ دار البريد ــ دار العلاج ــ دار التصنيف·

الى فصول وحصص الدراسات الدينية ، وبيوت المدرسين ، والوعاظ ، والمرشدين ، والخطباء ، الى الملحقات الاخرى ·

* *

والى هنا فقد قدم هذا العرض نماذج من المؤسسات الشعبية ، لنشر الدين وتعليم العربية ·

وعلى المستوى الرسمي ، فان ادارة الاوقاف باقليم البنجاب ، تدير خمسة وعشرين معهدا للعلوم الدينية ، واكاديمية عليا لتخريج علماء الفقه والحديث .

وخصصت ادارة الاوقاف المركزية ، منحا سنوية للانفاق منها على المدارس وفصول تعليم القرآن غير التابعة لوزارة الشؤون الدينية ، على أن تشرف على مناهجها ، وتقدم سير الدراسة فيها ·

وقد انشأت ادارة الاوقاف امانة خاصة للقرآن الكريم ، لها مكاتب تابعة لها ، فى اقاليم السند وبلوشستان والحدود الشمالية الغربية ، للعمل على نشر فصول تحفيظ القرآن ، وتدريس تفسيره وتعاليمه·

كما اقيمت مراكز دينية فى المساجد التابعة للاوقاف ، يشرف على كل منها امام المسجد ، وتقوم تلك المراكز بفتح فصول يومية لتحفيظ القرآن وتفسيره ، وتدريس الاحاديث ، واعداد الخطباء ·

ومن جهة اخرى تقرر أن تكون دراسة الدين اجبارية فى جميع مراحل التعليم وقد اعدت برامج تلك الدراسات ، على نحو يكفل تخريج جيل ناشىء متمسك بتعاليم دينه ، وقادر على تطبيقها فى حياته العملية ·

وبالاضافة الى ما تقدم ، افتتحت الحكومة فصولا لتعليم اللغة العربية فى مكاتب وفروع المركز الوطنى الباكستانى ، القائمة فى مدن باكستان الرئيسية ، وتشجع الحكومة المدارس والمعاهد الخاصة على افتتاح مثل تلك الفصول (9) ·

* *

ومن التعليم ننتقل الى الجمعيات الاسلامية بباكستان ، وفى هذا الاطار نعرض نشاط أربع منظمات على مستوى العالم الاسلامى ، لنشير ــ بعدها ــ الى خمس جمعيات اسلامية على الصعيد المحلى ، وبهذا سيبلغ مجموع هذه المؤسسات تسعا يتدرج تقديمها كالتالى :

ــ جماعة التبليغ ·

ــ الجماعة الاسلامية ·

ــ منظمة الاحبة ·

ــ الوكالة الاسلامية للانباء ·

ــ جمعية علماء الاسلام ·

ــ جمعية اتحاد العلماء ·

ــ جمعية اهل الحديث ·

ــ جمعية غرباء اهل الحديث ·

ــ اتحاد الطلبة المسلمين ·

وبالنسبة لجماعة التبليغ : فقد بدأ نشاطها منذ خمسين عاما ، وكان تأسيسها ــ بالهند ــ من جهة مولانا محمد الياس الكاندهلوى ، وبعد وفاته ــ عام 1363 هـ ــ خلفه فى تسيير الجماعة ابنه الشيخ محمد يوسف الياس ، المتوفى عام 1384 هـ (10) · واميرها الحالى : هو الشيخ انعام الحسن ، وثلاثتهم من الهند وطنا وقرارا ·

وخطة الجماعة ترمى الى دعوة المسلمين ــ اين كانوا ــ لتقويم سلوكهم طبقا لهدى السيرة النبوية ، حتى يحتذى المومنون تعاليمها فى حياتهم العملية ·

وهى تنتهج فى دعوتها طريق التوجيه والاقتناع الهادىء ، وترفض ــ بتاتا ــ اسلوب العنف أو العمل السرى ·

والمبادىء الرئيسية للجماعة ستة :

ــ تحقق مدلول الشهادتين ·

ــ صلاة ذات خشوع وخضوع ·

ــ الاشتغال بالعلم والذكر ·

ــ اكرام المسلم ·

ــ الاخلاص فى العمل ·

ــ الدعوة فى سبيل الله ·

ولتطبيق هذا المبدأ الاخير يقوم العضو بسياحة خارج بلدته حسب المراحل التالية :

ــ سفر أربعة اشهر للدعوة مرة فى العمر ·

ــ سفر أربعين يوما لنفس الغاية كل سنة ·

ــ سفر ثلاثة ايام كل شهر ·

هذا فضلا عن جولتين أسبوعيتين داخل بلدة العضو لنشر مواعظ عامة :

— واحدة فى حى مسجده .

— وثانية متنقلة من حى الى آخر .

— مع حلقة التذكير كل يوم بمسجد الحى .

— واخرى فى البيت مع الاسرة .

وهذه المبادىء يطبقها — فعلا — أعضاء الجماعة فى باكستان والهند ، غير أنهم يتفاوتون فى الاخذ بهـا ، ولهذا ينقسمون الى شعبتين :

— الاعضاء الملتزمين لمبادىء الجماعة .

— والاعضاء المؤيدين لاهدافها مع ضعفهم فـى تطبيقها على حياتهم العملية .

وتتوفر باكستان على خمسمائة فرع تضم الاعضاء، مع ثلاثة آلاف فرع للمؤيدين فقط .

وهذه الفروع — بشعبتيها — تجتمع أسبوعيا ، وتتلقى الدروس والمحاضرات والارشادات .

وسوى هذا : فان دعوة الجماعة منتشرة — على نطاق واسع — فى البقاع الاسلامية بالقارات كلها (11).

وامير الجماعة الحالى فى باكستان : هو الشيخ البشير ، ومركزها الرئيسى يقع فى مدينة روايندى على نحو اربعين ميلا من لاهور ، وهو يغطى مساحة كبيرة تشتمل على مسجد رحب ، وبناية فسيحـة لايـواء الزائرين من الجهات البعيدة والقريبة ، فضلا عـن احواض للماء ومرافق اخرى .

وقد سعدت بزيارته ليلة الثلاثاء 7 ربيع النبوى ، الموافق 9 مارس 1976 م ، وتعرفت بمشايخ الدعوة وزمرة من اعضاء الجماعة ، فرايت رجـالا فى وقـار المومنين ، واخلاق المسلمين ، واخلاص الدعاة للحق ، الى ملامح الجدية ، ومخايل قوة العزيمة ، وسمات الواثقين بنجاحهم .

ونفس الظواهر لمستها فى شيخ مركز كراتشى : « مكى مسجد » مع الاعضاء الحافين به ، وقد تكررت زيارتى لهم ، مرة مع عضو المؤتمر الاستاذ الشريف السيد ابى بكر القادرى ، واونة اخرى مع اعضاء المؤتمر من موريطانيا والسودان والاردن ، وكان هذا المركز — ايام يوجد المؤتمرون بكراتشى — ملتقى للكثير من الوافدين : من الامام الاكبر شيخ الازهر ، الى عدد من الوزراء ، ومجموعة من نواب مختلـف الجهـات بالمؤتمـر .

والآن — بعد هذه المنظمة — ننتقل الى « الجماعة الاسلامية » ، وهى التى اسسها — تحت زعامته — المفكر الاسلامى الشهير ، الاستاذ ابو الاعلى المودودى بلاهور ، ويرجع تاريخ تأسيسها الى الثانى من شعبان عام 1360 هـ الموافق 26 غشت سنة 1941 م .

وتعلن الجماعة عن خطتها فى نشرة (12) توضح ان مؤسستها ليست مجرد حزب سياسى ، او جمعية دينية ، او مؤسسة اصلاحية ، وانما هى جماعة عقيدية بمفهومها الشامل ، تومن بالاسلام كدعـوة عالميـة شاملة للحياة الانسانية ، وتريد تنفيذه — فعلا — فى كل شعبة من شعب الحياة الانسانية .

وترى — وهى على صواب — ان السبب الحقيقى لما فى الارض من مظاهر الفساد ، واسباب الدمـار والهلاك ، هو عدول الناس عن طاعة الله ، وتناسيهم مسؤوليتهم أمام الله يوم القيامة ، واعراضهم عـن هدى الرسالة السماوية ، وكلما ظهر الفساد فى الدنيا فى اى شعبة من الحياة ، وفى اى فترة من الدهر ، وبأى مظهر من المظاهر ، فان الانحراف عن هـدى الاسلام ، هو الذى يكمن وراءه ، ويلعب دوره .

ولا يتحقق اصلاح او تغيير فى هذا الوضع ابدا ، الا أن يختار النوع البشرى طاعة الله ، والشعور بالمسؤولية الاخروية ، ويتخذ تعاليم الرسالة السماوية اساس حياته ، وبدون ذلك فكل محاولـة فى تغيير الوضع على اساس النظريات المادية ، تشكل ظلما جديدا ، وامتدادا لفساد قديم .

واعضاء الجماعة الذين تقبلهم كأعضاء فيها ، هم الذين يوافقون على غاياتها واهدافها ، ويؤدون فرائض الاسلام ، ويجتنبون الكبائـر ، ويتعهـدون بالتمسك بأوامر الشريعة فى معاملاتهم فى الحياة ، وهم — الى ذلك — يلتزمون بنظام الجماعة .

والذين لا يلتزمون بكل ذلك ، ولكنهم يوافقون الجماعة فى دعوتها وغايتها ، ويؤيدونها فى انجازها قدر المستطاع ، تعدهم من المؤيدين .

وتلقب الجماعة رئيسها بلقب « الامير » وهو ينتخب من طرف الاعضاء بالاقتراع السرى المباشر ، وهو الذى يقرر سياسة الجماعة ومنهجها للعمـل

وسائر الشؤون المهمة ، بمشورة من مجلس الشورى المتكون من خمسين عضوا من اعضاء الجماعة ، الذين ينتخبون — كذلك — من قبل الاعضاء بطريق مباشر وباقتراع سرى .

ومن مناهج الجماعة ، انها لا يقوم جهادها لاجل الوصول الى غاياتها على النشاط السرى ، على غرار الحركات السرية فى العالم ، وانما تعمل — كل ما تعمل — علنا وفى وضح النهار .

وعلاوة على ما تبذل الجماعة من جهودها فى الاصلاح الدينى والخلقى والسياسى ، تكرس نشاطها فى مجال التعليم والتربية والخدمات الاجتماعية ، وتسير — الآن — تحت رعايتها وادارتها ، طائفة من المعاهد الدينية والمشاق والمستوصفات ودور الاقامة ، هذا فضلا عن دعوة الجماعة ، وقد انتشرت فى كل ناحية توجد بها المجموعات الاسلامية ، ونقلت كتبها من الاردية الى العديد من اللغات السائدة فى العالم .

وبالاضافة الى مراكز الجماعة فى باكستان ، نشير الى « دار العروبة » ، وهى فرع — على حدة — لنفس المؤسسة ، مهمتها نشر الدعوة بين المتكلمين بالعربية ، ومركزها — الآن — فى مدينة لاهور ، ومديرها هو الاستاذ خليل احمد الحالدى .

وقد كانت فرصة طيبة سنحت ضحى يوم السبت 4 ربيع النبوى ، الموافق 6 مارس 1976 م ، حيث سعدت — صحبة الاستاذ أبى بكر القادرى — بزيارة امير الجماعة فى منزله بمدينة لاهور ، ورغما عما يعانيه الاستاذ المودودى من المرض ، استقبلنا — نحن الاثنين — بكثير من الترحاب ، وساد اللقاء الحديث عن موضوع التزام المسلمين لهدى دينهم ، فكانت ساعة من ساعات العمر الذهبية ، ومناسبة قل ان يجود الزمان بمثلها ، مد الله — سبحانه — فى حياة الرائد الاستاذ المودودى ، وجعل النجاح حليفه فى مشاريعه الاسلامية الكبرى ، وما نجاحه الا نجاح للاسلام والمسلمين فى اى جهة من جهات المعمورة .

والى جانب « دار العروبة » و « الجماعة الاسلامية » ، تحتضن مدينة لاهور جمعية اسلامية ثالثة تحمل اسم « الاحبة » ، من تاسيس السياسى الباكستانى ، المحامى : السيد شو هدرى نذير احمد خان ، وهى منظمة خاصة تأسست فى سنة 1962 م ، لتعمل من اجل تحقيق الوحدة بين الدول الاسلامية ، وتركز خطتها على المناداة بأربعة مشاريع رئيسية :

— منظمة اسلامية عالمية .
— سوق مشتركة للدول الاسلامية .
— مصرف أسلامى .
— وكالة الانباء الاسلامية .

وللجمعية جريدة ناطقة باسمها تصدر — بالعربية والانكليزية — كل اربعة شهور ، ابتداء من شهر يوليو 1969 م ، واخيرا أصدرت كتاب « كومنولث الدول الاسلامية » ، او « دعوة الى وحدة العالم الاسلامى » من تأليف رئيس الجمعية .

والكتاب منشور بمبادرة المكتبة العلمية فى لاهور : 236 ص من الحجم المتوسط ، ويشتمل — بعد المدخل — على اربعة عشر فصلا ، نشير — من بينها — الى الفصول التالية :

— الفصل الخامس : الطاقة الكامنة فى اتباعنا .

— الفصل السادس : المبادىء التى بنى عليها منهاجنا .

— الفصل السابع : برنامج المجتمع الاسلامى الواسع .

— الفصل الثامن : مؤتمر القمة الاسلامى فى الرباط .

— الفصل التاسع : مؤتمر جدة لوزراء خارجية الدول الاسلامية .

— الفصل العاشر : مؤتمر كراتشى لوزراء خارجية الدول الاسلامية .

الفصل الثالث عشر : دستور جامعة الدول الاسلامية .

* *

نلتقى — بعد هذا — « بالوكالة الاسلامية للانباء » ، وقد تأسست سنة 1971 م ، على ان يكون مقرها فى مدينة كراتشى ، ويتكون اعضاؤها من نخبة من الخبراء فى مجالات مختلفة ، ومحررها هو السيد امتياز حسين ، وشعارها هو الوحدة عن طريق الكلمة المكتوبة ، اما اهدافها فالوكالة تعلن عنها كالتالى :

— تعمل لنشر المعلومات الصحيحة الحرة بين البلدان الاسلامية .

— تزود الصحف والمجلات ووسائل الاعلام الاخرى بالبحوث عن نواحى الحياة المختلفة دون مساس

المسائل السياسية والخلافية .

ــ تهتم اهتماما بالغا بالشؤون الاقتصادية والثقافية ، حتى تستفيد الدول الاسلامية بعضها من بعض ، بتبادل أفكارها وتجاربها .

ــ سيكون للوكالة مندوبون فى معظم عواصم العالم الاسلامى ، وتستمر الوكالة فى توسيع دائرة عمالها ونشاطها .

ــ ستطبع الوكالة نشرات ودراسات بلغات مختلفة للدول الاسلامية ، تدعيما للتفاهم بين المسلمين على نطاق أوسع .

ــ تنشر الوكالة مقالات عن الصناعات الهامة والمشروعات الضخمة فى البلاد الاسلامية ، بقصد تعريف المسلمين بالانجازات الصناعية والاقتصادية ، وفى مجالات متعددة فى العالم الاسلامى .

لم يبق الا أن نختم هذه الجولة بسرد سريع للجمعيات العلمية بباكستان ، ومنها :

ــ جمعية علماء الاسلام .

ــ جمعية اتحاد العلماء .

ــ جمعية أهل الحديث .

ــ جمعية غرباء أهل الحديث .

ــ اتحاد الطلبة المسلمين .

محمد المنونى ــ الرباط

---

(1) اسمه الاصيل : بلوخستان بالخاء بدل الشين .

(2) هذا التقرير ورد فى مجلة « باكستان المصورة » : النشرة العربية ، ع 12 ص 57 .

(3) نفس المجلة ، ع 13 ص 10 .

(4) المصدر ، 32 ص 29 .

(5) نفس العدد ، ص 112 .

(6) نشرت هذه التوصيات ــ فى ابانها ــ مجلة « المسلمون » التى كان يصدرها الاستاذ سعيد رمضان : السنة الاولى ، العدد السابع ، ص 103 .

(7) نشرة الجماعة بعنوان « الجماعة الاسلامية فى سطور » ، ص 4 .

(8) نشر هذا البيان فى مجلة « العرب » الباكستانية : السنة 39 ، العددان : 11 ــ 12 مزدوج .

(9) هذه البيانات عن التعليم الدينى الرسمى ، وردت فى مجلة « باكستان » ، ع 12 ص 35 ــ 36 .

(10) هو مؤلف الكتاب العظيم الذى جعل عنوانه : « حياة الصحابة » ، ونشر ــ للمرة الاولى ــ بالهند فى ثلاثة مجلدات ضخمة ، ثم اعيد طبعه فى دار القلم بدمشق ، وصدر فى اربعة مجلدات كبيرة ، وقدم لهذه الطبعة الداعية الاسلامى المعروف ، الاستاذ ابو الحسن على الحسنى الندوى ، حيث أتى فى تقديم الكتاب بلمحة فى التعريف بالمؤلف ، ووالده الشيخ محمد الياس المؤسس الاول لجماعة التبليغ ، ويهمنا أن نقتبس من هذا التصدير ما يلى :

« وكان من أول من انتبه ــ على ما نعرف ــ فى هذا العصر الى فضل اخبار الصحابة واحوالهم فى الدعوة الاسلامية والتربية الدينية ، والى قيمة هذه الثروة ــ المطمورة فى الاوراق ــ الاصلاحية والتربوية، وتأثيرها فى القلوب ، وكان من أول من اقبل عليها وعني بها وانصف لها ، المصلح الكبير ، والداعية المشهور ، الشيخ محمد الياس الكاندهلوى رحمه الله ، فقد عكف عليها مطالعة ومدارسة وحكاية وتذكيرا ، رأيت له شغفا عظيما بالسيرة النبوية واخبار الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ يتذاكرها مع تلاميذه واصحابه ، وتقرا عليه كل ليلة فيسمعها فى رغبة ونهامة واجلال ، ويحب احياءها ونشرها ومذاكراتها ، وكان ابن أخيه المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى صاحب « أوجز المسالك الى موطأ الامام مالك » ــ الف كتابا متوسطا فى « اردو » ــ فى اخبار الصحابة رضى الله عنهم سماه

اللغة العربية مرآة أمة إسلامية

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

1 ـ النظرية اللغوية عموما :

ـ النظرية العامة للبنية اللغوية :

لا شك ان الذين سيقراون هذه الدراسة من
بابنا المسلم فى العالم العربى ، سواء فى مغربه او
شرقه ، وعلى الاخص المهتمين منهم بالعلوم اللسانية
حديثة ، سيلاحظون علينا اننا لم نتقيد بما كانوا
لون ان نتقيد به ، انهم كانوا ، ولا ريب ، ينتظرون
ا ، ونحن ندرس اللغة العربية دراسة حديثة ،
نلتزم التزاما لا نحيد عنه قيد انملة بالنظرية العامة
نية اللغوية ، تلك النظرية التى تبوات فى يومنا

هذا مكانة الصدارة فى كل بحث يريد ان يكون محترما ، يستحق ان يلقى فى مدرجات الكليات ، تلك النظرية التى جعلت من مهامها الاساسية التنقيب عن الشروط التى يجب ان تتوفر فى اى نحو لاية لغة كانت .

2 ـ غاية هذه النظرية :

ان غاية النظرية اللغوية العامة ، فى دائرة النمو التوليدى(1) هى ان تمنح للانحاء(2) الخاصة للغات الوسائل الناجعة للقيام بمهامها . ومعلوم ان كل نحو لاية لغة

---

(1) ان اللفظة التي يستعملها اللسانيون التوليديون والتحويليون linguistiques générotiviste et transformationiste هي اللفظة الفرنسية « générer » وهي لفظة اخذت من مصطلحات الرياضيات . وهؤلاء اللغويون المحدثون لا يقصدون بها « انتاج » الجمل بقدر ما يعنون بها التنبؤ بالاشكال التي تتقمصها الجمل المصاغة ، ومن ثم فانهم يستطيعون ان يرفضوها على اساس انها لاحنة . (افضل لفظة « لاحنة » ، واستعملها باطمئنان عوض المصطلح « لاقاعدية » التي يستعملها بعض اخواننا مقلدين في ذلك الغرب واميركا بينما هذه اللفظة التي اخترها لفظة موجودة ، مستعملة في تراثنا القديم بالمعنى الذي يريدون ان يعبروا به عنه « لاقاعدية » (انظر تاريخ الطبري صفحة 418 الجزء السادس **وعنوان المعارف وذكر الخلائق** للصاحب بن عباد ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، صفحة 45 . طبعة بغداد سنة 1963 ، وفي **البيان والتبيين** للجاحظ ، الجزء الثاني ، صفحة 216 **وفي العقد الفريد** الجزء الثاني ، صفحة 479) ، وعلى اللغوي المتبني لهذا التيار ان يعطي وصفا بنيويا لكل الجمل الصحيحة .
اما اول من استعمل هذه اللفظة في الدراسات اللغوية عند الغرب ، فليس هو كما يعتقد بعض الناس Noam Chomsky وانما هو Wilhelm von Humboldt الذي استعمل الفعل الالماني erzengen في هذا المجال الذي نتحدث فيه وبالمعنى الذي اراده علماء النحو التوليدي . ولقد استطاع هذا العالم الالماني (ازداد سنة 1835) الذي كان يرى ان « اللغة عضو يصوغ الفكر » ان يحل المشكل الذي احدثته نظريته التي بها تصبح المعاني لا حصر لها ولا عد ولا حدود ولا نهاية ، (وهي نظرية عرفها العرب قديما اي منذ ان قال ابن فارس في كتابه الصاحبي « ان المعاني غير متناهية والالفاظ متناهية » وتبعه في الحقيقة خلق كثير) وان يجد حلا مرضيا لهذا المشكل القائم بين الصوت والمعنى حين صرح : « ان الكلام في الحقيقة شيء يمر على الدوام ، بل وفي كل لحظة . فالكلام ليس في ذاته ما يحدثه الحدث (اثر الفعل) بل حدث النشاط (الفعل نفسه) الا ان علماء العرب قد سبقوا حتى Humboldt نفسه لهذا المصطلح ، ويكفي ان نعود الى تلك المناقشات اللغوية التي كانت تدور حول ماهية الكلام ، هذه الماهية حددها الجرجاني هكذا « هو ان يحصل الفعل عن فاعله بتوسط فعل آخر كحركة المفتاح بحركة اليد » .

(2) افضل ان اجمع لفظة نحو على « انحاء » ، وهو جمع موجود في لغتنا على ان اجمعها على نحوه بضمتين متتابعتين فتضعيف للواو

كانت ، انما بنى أساسا على افتراض ضمنى او صريح لنظرية عامة (3) . وهذا الافتراض الذى تفترضـه النظرية العامة للنحو التوليدى التحويلى هو أن هناك سمات مشتركة بين جميع اللغات الانسانية تسمـى « عالميات الحديث » (4) . يشكل وجود هذه (العالميات) ضوابط تتحكم فى صورية القواعد . ومن هنا جاز ان نقول انه لا يستطيع اى نحو ان يتنكر للوقائع اللغوية التى تكونها هذه « العالميات » والا صار باطلا ، عديم الجـدوى .

فاذا كانت ، مثلا ، فكرة « التقطيع » (5) المضعف « عالميا » ، وكذلك تعتبرها النظرية اللغوية العامة ما دام التقطيع سمة تميز فعلا كل اللغات الانسانية ، فلا يمكن لاى نحو خاص ، كيف ما كان ، أن يشيد دون مراعاة هذا « العالم » وبما ان هذا التقطيـع الحديثى (6) يظهر اثره على مستويين مختلفين اثنين ، فسيكون لزاما على اى نحو يريد أن يتصدى للكشف عن لغة ما ان يأتى بوصف لوحدات التقطيـع الاول وبوصف آخر لوحدات التقطيع الثانى لهذه الموصوفة .

= اذ من شان هذه الصيغة الاخيرة ان تختلط ـ سيما ونحن لا نستعمل بعد الحركات في كتابتنا ـ بصيغة الافراد ، وهو ما لا نريده بحال من الاحوال .

وما اعتقد ان احدا على اطلاع بالنشاط اللغوي قديمه وحديثه يستغرب من هذا الجمع ، كما لا اعتقد ايضا انه يوجد من بيننا او من غيرنا من يرى انه لم يقع التفكير في جمع لفظة «نحو» الا بعد ان ظهرت النظرية العامة للبنية اللغوية على شكلها الحديث ، فما كان نحو البصرة الا محاولة لفهم اللغة العربية ، وما تنوع النحو وتشعب داخل هذا التيار نفسه الا للوصول لنفس هذا الغرض ، «فنحو الاخفش الاوسط مثلا ، وان نسب الى التيار البصري نحو آخر مغاير ، على كل حال لنحو سيبويه ، وما نحو قطرب ، وان نسب الى مدرسة البصرة الا نحو آخر له نظرياته الخاصة تختلف عما الفته هذه المدرسة من نظريات ، وما قلناه عن مدرسة البصرة نقوله عن مدرسة الكوفة وغيرها من المدارس وزيادة .

(3) اعتمدت في تقديمي لهذه النظرية على كثير من المراجع ، وعلى الخصوص القاموس اللغوي لاصحابه Jean Dubois ، Mathée Giacomo وشركائهما .

(4) اترجم المصطلح Universsaux du langage بـ «عالميات الحديث» بفتح اللام . يطلق علماء اللغة المعاصرون «عالميات الحديث» على «الشبه» (اعتبر هذه اللفظة الاخيرة اسم جمع لا مفردا) الذي يوجد بين لغات العالم .

ويحسن ان نشير الى ان هناك نوعين من العالميات :

اولا العالميات التي تخضع لتلك العلاقة بين اللغة والفكر الانساني ، وهذا النوع يدخل ميدان اهتمام علم النفس اللغوي la psycholinguistique اكثر من غيره ويمكن ان يدخل موضوعنا هذا في عداد ذلك ، لان بحثنا جزء منـه .

ثانيا العالميات التي مبعثها تلك العلاقة الموجودة بين اللغة والثقافة ، ومن الطبيعي ان يدخل هذا النوع ميدان اهتمام علم الاجناس اللغوي l'ethnolinguistique

لقد وقع الاهتمام بشكل مبالغ فيه بعالميات الحديث ، في بداية الستينيات ، وذلك تحت ضغط نوعين من الدراسات اللغوية وجه اللسانيون اليهما عناية خاصـة :

اولهما البحوث المتعلقة بالترجمة الآلية ، وهذه تحتاج لتقوم بمهامها على احسن وجه واتمه الى لغة فوقية Métalangue

ثانيهما البحوث المتعلقة بنظرية الانحاء التوليدية ، وهذه تحتاج الى نظرية نحوية ، نحن بصدد عرضها الآن .

وجدير ان ننص هنا على انه يتحتم على كل من اللغة الفوقية التي تحتاج اليها آلات الترجمة وعلى النظرية النحوية التي تحتاج اليها الانحاء التوليدية للغات ان تجدا مشتركتين متحدتين جسرا يربط بين اللغات ، وعلى هذا فانه من المفيد جدا ان يعرف الباحث في الحالتين معا ، في اي ميدان ومع اية احداث يمكن العثور معها وبها على هذه العالميـات :

وكما ان احسن مثال يمكن ان يقدم كمجسم واقعي لوجود هذه العالميات هو قضية التقطيع فقد تحدثت عنه اعلاه باسهاب ، معتقدا انه يمثل القاسم المشترك بين العديد من اللغات

(5) فضلت ان اترجم Articulation بالمصطلح «التقطيع» عوض «التفاصل» او «المفاصلة» ، كما فعل بعض اصدقائنا ، لانني اعتقد ان المصطلحين الاخيرين اشد التصاقا بالميدان الطبي ، وفيه مستعملة هذه اللفظة الاجنبية :

ولقد كنت ، في البدء ، اميل الى المصطلح «التلفظ» اطلقه مقابلا لهذه اللفظة الفرنجية واجعله من المشترك ، لولا ان رايت المجمع اللغوي بالقاهرة يقرر في جلسته السابعة والعشرين المنعقدة من 1 الى 8 من شهر اكتوبر 1962 تخصيص لفظة «التلفظ» للمصطلح « a Prononciation لكنني ، لحد الآن ، لم ار له ترجمة للفظة Articulation (انظر مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء السادس عشر صفحة 212 وسط العمود الاول ، سنة 1963 :

(6) اقصد بقولي «التقطيع الحديثي» (Articulation du langage) ولقد فضلت ترجمة المصطلح langage بـ «الحديث» لاسباب يهمنا الآن ذكر اثنين منها :

اولا ان لفظة langage ، وان كانت مشتقة من langue فهي اعم منها واشمل ، واذ انها تحتوي على ما تعنيه langue =

التقطيع الاول للحديث :

اننا نستطيع ان نحلل كل ما نطق به ناطق الى وحداته المكونة له سيما ان كان مركبا من الفاظ لغوية: ولا علينا ان كان المقطع المحلل يحسن السكوت عليه ، كما كان يقال قديما أم لا يحسن السكوت عليه ·

فاذا ما شعرت مثلا بعياء ، واردت أن أعبر عنه ليفهمه من هم حولى ، امكننى ان اسلك احد امرين :

— اما ان اتفوه بصوت انفعالى معبر عن احساسى يتصور كل من سمعه حالتى الحاضرة ، ويدرك تضجرى منها وتلقى عليها · وهذا الصوت المعبر هو فى الحقيقة صوت لا شعورى ، ومن هنا فليس له علاقة مباشرة بعلم اللغة ، وانما له ، بالدرجة الاولى ، ارتباط بالفيزيولوجية ، وبالتالى لا يمكن عده بلاغا لغويا بحال من الاحوال · لانه ، زيادة على ما سبق ذكره ، لا يحلل الى اجزاء كما انه لا يعبر الا عن احساس لالم غير محلل فى مجموعه ، لانه لا يحدد لا نوع الالم ولا مكانه ولا اسبابه ، ولا ينص على ما يمكن ان يقوم به صاحبه لمعالجته او التقليل من وطأته ·

— واما ان اعبر عما احس به بالفاظ لغوية ، فاقول مثلا :

« أريد الذهاب الى البيت لاستريح »

ما كانت هذه الوحدات المكونة لهذا المقطع ، وهى هنا ستة : 1 — اريد ، 2 — الذهاب ، 3 — الى 4 — البيت ، 5 — لـ ، 6 — استريح ، لتعبر ابدا ، وهى منعزلة بعضها عن بعض ، عن شىء مما أحس به ، اذ من الممكن العثور على هذه الوحدات ، فرادى ، او جماعات فى نصوص أخرى معبرة عن قضايا لا علاقة لها بما اتاسيه الآن ·

فقد اجد مثلا « اريد » فى : « اريد شرب الشاى » واعثر على « الذهاب » و « البيت » فى : « انوى الذهاب الى البيت الحرام » مثلا · واجد « استريح منك اليه ومنه اليك » · وليس فى هذا المقطع الاخير تلك الراحة التى كنت انشدها فى المقطع السابق ·

يوضح لنا هذا اننا نستطيع أن نستخدم وحدات هذا التقطيع فى مواقف كثيرة ، مستغلينها للتعبير بها ، مكررة ، مرتبطة بعضها ببعض بشكل معين ، فى كل بناء ، عن شتى امورنا ، ومختلف قضايانا ، وفى هذا

= وزيادة : وهذه اللاحقة age التي لحقت مؤخر هذه اللفظة نوعية ليس الا ، تكسب كل مفردة الصقت بها عمومية واسعة وتنزل بها الى ميدان النشاط الفعلي بعد ان كانت ، قبل اللاصقة ، مقتصرة على فكرة ذهنية مجردة :

ثانيا الفوضى الضاربة اطنابها حول ترجمة هذه المفاهيم غير الواضحة في اذهان من يدعون انهم ارباب هذا العلم :

خالف الصواب الغربيين عندما جعلوا اللغة جزءا من langage وجعلوا الكلام الجزء الثاني منه : لكن بعضهم اغفل الزاوية الثالثة المكونة لـه :

وعلى هذا فان الذي يقابل لفظة langage مقابلة سليمة هو المصطلح العربي «الحديث» والحديث قد يكون «لغة» وقد يكون «كلاما» وقد يكون ذلك الشيء الثالث الذي سنذكره في وقت لاحق :

واما بعض الاساتذة ممن يحاولون عندنا التعرض للدرس اللغوي الحديث فقد ترجموا langage بالمصطلح «اللغة» ؛ وتفضلوا بتوضيح ذلك اكثر ، فقالوا : «بالمعنى الاعم اي بمعنى الظاهرة الاجتماعية» كان الجزأين الآخرين لا علاقة لهما ، لا من قريب ولا من بعيد بهذه «الظاهرة الاجتماعية» : وترجموا « langue » بـ « اللغة المعينة» وتفضلوا بشرح ذلك اكثر ، فقالوا : «وهي التي تتخذ موضوعا للدراسة كالعربية» فلحني ولحن اهل مدينة البهاليل ، انطلاقا من مذهبهم هذا ، «لغة» لانها فعلا لغة معينة ، ويمكن ، وقد سبق لها ان كانت موضوع درس ، فهل يعد ، في نظر هؤلاء ، ما يتكلم بـه البهاليل «لغة» بذلك المعنى الدقيق الذي يقصده المتخصصون ؟ ومادام قولهم «كالعربية» بهذا الاطلاق ودون اي قيد ، ومادامت هذه «اللغة» تتخذ موضوعا للدراسة فما المانع من اطلاقها على كل ما يقوم بوظيفة الايصال بين بني البشر ؟ بل ما المانع من اطلاقها على منطق الطير ، والنحل والهدير والخرير والصهيل وما الى ذلك . وترجموا الكلام بـ Parole وقد احسنوا انظر دراسات في علم اللغة للسيد كمال بشر ، القسم الاول ، بداية صفحة 17 ، دار المعارف بمصر 1969 وكتاب «مناهج البحث في اللغة» للسيد تمام حسان ، منتصف صفحة 31 ، من الطبعة المصورة بدار الثقافة بالدار البيضاء · وهذا الغموض الذي عالج به هؤلاء الباحثون هذه المصطلحات الاولية يضر كثيرا بالنشاط اللغوي عندنا :

واما السيد مصطفى مندور فيترجم langage بـ «اللغة المنطقية» وهو امر اكثر غرابة مما سبق ، انظر «اللغة بين العقل والمغامرة» وسط صفحة 159 ، طبعة مصر 1974 ، ويترجمها السيد محمد فهمي حجازي بالقدرة اللغوية عند الانسان : انظر كتابه «علم اللغة العربية» طبعة بيروت ، صفحة 26 ، الحاشية 12 :

والحديث الذي هو ، بدون منازع langage يشتمل على ثلاث مستويات ، اللغة ثم الكلام ، ثم جزء آخر سماه علماء النشاط اللغوي قديما عندنا بـ «الاستعمال» وهو امر سنخصص له مقالا على حدة :

ما فيه من الاقتصاد ، اذ لو كنا مضطرين ان نقابل كل موقف معين ، وكل حدث ما ، وكل معنى بصرخة خاصة ، لا يدل الا على هذا الموقف بالذات ، ولا تعنى الا هذا الحدث نفسه ، ولا ترمى الا الى هذا المعنى المقصود ، ولا تدل على غيره أبد الآبدين ، لكنا فى أمس الحاجة الى عدد لا يخطر بخلد بشر من هذه الصرخات المختلفة الاشكال والالوان لنحقق التفاهم بيننا ، الى درجة ان يصبح استيعابها ثم تذكرها من طرف العقل البشرى امرا صعب المنال ، فى حين نستطيع ببعض الآلاف من هذه الوحدات أن نتواصل فى كل الميادين وعلى مختلف المستويات ، وبين سائر طبقات الشعب.

كل وحدة من هذه الوحدات لها معنى خاص ف (أريد) ، مثلا ، لها معنى يوحى به صوتها الاكوستى — معنى اعتباطى طبعا — وهو غير المعنى الذى يوحى به صوت مفردة (الذهاب) . والمعنى الذى يوحى به لنا صوت هذه ، هو غير المعنى المستفاد من لفظة (البيت) ، ولهذا نسمى هذه الوحدات بـ **« الوحدات الموحية »**

ولا يمكن لهذا المقطع اللغوى « أريد الذهاب الى البيت لاستريح » أن يكون له معنى الا اذا جاءت وحداته هذه متتابعة فى نسق حددته قواعد جامعة . فلا أستطيع ان اقول مثلا « لاستريح الى الذهاب البيت أريد » ونفهم شيئا . ولهذا نسمى هذه الوحدات **بالوحدات الموحية المتتابعة** .

ولا نستطيع ان نحذف من الدال (7) (بيت) (8) حرف الباء مثلا او اى حرف آخر دون أن نلحق خللا بمعناه . ف (بيت) لا يدل على « بيت » (9) الا بهذه الحروف كلها ، كاملة غير منقوصة ، مرتبة فيه على هذا الشكل . فهذا الدال ، اذن له هذا المعنى العرفى وهو على هذه الصورة ، فلو نقصنا صامتا منه أو غيرنا صائتا بالحذف او بالابدال او بالتحويل أو بالتعويض او بالنقل لما بقى له معنى معروف . ولهذا نسمى هذه الوحدات بـ **« الوحدات الموحية المتتابعة الدنيا »** .

4 — التقطيع الثانى :

لكننا ان أخذنا من هذا المقطع اللغوى لفظا ، اى لفظ ، وليكن الدال (بيت) لاستطعنا ان نحلله الى وحداته المكونة له هو ايضا ، وهى وحدات أصغر من وحدات المقطع اللغوى الذى حللناه اعلاه . لقد كانت الوحدات هناك الالفاظ التى تتركب منها الجملة بينما الوحدات هنا صوتات (10) تتكون من

---

(7) الدال هو ما يعرف عند الاوروبيين بـ signifiant : هذا واخصص المصطلح «المدلول» لما يعرف عند علماء اللغة المحدثين بـ signifié والمدلول عليه لما يعرف عندهم بـ référent واما المصطلح signe فاقابله باللفظ العربي الدليل واما signification فهي عندي دلالة :

(8) كان على علماء اللغة المحدثين ، ليتمكنوا من تسجيل البلاغات اللغوية بدقة ان يجدوا نظاما من العلامات ترمز الى اصوات الحديث : (انظر هذه الرموز في اي كتاب تعرض حديثا لعلم اللغة) : فاذا ما ارادوا تمثيل اقصى دقائق الاصوات حتى بالنسبة للكلمات التي لا وظيفة لغوية لها ، سجلوها بين كلابين [ ] ، وهكذا وتطبيقا لما مر ، نستطيع ان نعيد الآن طبع كتاب سيبويه ، مثلا طبعة علمية دقيقة ، مسجلين بين كلابين امورا لا حصر لها اوردها امام النحاة ليمثل بها لامور كثيرة ليس لها في كتابه اية وظيفة لغوية : كما نجد امثلة عديدة من هذا النوع نستطيع كتابتها بين كلابين في كتاب «الاحاجي النحوية للامام جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق السيد مصطفى الحدري ، نشر مكتبة الغزالي سنة 1969 : وعليه فاننا نكتب «بيت» صوتيا وحين لا يوحي بوظيفة لغوية هكذا [بيت] لكن ان اردنا تمثيل السمات الصوتية ذات وظيفة لغوية سجلناه بين خطين منحرفين هكذا / بيت / فاذا اردنا مدلوله سجلناه بين معقوفين هكذا «بيت» : وكل هذا مستمد طبعا من الابجدية الصوتية العالمية Alphabet phonétique international (A. P. I) التي اسسها سنة 1888 ميلادية بعض اعضاء الجمعية الصوتية العالمية ومن بينهم على الخصوص H. Sweet و P. Passy وغيرهم ، ولقد اهمل هذا الجانب من تمثيل الذي اشرنا اليه الباحثون اللغويون عندنا في حين انهم اهتموا بالابجدية الصوتية اهتماما مبالغا فيه رغم انهم لم يسجلوا هذه اللغة وهي العربية ، موضوع بحثهم بهذه الابجدية على طول صفحات كثيرة الا نادرا وبخلط منهجي خطير :

(9) نكتب الابجدية الصوتية العالمية ، كما سبق ان قلنا في الحاشية رقم 8 المدلول بين معقوفين هكذا «بيت» :

(10) شغلنا الشاغل الآن ، في بلادنا ، هو تعريب المصطلحات العلمية كل منا يعمل في ميدان تخصصه : وليس تعريب المصطلحات التي تقتحم الآلاف منها ، كل مطلع شمس ملء الميادين بالامر الهين : الا اننا امام هذا العدد المهول من المصطلحات ، قررنا ، في نفس اللحظة التي عزمنا فيها على التعريب الاحتفاظ بكل ما نملك من ايمان على لغتنا ، عنوان شخصيتنا الدينية والقومية والحضارية : ولا شك ان هذا الاختيار يضعنا امام امر جلل ودقيق للغاية : فنحن نريد ، وفي اقرب وقت ممكن ان نعرب لنلحق بالركب الحضاري المعاصر ، في نفس الوقت الذي نريد ان نضفي على ما نعرب وما سنعرب رداء العربية ، بمعنى اننا نرفض بقوة ان نعرب المصطلحات بمسخ لغتنا وتشويهها وتهجينها :

معجمانيات (11) وصرفات (12) . فالدال (بيت) يميز عن الدال (بيض) بوجود التاء فى آخره ، ويفرز عن الدال (صيت) بوجود الباء فى اوله وعـــن (بنت) بوجود الياء فى وسطه . وليست لهذه الوحدات التى تميز دالا عن دال آخر اية دلالة فى حد ذاتها . ولا يمكن بحال من الاحوال ان نجزئها الى اقل من ذلك دون أن

= تسقط هذه النظرية عندنا ، وبشكل يكاد يكون مطردا في اللغة العربية تحت قاعدة نحوية معروفة يمكن ان نكتبها على الشكل الآتي تسهيلا للتحليل هكذا :

ص ← { و / ق / م / هـ } خ + حَ { ة }

ومعلوم ان الحروف ق ، م ، هـ هي رموز فقط تعوض حين يراد الاتيان بالصيغة بالحرف الاول من الجذر المقصود الذي يشكل بحركة الرمز : وهي ، وان كانت رموزا كما قلت ، فانها في نفس الوقت الحرف الاول من الصيغة : ق = القدر ، م = مرة ، هـ = هياة وبما ان في مادة اساسية هو : ص ، و ، ت ، فالصيغة التي تدل منها على قدر من الاصوات هي «صوتة» بضم الصاد : واما ال phone او llophone التي هي الوحدة المنطقية من هذه الصوتة فهي «صوتة» بفتح الصاد :

وتطبيقا لهذه القاعدة العربية الاصيلة سأترجم مات مصطلحا ت علم اللغة كما سيتضح لنا على طول هذا البحث : فاذا كانت اللغات الاجنبية تنوع مصطلحاتها بلواصق ولواحق تضمها الى الجذور ، فان حركات اللغة العربية ، ان وضعت بالشكل الذي حددته القواعد الجامعة ، في اماكن معينة ، داخل صيغ معروفة ، قامت كاحسن ما يكون القيام بوظيفة هذه الملصقات ، والمثال اعلاه يوضح ذلك بجلاء : اما ان نترك الحبل على الغارب ، فندخل لفظة «فونتيم» هكذا نقحمها في السياق العربي ، فذلك تهجين للغة العربية وتشويه ما عليه من مزيد : لكن ان صغناه على المثال الاوروبي كما فعل السيد صالح القرمادي مترجم كتاب
Cours de phonétique arabe
لمؤلفه Jean Contineau حين قابله بـ «صوتم» فمسخ للغة العربية لا اقل ولا اكثر ، (انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان «دروس في علم اصوات العربية» صفحة 135 السطر الخامس ، طبعة تونس سنة 1966) :

(11) لم يتفق بعد علماء اللغة على فكرة ذلك الاحتياطي الصامت الذي يسميه الاوروبيون lexique والذي يخصص عادة للغة وعلى ذلك الجزء من هذا المجمع الذي يستغل في الحديث او في ميدان معين ، والذي يسميه الفرنسيون vocabulaire

اما بالنسبة لنا ، فلم يبق يعترضنا اي مشكل من هذا النوع ما دمنا قد تبنينا ذلك المبدأ العربي الذي يعطي للضمة ، توضع فوق الحرف الاول من الكلمة ، (لا يهمنا أكان الحرف اصليا ام زائدا ، في صيغة ثلاثية ، او ما فوقها) معنى المجمع ، اي عدد من الوحدات أضيف بعضها الى بعض :

وعليه فالمصطلح «معجم» بضم الميم يقابل lexique ومعجمي بفتح النون وبياء للنسبة يقابل vocabulaire لان lexique اصبح من الـ vocabulaire واذا كنت اضفت ياء النسبة للمصطلح الثاني فلانني اردت ان ادقق معناه اكثر ، ذلك ان vocabulaire اعم عند متخصصين كبار امثال و J. L. Descamps ينسب عادة الى ميدان علمي او تقني ما : (انظر توضيح ذلك اكثر في المجلة الفرنسية langue francaise المقال
Remarques sur la diffusion des mots scientifiques et techniques dans le lexique
المنشور بالعدد 17 (فبراير 1973) ابتداء من صفحة 31 :

لم ار لغويا عربيا محدثا واحدا اعار انتباهه الى مثل هذه المصطلحات المهمة فتامل اولا ما توحي اليه من معان وحاول ثانيا ان يجد لها المقابل العربي :

اما عن المصطلح معجماني فاترجم به المصطلح اللغوي lexème ومعلوم ان المعجماني هي تلك الصيغة التي تنسب الى المعجم لانها تستخرج من ذلك الاحتياطي الصامت الميت : وارجو ان نتنبه الى ان اية مادة لغوية اذا ما نطق بها انسان فانه يضيف شيئا آخر (سأشير اليه بعد قليل) الى المعجماني : فمعجماني «خرج» مثلا يتكون من الصوته (بضم الصاد ، انظر الحاشية رقم 10) خ ، ومن الصوته «ر» ومن الصوته «ج» وحين ننطق به تضيف اليه عنصرا جديدا تمثله الفتحة على الخاء والفتحة على الراء والفتحة على الجيم ، وهو العنصر الذي اتحدث عنه في الحاشية 12 :

(12) «نفشي» هذا المصطلح واخوته تطبيقا للمبدأ الذي حددناه في الحاشية رقم 10 وتتميما لما سبق ان ذكرناه في الحاشية رقم 11 من ان «خرج» تشتمل على معجماني هو المثل في الصوتات خ ، ر ، ج والصرفات (بضم الصاد ، لانه قدر) وهي الفتحات الموجودة على الحروف الثلاثة او الصيغة التي صيغ عليها الفعل :

ومعلوم ان النحو التوليدي لا يهمه تحديد المصطلح صرفي ، ما دام منشغلا بالعناصر الذهنية المؤدية الى تطبيق القواعد الصرفية التشكيلية morphophonologique وعلى هذا فان المصطلح صرفي (morphène) هو عنصر من البنية العميقة المقابل للمصوغ (Formant) الذي هو عنصر من البنية السطحية

واعتقد انني في غير حاجة الى الاشارة ان النحاة التقليديين كانوا يطلقون مصطلح الصرفة على ذلك الجزء من الكلمة او من المركب الاسمي او الفعلي الدال على وظيفة نحوية

غير خفي ان النحو التوزيعي والتحليل الى المكونات الاساسية يريان ان الصرفة هي اصغر وحدة موحية في البلاغ ، هي اذن =

تمس بجوهرها . ولذا تسمى هذه الوحدات التى تكون ما يسمى **بالتقطيع الثانى « الوحدات المميزة المتتابعة الدنيــا »** .

ولقد استطاعت البشرية ، بمزج وحدات مميزة قليلة العدد بعضها ببعض تركيب لغاتها الطبيعية . وفى هذا من الاقتصاد ما لا يخفى على احد . بل اننا لنستطيع أن نستعمل وحدة مميزة واحدة مرات فـــى دال واحد مما يضاعف من اقتصاد هذا التقطيـــع .

نرى فى المقطع اللغوى «فتحت الباب» ، مثلا اننا كررنا فى الوحدة الموحية الاولى « فتحت » مرتين اثنتين الوحدة المميزة « التاء » ، وكررنا الوحـــدة المميـــزة « باء » مرتين ايضا فى الدال (باب) .

(يتبع)

الدار البيضاء

الدكتور التهامى الراجى الهاشمى

---

* وتطبيقا لما رايناه اعلاه ، الوحدة الموحية في التقطيع الاول للحديث ، ومن هنا فازة تقابل عند اصحاب هذه المدرسة الصوتة التي هي الوحدة المميزة الدنيا في التقطيع الثاني :

الا ان هذا التيار وهو تيار النحو التوليدي يميز من جهة اخرى بين الصرفة البسيطة والصرفة المعقدة وبين الصرفــة القطعيـة والصرفة ما فوق المقطعية ويحكم على وحدات معينة انهــا صرفات فريدة :

ا ـ اما الصرفة البسيطة فهي التي رايناها في مثالنا الذي اعطيناه اعلاه ، «خرج» :

ب ـ واما الصرفة المعقدة فنراها مثلا في يقراون التي تتكون من تسكين قاف قرا وضم همزته ومن ياء المضارعة وواو الجماعة والنون الدالة على «حياة» الفعل (mode du verbe)

ج ـ واما الصرفة المقطعية في تلك الصرفة البسيطة او المعقدة التي تظهر في اللفظة نفسها كما اوضحنا ذلك في (ا) و (ب) اعلاه .

د ـ واما الصرفة ما فوق المقطعية فهي التي لا تكون جزءا من اللفظة (مثل التنغيم)

هـ ـ اما الصرفات الفريدة فيقصدون بها تلك الوحدات الموحية التي لا تدخل الا في تراكيب معينة اوفي عبارات محجرة مثل «بد» في العبارة «ما لا بد منه بد» و «لبطان» في «شيطان ليطان» و «بسن» في «حسن بسن» وغير ذلك .

ونستطيع ان نقول انطلاقا من المبدا الذي حددناه في الحاشية 10 ان الوحدة المنطوقة من الصرفة (بالضم) هي الصرفة (بالفتح morphe او allomorphe) ومن هنا نسمي الضمة الموجودة على القاف في الصيغة «قلت» مشروطة باسنادها لضمير الرفع «ت» وحذف الحرف الاصلي الثاني منها «صرفة» (بفتح الصاد) ولكن الضم المجانسة للحرف المحذوف والحروف المحذوفة لاجل التخلص من التقاء الساكنين واسناد الفعل الى ضمير الرفع صرفة (بضم الصاد) .

منهجية تدريس اللغة العربية

للأستاذ :
محمد حمزة

— القسم الاول —

المناهج التربوية من الامور التى يعنى بها الافراد ، والجماعات ، والحكومات منذ اقدم العصور ، والفرد فى المجتمع البدائى يحلم دائما ان يورث ابنه ما عرف هو عن البيئة التى يعيش فيها ، والحياة التى يحياها ، فلا يفتأ يدربه ويعلمه ويوجهه منذ الطفولة حتى الرشد، وحتى يطمئن الى انه قادر بعده على حمل الامانة ، ومغالبة صعاب الحياة التى يحس بها هو (1) ، فان فشل فى تلك المهمة خاس به الزمان وصار مأساة كاملة الفصول ، وقضى حياته سقيما دنفا ، تعصره الكروب، وتتقطع احشاؤه لهفا واسفا ، وتفنى ايامه بالحسرة واعوامه بالتأوه ، وتتحول غضاضته الى تحل القيظ ، وتعمى مذاهبه ، وتظلم كواكب غسقه ، وتتقول عليه شفاه الكذب التى تنطق بالصلف ، والبأو ، والكبر ، والازدراء ، ويصبح هزؤا لاخلائه ، لان حق البائس فى راى المسعود الاهانة ! كما لو كان جمرا تحت رماد ، أو بابا خارجيا لا يصد ريحا ولا يرد عاصفة ، او قترا يلوث ناقله ، ودلوا منقورا يبلل حامله ، او كما لو كان عارا اى عار ، او سوءة شنعاء ومعرة دهماء باقية فى الاعقاب ، اما ذووه فلا يرون فيه الا داء عياء ، او حريقا مخوفا ، او دينا فادحا ، لتخبطه فى اوحال الجهل ، وضباب الغواية ، وفراغ التجربة ، وهو اذ لم يوفق له نمط من انماط السلوك يلبسه ويرضاه له مجتمعه واسرته ، صار عندهم بهيمة انعام ، او فرسا يحيا بغير فهم زينته الحكمة (2) والرسن يشد بهما عند جموحه وشماسه وتعذر انقياده ، بل لا يرون فيه الا اناء متلفا من فخار مكسور لا يرقع ولا يشعب ، ولا يعاد طينا ، فهو لا يطمئن الى حال ولا يهدأ له ضمير يغلو فى جهالته ، ويركب متن غروره ، وتستبهم عليه معالم القصد ، تعاوده العلة فيتبع قبوع القنفذ ، وينتكس بين أمواج الحيرة ، يقذفه الريب فيتلقاه الشك، وتعبث به الظنون . ذلك ان الانسان مخلوق ادبى لا تنمو قواه المعنوية الا بفعل مميز يظهر اثره عليــه ، بخلاف الحيوان الذى يجعل همته فى نمو جسمه ، فلا يكفى أن يربى الانسان بالاحوال الطبيعية التى تحكم تربية الحيوان . بل هو مضطر لزوما الى احد من بنى جنســه يعرفه الغاية الانسانية . ويأخذ بيده نحو تربية روحه وعقله . ولذلك القى الله سبحانه فى قلـوب الوالدين رأفة طبيعية وحدبا غريزيا . ومحبة فطرية الى ابنائهم .

والمواطنة الصالحة لا يقوم لها ساق . ولا تنهض لها حجة . الا على التربية السليمة التى هى منــاط عوامل التقدم الاجتماعى . والسير به فى مدارج الكمال على ارض سهلة . وطريق لاحب . وبقدر تطور الزمن. وتعدد مسارب الحياة . تعقدت أمور العيش . وازدادت اهمية التربية فى أعين الناس . فشغلوا باعداد ابنائهم عن طريقها اعدادا يضمن لهم السعادة فى الداريــن سراعاة الجوانب المختلفة لانسانية الانسان . وتعهدها بالذكاء الطيب والانماء السليم .

ونحن اليوم اذ نستورد كثيرا من نظريات الغرب فى شتى حقول المعرفة . يجدر بنا ان نتمثلها . ونمثلها ولا يغنينا ترديدها بقدر ما تغنينا الاستفادة منهــا ،

والاخذ بأنسبها واحسنها ، والنظريات اللغوية الحديثة ينبغى أن تماشى وتمارس فى مضمارها وميدانها الذى هو اللغة نفسها ، جملة وتفصيلا ، مسايرة لغيرها من العلوم سواء بسواء .

وغنى عن البيان ان المدرسين هم صناع الامة الحقيقيون ، يصوغون مستقبلها بقدر ما يبذلون من جهد واخلاص فى العمل التربوى المنوط بهم ، وهم بذلك يعكسون بالمدارس التى يعملون فيها الصورة الدقيقة لمدى النهضة الشائعة فى الامة ، وكذا نوع الثقافة التى تجمع بين ابنائها وتسود تصرفاتهم اقوالا وافعالا ، والصور التربوية التى تعكسها المناهج التى تتعهدها المدرسة بالذيوع والنشر ، تحمل فى طياتها التعبير عن الحياة برمتها فى البلد الذى تعيش فيه ، وهى بذلك تحمل مسؤولية قصوى فى انهاض المجتمع (3) والتربية علم ، وبدونها تصير التجربة والخطأ نزعات اعتباطية، تصيب مرة وتخطىء عشرات المرات ، وتاريخ التفكير التربوى يمثل سلسلة من المحاولات فى سبيل الوصول الى اصلح الطرق لتربية النشء ، فمنذ اقدم العصور حاول افلاطون ، وارسطو ، وشيشرون ان يبينوا لنا كيف ينبغى ان يكون التدريس ، وقد حاول هذه المحاولة رجال فى العصور الوسطى منهم القديس اغسطين والامام الغزالى وابن خلدون والقديس توما الاكوينى وفى العصور الحديثة بستالوتزى ، ومنتسورى ، وفروبل ، وروسو ولوك ، وهربارت ، وديوى ، وغيرهم كثير ، كل واحد من هؤلاء حاول جهده ان يقدم لقومه نظرية فى التدريس ، وعزز دينه جريا وراء الاصلح اللائق !

واللغة العربية ، وهى لغتنا ، قد اثبتت انها قادرة على التعبير عن شتى فنون العلم ، وانها استوعبت ما نقل اليها من علوم اخرى ، فى الفلسفة ، وفى الطب، وفى الصيدلة وفى الرياضيات ، و « ان اللغة العربية هى لغة القرآن ما فى ذلك شك ، ولكنها فى الوقت نفسه، لغة الذين يتكلمونها ، فمن الحق عليها ان تستجيب لاصحابها وان تساير تطورهم ، وتجارى حياتهم فى ظروفها المختلفة ، وهى قد فعلت فى العصور الاولى ، فلم تكد تخرج من البادية العربية حتى لاءمت الحضارة الحديثة ووسعت علومها وفلسفتها ، وحتى تطور ادبها نفسه مع هذه الحضارة ، فادى فى يسر واسماح ما لم يكن يخطر للاعراب البادين على بال من الخواطر والمعانى والآراء » (4) ، « ان العربية ليست لغة الشعر والخطابة ، لغة السماويات فحسب ، انما هى ، بعد ، لغة العلم فى انتصاراته ، لغة المختبر فى كشوفه ، لغة الفضاء فى ريادة كل بعيد ، لغة حية ، لها من ماضيها ركيزة استمرار لمستقبلها ، كأنما النسغ المحيى ، يمتد عبر جذور غلست فى ظلمة الثرى الى فروع ذهبت غصونها فى الجهات وفى العلو ، مصابيح رؤى تؤكد ان للعرب فى تربة الشعوب شجرة ، هى السدرة بين الشجر الطالع من تراب الارض » (5) ، ونحن اليوم اذ نريد بعثها يتوجب علينا احترامها ، وعدم ظلمها بحشر الالفاظ وتركيم العبارات قبل ان يسرى فيها مائية العربية ، وقبل ان تشرب روح هذه اللغة .

ان وظيفة اللغة وظيفة مجتمعية ، ولا يمكن ان تفصل اللغة عن المجتمع لانها منه واليه ، واللغة لا تعيش لوحدها كتحفة من التحف او اثر من الآثار التاريخية ، حياة اللغة برواجها بين الناس كالسلع تماما ، تغلو وترخص حسب الاسواق ، وضمان سلامتها هو اول ضمان لبقاء العلم والثقافة ، فاللغة اذا اطمأنت انها لا يكيد لها كائد ، سارت فى امان وسكينة ، كالقاضى يشعر بالاستقرار والاطمئنان ، ولكل مجتمع طابع وروح ، واللغة ترقى برقى بيئتها ، وتنحط بانحطاط اهلها ! وتنحصر وظيفة اللغة الاجتماعية فى امرين هامين :

الاول : امر فردى هو قضاء حاجات الفرد فى المجتمع ، ولذلك يقال : ان الانسان لا يعرف الا باللغة لانها المميز الوحيد الذى يميزه عن غيره من الموجودات وهو ما يرمى اليه المناطقة حين يقولون : « ان الانسان حيوان ناطق » وما يقصده علماء الاجتماع اذ يقولون : « ان الانسان حيوان اجتماعى » لانه يتواصل مع غيره من بنى الانسان بواسطة الكلمات والالفاظ التى يصور بها افكاره ، وما يتردد فى وجدانه وعقله .

الثانى : امر اجتماعى بحت ، هو تهيئة الوضع المناسب والملائم لتكوين مجتمع ما ونشوء حياة اجتماعية ما ، وهنا تصبح اللغة ، مسموعة كانت او مكتوبة ، مصدرا عظيما من مصادر الحصول على المعلومات ، وتنظيم العلاقات بين افراد المجتمع ، واللغة تزداد اهميتها فى المجتمع كلما ارتفع مستواه الحضارى وضرب فى حقل التقدم بنصيب .

و « قد ظلت اللغة فيما مضى قرونا عدة ، وهى

قانعة بمجال محدود فى البحث العلمى ، لا تكاد تتجاوزه او تتعداه ، حتى تنبهت الاذهان الى ما تضمنته الكلمات من دلالات ، وبدأ الدارسون يرون فى تلك الدلالات الغاية والهدف من كل لغة ، وان اللغة فى حقيقتها لا تعدو أن تكون وسيلة من وسائل تنظيم المجتمع الانسانى ، تربط بين الافراد ، وتربط بين الجماعات ، وتربط بين الشعوب . وبذلك اخذ اللغوى الحديث يدرس اللغة فى ضوء الحياة الاجتماعية ، وظهر له بوضوح دور اللغة فى تشكيل المجتمع وتنظيمه » (6) ·

واللغة تظهر فى طبيعتها ، وتبدو فى كل فرد ، بحيث لا يمكن أن تراه يخبز ، وينسج ، ويزرع ، ويفلح الارض ، ويدرس ويطبب فى آن معـا · ولـذلك يلجأ الانسان الى غيره من اصحاب الحرف التى لا يمارسها هو ، فيتصل بهم لقضاء مآربه بالتفاهم معهم بوسيلة الاتصال التى هى اللغة ، والوجود البشرى يعتمد على الكيان اللغوى اعتمادا كبيرا ، ولو سلمنا جدلا ان الله سبحانه علم آدم اللغة أو علمه أسماء كل شىء حتى القصعة والقصيعة ، فان ذلك انما تم لتكـون اللغـة مبثوثة بين الناس ، فورثها آدم من خرجوا من ظهره ، فتشكلت وتنوعت كاى كائن حى فى هذه الدنيا . فأصبحت بعد صلة الوصل بين البشر · واللغة هى احدى وجهى الفكر ، كاحد وجهى الدينار ، والذى لا يمـارس لغـة قومية تامة صحيحة لم يكن له اى فكر قومى صحيح . والا فكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، أو دين بلا لغة ، او ادب بلا لغة ، أو علم بلا لغة ؟ ! !

والقاسم المشترك فى كل ذلك هو الحياة الاجتماعية التى لا تتسم بسـمة الانسـانية الا بوجود اللغة ، ذلك ان تحليل اى فكرة او صورة ذهنية ، او معطى مـن معطيات العلم الى أجزائه وخصائصه ، لا يتسنى الا بالتوسل باللغة ، فيتأتى بذلك تركيب الصورة مـرة أخرى ، فاللغة تخضع لعوامل كثيرة نفسية واجتماعية ، ويزداد هذا الخضوع بازدياد الرغبات عند الانسان ، ونمو مطالبه ، واللغة تتسع وتنمو وتتنوع بقدر مـا تسمح به البيئة والمجتمع ، اما نواحيها الوظيفية فضاربة فى اعماق النفس الانسانية التى لا تحيا قـوة وفعـلا بأى نشاط سوى النشاط اللغوى ، ويمكن تلخيص تلك النواحى فيما يلى :

1 ـــ انها تزود المرء بأدوات التجديد الفكـرى والتأملى ، وهو ما نفتقده عند الكثـرة الكـاثرة مـن شبابنـا وتلاميـذنا ، وهو مـا يشكـوه مـدرسـو الفلسفة ، مثلا ، لعدم استطاعة التلاميذ التعبير عن مكنون صدورهم عن معطيات فى الفلسفة ، والمنطق ، والاقتصاد « فالتجريد اعلى درجات القوى العقليـة التى يصل اليها الحيوان المفكر ، فالفاظ المعانى البحت كالحياة والقدرة ، والشجاعة ، والمروءة ، انما تدل على تصور المدركات العقلية المجردة عن المادة ، اى تدل على معان جردها العقل عن الاشخاص والاشياء التى تتصف بها » (7) وتعتمد ثقافة الانسان باللغـة اعتمادا كبيرا ليعبر عن مثل هذه المعانى ، ويظهر انه لا احد ينكر الموقف الحرج الذى يقفه وهو يسمع ناسا يتحدثون لغة لا يفهمها ، وكم مرة نحرم متعـة تذوق قصيدة من القصائد لمجرد ورود كلمة أو كلمات فيهـا لا نفهم معانيها !

2 ـــ انها جسر العبور لافكار الناس ، عن طريق الكلمات المنطوقة او المكتوبة او المسموعة ، سواء اكان الاتصال بسيطا سهلا كما فى مخاطباتنا فى حياتنا اليومية العادية ، ونحن نتحدث عن مأكلنا ومشربنا وذهابنـا وجيئتنا ، مثلا ، او غير ذلك من الاشياء المحسوسة المادية المتمثلة فى الصورة الواقعية التى تنم عنها كل كلمة من كلمات مخاطباتنا ، وسواء اكان الاتصال معقدا رفيعا ، حيث تتعدى اللغة المجالات الحسيـة الـى مجالات أخرى ، ارحب واوسع من الانسان نفسه : الى حالات نفسية متشعبة تنشأ عـن ردود فعل فى الاعصاب ، وضغط فى الدم الذى يعمل تحت امرة الدماغ ولغة كل امرىء تكون بمقدار مستواه الفكرى ، ولذلك يقال : « العقول الكبيرة تناقش الافكار ، والعقـول المتوسطة تناقش الاحداث ، والعقول الضعيفة تتحدث فى شؤون الناس » ، فلغة العلماء والمثقفين ليست هى بلغة سواء الناس ، فالعلماء والمثقفون يتفاهمون فيما بينهم بكثير من السهولة ، ويحدث العكس لو خاطبوا الجهال والعوام ، ولقد كان الشاعر العربى محقـا حيـن قـال :

الصنف بالصنف فى الاشيـاء منطبـع
والخيـر وبحك فـى الارذال ممتنع
ارسـل الوغد للوغـدان بليت بـه
ان الطيـور علـى اجناسها تقـع

3 ـــ انها أصدق شاهد حضارى على الاطلاق ، فهى تحفظ التراث الثقافى للامم ، جيلا بعد آخر ، فلولا اللغة مكتوبة ومنطوقة ، ما وصلنا شىء من اخبار ،

سلف من الماضين ، وما عرفنا عن القرون الغابرة ، والامم البائدة ، والحضارات الماثلة والفانية ، وما وصلنا شيء من المأثورات الشعبية ، وانقطعت بذلك حبال العاطفة نحو الماضي المجيد ، والعز التليد .

4 ـ انها وسيلة تساعد المرء على تكييف سلوكه وضبطه ، وكبح جماحه كي يتناسب وتقاليد المجتمع وسلوكه ، وكثيرا ما يغضبنا الغير فنهم بشتمه بالفاظ نابية او مقنعة ، فنعدل عن ذلك الى السكوت ، لما نرى فيها من نشاز يأباه السلوك العام ، او ترفضه الاخلاق، او يستنكف عنه الدين ، او يمس الآباء والاجداد وما خلفوا ، فالتقاليد هي كل ما انتقل الى الانسان من آبائه واجداده ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات، والعلوم ، والاعمال ، ولا يصح في عقل ، او يدور في خلد ، ان يتم انتقال ذلك او جزء منه ، وصيرورته الى الغير ، جيلا عن جيل وعصرا عن عصر الا بواسطة اللغـة .

5 ـ ان اللغة استعمال ومزاولة ، وميدان حركة ، ووسيلة حياة ، وهي بذلك تجمل للمعارف والافكار البشرية قيما اجتماعية ، بسبب استخدام المجتمع لها والتواصل بها للدلالة على ما يضطرب فيه، ويعتمل في احضانه ، انها وسيلة لصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية ، والفرد كلما اوغل في عضويته للمجتمع اللغوي ، لعبت اللغة دورا متزايدا في حياته الاجتماعية ، وفي سلوكه واحساسه الشخصي ، اما عضويته الفعالة في مجتمعه ، فتعتمد مباشرة على قدرته على الاتصال بزملائه ، وقدرة الاتصال بدورها عامل اساسي في نموه، باعتباره فردا (8) ، ويظهر ان الذين نسميهم انطوائيين او منزوين على انفسهم ، ما هم في الحقيقة الا اناس مدفوعون لعدم الاتصال بغيرهم اتصالا اجتماعيا يخولهم الاندماج في الناس ، والتفتح على آفاقهم ، لاسباب قد تكون نفسية يعكسها عجز ذخرهم اللغوي ، وانقباضهم عند الحديث لقلة تجاربهم احيانا او لخجلهم الذي يسبب لهم انكسارا في القلب ، او شعورا بالخزي ، ولقد بلغ من قوة الصلة بين التفكير والتعبير ان بعض علماء النفس يرون انهما ليسا الا مظهرين لعملية عقلية واحدة ، وان نمو كل منهما وارتقاءه مرتبط بنمو الآخر وارتقائه كل الارتباط ، وان كلا منهما مرتبط بتجارب الانسان وخبراته في الحياة . فالتجارب محك الرجال ، ولذلك يقول الشاعر :

لا تمدحن امرأ حتى تجربه
ولا تذمنه من غير تجريب

6 ـ انها الرائد الاكبر للقوى العاقلة ، وهي عضدها الاول ، وساعدها الايمن ، وقوتها المحركة ، فبفضل اللغة يزيد نماء الفكر ويمتد اهابه ، وهي غذاء للروح واطيب زاد للعقل ، فيها يتسع الخيال وتبعد النظرة ، وكلما كانت ثقافة الانسان للغة راقية كان فكره ارقى ، ولا يخفى ان لغات البدائيين فقيرة او تميل الى ذلك ، لان بيئاتهم ومدركاتهم ساذجة محدودة ضيقة ، ونلاحظ ذلك او شبيها له عند العوام او الجهال، فانهم يغضبون عند ما تمازحهم ، لاتفه الاسباب ، ولاقل الالفاظ ابتذاعا ، لضعف تصورهم لما وراء الالفاظ ، ولعدم تمرسهم بالسحر الفني الذي يتم عن طريق الفاظ اللغة او الكلام ، والانسان يطل باللغة من كوة الآداب والعلوم، على عالم تمتد ظلاله بلا آفاق وبلا حدود ، وهو باللغة يتكلمها او يقرؤها ، او يسمعها ، يدق خياله وضبطه للاشياء ، وتتسع مداركه ، ويزداد رايه سدادا ، ويطفح علما وحكمة ، ولذلك قال الشاعر :

بقدر لغات المرء يكثر نفعه
وتلك له عند الشدائد اعوان
فبادر الى حفظ اللغات مسارعا
فكل لسان في الحقيقة انسان

7 ـ ان كتاب الله الخالد حين يقول : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » (9) ، او حين يقول : « فذكر انما انت مذكر » (10) انما يرمي الى حقيقة هامة ، وحجة باهرة وامر واقع ، ذلك ان التذكير يكون بالعظة الحسنة للنهوض من الغفلة ، او بالكلمة البليغة للاعتبار لاولي الابصار ، او للتنبيه على امر قد طواه النسيان ، او طغت عليه عوادي الزمان ، وكل ذلك لا يتم الا بواسطة الكلام واللغة ، ولذلك يقول النحاة عند ما يعرفون الكلام : انه « هو القول المفيد بالقصد ، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه » (11) بحيث لا يصير السامع منتظرا لشيء آخر ، ولا يطلب زائدا على ما سمع ، لان المفيد من الكلام هو ما افاد فائدة تامة وترتبت عليه ، لا عند المتكلم وحده ، بل حتى عند السامع ، لان اولهما يلقي ، وثانيهما يتلقى ، ولا يتصور الثاني من غير وجود الاول ويفهم ذلك من قول القائل :

وقصدنا سكوت من تكلما
وقيل سامع وقيل بل هما (12)

فاللغة هى مفتاح الحافظة والذاكرة ، فقد تذكرنا الكلمة الواحدة نسمعها او نقرؤها بكثير من الامور ما كنا لنتذكرها ، بل كثيرا ما تراجع نفوسنا ونقيم سلوكنا لمجردة كلمة ، تؤثر فينا ، او تهز مشاعرنا ، أو تثير عواطفنا ويظهر ان المصحبين ، وهم المجانين الذين يحدثون انفسهم كمن يحدثون غيرهم ، انما كبتوا بحرمانهم عن التعبير والكلام باطمئنان فى وقت من الاوقات ، أو ظرف من الظرف ، كالذى يحدث فى بعض البيوت حيث يكم الآباء افواه ابنائهم فى صباهم ، بل حتى فى شبابهم ، فينشاون على القهر ، والقسر ، وقتل الارادة ، وهم بذلك تخبو جذوتهم ويكتمون كلامهم ومكنون صدورهم لفقدهم عنصرا هاما من عناصر الحياة بالنسبة للاطفال اذا ما فتحوا عيونهم على هذه الدنيا ، ذلكم هو التشويق والسرور والجمال الذى يعبر عنه بشتى انواع التعبير كالكلام والكتابة والاشارة ، واستساغة اللغة انما يكون بامتزاج عباراتها بالنفس وقوة تاثيرها فى القارىء او المستمع ، ولذلك يقال : « القلوب اوعية الاسرار ، والشفاه اقفالها ، والالسن مفاتحها » وقال الشاعر :

انما تنجح مقالة المرء
اذا صادفت هوى فى الفؤاد

8 ــ ان اللغة من اهم الوسائل لتوحيد التفكير ، وراب الصدع ، وجمع الشمل ، لان اهل اللغة الواحدة يتكلمون لغة واحدة ، ويكون لهم نسق متقارب من السلوك فى التفكير ، بل حتى أذواقهم تتقارب وقد تتحد فيما يحبونه ، وما يكرهونه ، وما يقدرونه وما يميلون اليه وما لا يأبهون له ، قيل ان قبيلتين عراقيتين ذواتى آصرة حدث بينهما نزاع فكان ممن ندب للصلح بينهما المرحوم الشاعر على الجارم ، فقيل انه نجح نجاحا عظيما حين استشهد بقول البحترى :

شواجر ارماح تقطع دونها
شواجر ارحام ملوم قطوعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها

فبكى لسماع هذا الشعر رجال القبيلتين وتصالحوا (13) ، فاللغة هى التى يتم بها التواصل بين الناس ، فتوحد بين الافراد رغم الفروق التى تسودهم وكذلك تفعل فعلها فى الجماعات ، وهى فوق ذلك مهارة وفن وشعور وتعبير ، وفيها تتجمع خلاصة التجارب البشرية ، للترفيه عن الارواح ، ولتثقيف العقول .

9 ــ ان اللغة تؤثر فى الفكر ، هو يوجهها وهى تقوده ، وهى بذلك وسيلة لايضاح المعانى الغامضة ، وتنسيقها تنسيقا معينا ، اذا خفيت اعلامها وضلت صواها ، او غام افقها واستسرت آفاقها « وتأثير اللغة فى وضوح المعنى وتنظيمه فى ذهن المخاطب امر لا شبهة فيه ، والذى يمارس التدريس او التحرير ، قد يحس فى نفسه معانى مجملة او مختلطة ، فياخذ فى معالجتها بالبسط او التنسيق ، وانما يستعين على بسطها او تنسيقها بكلام نفسى ، وليس هذا الكلام النفسى الا صور الفاظ لغوية تتسرب من قوة الحافظة الى المفكرة ، فللغة تاثير على الفكر من قبل ان يعبر عنه بالقلم او اللسان » (14) ، كما ان للفكر اثرا فى اللغة عظيما ، ولولا الفكر لفقدت اللغة خواصها ولم يكن لوجودها اية فائدة ، وان الانسان لعاطل عن الفكر بطال ان لم تكن له لغة ، لان من خصائص الانسان الكلام المفصل البين المفهوم ، وهو بذلك يقتل الصمت ويزيل العجمة ويطرد الوحشة ، وهو لو عاش بدون لغة لكان كالغول ، يخوف به ولا وجود له على حد قول الشاعر :

الغول والخل والعنقاء ثالثة
اسماء اشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك قال احد الفلاسفة : « الافكار التى لا تودع فى الالفاظ كالشرارات التى لا تبرق الا لتموت » ، والالفاظ يربطها الفكر بمعانيها ، فيعمد اليها وهى اصوات فارغة ، فيردها كالاصداف تحمل من درر المعانى ما يبهر العقل ، او كالاغصان تحمل من الثمار ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ، ويجعلها محفوظة باقية ، ينميها عامل الزمن والمكان بتناقلها او تدارسها او تأييدها ، او تفنيدها . .

فاللغة اذن ، ليست شيئا جامدا عديم الحركة والحياة ، بل ان طاقتها تنمو وتزكو بقدر ما تزاول وتمارس ، واللغة ممارسة وسلوك ، لانها الاداة الطبيعية التى يستعملها الناس ، وهم احياء ، ليتفاهموا ويتعاونوا على تحقيق منافعهم الخاصة والعامة ، فيحققون بذلك دورهم الفردى والجماعى فى الحياة ،

لان اللغة جيوب للافكار ، وأوعية للوجودانات ، بما لها من امتداد فى الزمان ، ونهوض بالاداء عن العلاقات المعنوية ، فهى المستودع الاكبر للتراث الاجتماعى ، وما تركه السابقون ، وبوساطتها يتم لهذا التراث الذيوع والانتشار فى الناس ، ليصل فى النهاية الى تواصل بين الانسان وربه والطبيعة ، والكون الذى يعتبر الانسان جزءا منه ، بل ان الانسان ، ذلكم الكائن العجيب الذى قتل الصمت باللغة ، هو تاج الخليقة وبطل الرواية الكونية .

---

(1) الاصول التربوية فى بناء المناهج ، تاليف دكتور حسين سليمان قوره ، ص 19 ، الطبعة الرابعة ، 1975 ، دار المعارف بمصر .

(2) الحكمة ، بفتح الحاء والكاف : حديدة فى اللجام تكون على انف الفرس وحنكه ، تمنعه عن مخالفة راكبه ، وفى الحديث : « ما من آدمى الا وفى راسه حكمة » وفى رواية : « فى راس كل عبد حكمة اذا هم بسيئة ، فان شاء الله تعالى أن يقدعه بها قدعه » ، ولما كانت الحكمة تأخذ بفم الدابة ، وكان الحنك متصلا بالراس ، جعلها تمنع من هى فى راسه كما تمنع الحكمة الدابة ، وكانت العرب تتخذ الحكم من القد ، بكسر القاف ، وهو سيور تقطع من جلد فطير غير مدبوغ ، ومن الابق بفتح الهمزة والباء ، وهو القنب ، لان قصدهم الشناعة لا الزينة ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوائرها قد احكمت حكمات القد والابقا

وعن ابراهيم النخعى انه قال : « حكم اليتيم كما تحكم ولدك » اى امنعه من الفساد واصلحه كما تصلح ولدك ، وكما تمنعه من الفساد ، قال : ونرى أن حكمة الدابة سميت بهذا المعنى لانها تمنع الدابة من كثير من الجهل ، وقوله تعالى : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » معناه أن آياته احكمت بالامر والنهى والحلال والحرام ، ثم فصلت بالوعد والوعيد ، فآياته احكمت وفصلت بجميع ما يحتاج اليه من الدلالة على توحيد الله وتثبيت نبوة الانبياء وشرائع الاسلام ، يدل على ذلك قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . اللسان ، مادة « حكم » .

والرسن ، بفتح الراء والسين : هو الحبل الذى يقاد به البعير وغيره ، ويكون عادة على الانف ، قالت عائشة رضى الله عنها ليزيد بن الاصم ابن اخت ميمونة وهى تعاتبه : « ذهبت والله ميمونة ، ورمى برسنك على غاربك » اى خلى سبيلك ، فليس لك احد يمنعك مما تريد ، اللسان مادة « رسن » .

(3) الاصول التربوية فى بناء المناهج ، ص 23 .

(4) خصام ونقد للدكتور طه حسين ، ص 182 ، الطبعة السادسة ، يناير 1975 دار العلم للملايين ، بيروت .

(5) من مقدمة الشيخ عبد الله العلايلى للسان العرب المحيط لابن منظور ص ، ج اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ، كانون الثانى 1970 شوال 1389 دار لسان العرب ، بيروت .

(6) من تصدير للدكتور ابراهيم انيس لكتاب « اللغة فى المجتمع » تاليف م ، م ، لويس ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، ص 3 دار احياء الكتب العربية 1959 .

(7) المدخل الى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية ، بقلم عبد المجيد عابدين ص 16 الطبعة الاولى 1951 ، مطبعة الشبكشى بالازهر بمصر .

(8) اللغة فى المجتمع ، ص 31 .

(9) الآية 55 من سورة الذاريات .

(10) الآية 21 من سورة الغاشية .

(11) مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب لجمال الدين ابن هشام الانصارى ، ج 2 ص 419 ، حققه وخرج شواهده الدكتور مازن المبارك ومحمد على حمد الله — راجعه سعيد الافغانى — دار الفكر الحديث ، لبنان .

(12) حاشية احمد بن محمد بن حمدون السلمى المعروف بابن الحاج على شرح الشيخ خالد الازهرى على متن الاجرومية ، ص 12 ، الطبعة الثانية ، 1351 هـ ، مطبعة المعاهد بالقاهرة .

(13) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ، ص 340 ، 341 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 .

(14) دراسات فى العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين ، ص ، 12 المكتب الاسلامى ، مكتبة دار الفتح ، دمشق ، الطبعة الثانية 1380 — 1960 م .

(يتبع)

أضواء على
ابن يجبش التازي



تأليف: الأستاذ أبو بكر البوخصيبي

من الدراسات التاريخية القيمة التى صدرت فى المغرب مؤخرا دراسة منهجية للباحث الاستاذ ابى بكر البوخصيبى تحت عنوان : « أضواء على ابن يجبش التازى » التى نال بها جائزة المغرب الثانية عام 1972 .

وقد كتب مقدمة الكتاب الاستاذ عبد الله كنون مثنيا على الجهود العلمية الشاقة التى بذلها المؤلف لاخراج شخصية ابن يجبش من بين الركام التاريخى وتسليط الاضواء عليها باسلوب علمى رصين ومنهج محكم واحاطة شاملة لجوانب الموضوع .

ونظرا لما تناولته مقدمة الاستاذ كنون من مسائل ذات ارتباط وثيق بالحياة الفكرية والثقافية فى المغرب ، ارتأينا ان ننشرها على حدة .

واذ ننوه بهذه الاضافة القيمة ، وبصاحبها ، نهيب بالباحثين والدارسين الى مزيد من التنقيب عن التراث المغربى الزاخر الثرى ، فلا تزال هناك موضوعات بكر لم تطرق ، وجوانب مغمورة ، لم يجلها بحث، ولم تكشف عنها دراسة .

تاريخ المغرب لا يشكو من فقر ولا قلة اهتمام ، فقد اولاه سلفنا كل عناية ، ولم يخل اى عصر من مؤرخ او عدة مؤرخين يسجلون احداثه ، ويخلدون تراجم اعلامه سواء فى ميدان السياسة او العلم او الادب ؛ بل ان كثيرا من الشخصيات التى لم يكن لها صفة من هذا القبيل ، الا ان الناس ينعتونها بالتقوى والصلاح، قد عنى بها الكتاب والمترجمون وذكروها فى كتبهم بغاية التنويه والاحتفال ، ومنهم من افردوا بالتآليف فى حياتهم وخصوا بالذكر دون غيرهم .

واذا استعرضنا المؤلفات التاريخية التى وضعها المغاربة ، نجد منها ما هو عام يتناول تاريخ المغرب السياسى والادبى ، ومنها ما هو خاص بدولة من دوله المعروفة ، ومنها ما يعتنى بالتراجم على العموم ، كتراجم الملوك والقادة والعلماء والمشايخ واهل الفضل من مختلف طبقات الناس ، ومنها ما يختص بتراجم طبقة معينة كالصوفية والفقهاء والادباء وغيرهم ، ومنها ما يؤرخ للمدن والقبائل والانساب والبيوتات ، ومنها مالا يهتم الا بحادثة معينة وواقعة مخصوصة ، ويدخل فى ذلك الرحلات على اختلاف أنواعها واتجاهاتها، الى ما يطول احصاؤه ويتشعب تصنيفه .

فنحن نرى ان ليس بتاريخ المغرب من خصاصة ولا ما يدعو الى الشكوى من اهمال ابنائه له ، ولكن الذى يشكو تاريخنا منه الآن ، امران اثنان احدهما لا يد لنا فيه ، وهو ضياع الكثير من المؤلفات التاريخية الموضوعة فى الاغراض التى أشرنا اليها كلا أو بعضا ، كالتآليف الخاصة ببعض المدن ، أو بعض الدول أو بعض الحوادث ، والتآليف المخصوصة بتاريخ المغرب القديم واصول سكانه التى استقى منها ابن خلدون ، وبقى بعضها الى قريب من عهدنا هذا بحيث وقف عليها ابو القاسم الزيانى فيما يقول .

والثانى هو الدراسة المنهجية ، التى تستفيد من هذه الآثار وتصنفها وتأخذ منها ما يستدل به على حقيقة الامر ، ويجلى الغموض الذى يعتور الكثير من الفترات التاريخية ، سيما مع الاستعانة بالوثائق الاخرى كالظهائر السلطانية ، والرسائل الرسمية ، والكشوف الحسابية ، والقوائم الاحصائية ، والضرائبية ، والنوازل والفتاوى الشرعية ، بالاضافة الى المعاهدات والاتفاقات السياسية والاقتصادية ، على النطاق الدولى ، وكتابات الاجانب فى هذا الصدد وفى تاريخ المغرب وحوادثه وعلائقه الخارجية بعامة .

وانّنا فى هذا المجال لم نفعل شيئا على الاطلاق ، وما يزال موضوع الدراسة التاريخية عندنا بكرا لم يحم حوله احد ، واترك الكلام على الدراسة والبحث مما تكتنفه الصعوبات ، ويحتاج الى مؤهلات عديدة ، والتفت الى موضوع الترجمة فقط للمصادر الاجنبية التى تتناول تاريخنا من جميع جوانبه ، ولا سيما التاريخ الحديث ، فاتساءل ما فعل نحو مليون ونصف من الذين تعلموا بالفرنسية عندنا فى هذا الصدد ، هل تعلموا الفرنسيةليتكلموا بها كان المغرب ليس له لغة وطنية ، ان عشرات الكتب الفرنسية التى وضعت عن القضية المغربية فى الآونة الاخيرة ، تنتظر من ينقلها الى العربية ، فماذا يعمل المتحذلقون بلغة اناتول فرانس ؟ فى الشرق العربى لا يصدر كتاب بالفرنسية او الانجليزية او غيرهما عن قضية من قضايا العرب ، الا ويترجم حالا ، وربما نشر قبل وصوله اليهم بلغته الاصلية ، ويستفيد المترجم والناشر العربيان ماديا بدل الكاتب والناشر الاجنبيين ، فضلا عن تنوير القارىء العربى واطلاعه على ما يقال عن بلاده وقضاياه الوطنية .. ولكننا فى المغرب ما نزال لم نترجم شيئا من الكتب التى الفت باللغات الاجنبية عن فرض الحماية وما قبلها وما بعدها ، الى حادثة الصخيرات وهلم جرا ..

هذا تلميح فقط الى ما يشكو منه تاريخنا القومى،مما علينا ان نقوم به ونتنهض بعبئه ونكف عن التذمر واتهام الغير بالتقصير ، فى حين ان هذا الغير لا يالو جهدا فى نطاق استعداده عن تقديم ما تصل اليه يده وتستوعبه طاقته من اعمال ومنجزات لا يستهان بها ، وهنا اذكر احد السادة ممن حصلوا قديما على قدر لا باس به من الثقافة المزدوجة ، ويسهم ببعض الكتابات الصحفية من آن لآخر ، ومن موضوعاته المكررة التى لا يمل منها منذ أربعين سنة ، موضوع كتابة تاريخ المغرب ، وانه لم يهتم به ، بل لم يفكر فيه أحد الى الآن ، ويقترح بل يشترط لذلك شروطا اهمها الاطلاع على ما كتبه الاجانب فى هذا المضمار ، فكنت كلما قرات كلامه هذا انشد قول الشاعر :

لابـــى بكـر كـــلام واحــد لا يتعــدى
لا يرى من وصفه البســـتان فى البصرة بـدا

واقول فى نفسى ، ولماذا لا يبدأ هو ، فينقل على الاقل ، بعض كتب الاجانب التى يعرفها الى العربية ويسهم بذلك فى كتابة تاريخ المغرب ؟

الحقيقة ان الكسل الفردى داء استشرى فى طائفة من الشباب والمثقفين الكهول والشيوخ ، فلا ينتظر منهم الا الانتقاد واملاء الرأى من أعلى ، فلنصرف النظر عنهم الى من براهم الاختبار من هذا الداء ، وهم زمرة قليلة من العاملين المجدين المنتجين الناجحين .

ان من هؤلاء الاستاذ الباحث المتمكن السيد ابا بكر البوخصيبى ، الذى لم يشغله عمله فى التفتيش

بوزارة التعليم ، عن الاسهام بنصيبه فى الدراسات التاريخية والادبية بهمة ونشاط ، واتحافنـا بنتيجـة اجتهاده وزبدة انتاجه . وها هو ذا باكورة عمله يطالعنا به فى كتابه **(اضواء على ابن يجبش التازى)** ، انـه ترجمة لهذه الشخصية المغمورة ، تكادُ تكون كاملة ، اخرجها الكاتب من العدم ، واستعمل فيها مؤهلاته العديدة ، من ثقافة ادبية اصيلة ، ونظر مقارن موفق ، وفكر متمعن غواص ، فاخضع لها هذه المعلومات القليلة المنتشرة هنا وهناك ، عن شخصيته المدروسة ، وسوى منها ترجمة هذا العالم الجليل ، التى كان يكتنفها غير قليل من الغموض ، واصبحت بجده المشكور ، واضحة المعالم ، مجلوة على منصة التعريف ، ومع ذلك فقد سمى كتابه هذا **(اضواء على ابن يجبش)** ، وكنت اود لو سماه اضواء على حياة ابن يجبش ؟ . .

ومن تحقيقاته فيه ، انه ضبط اسم مترجمه الذى تخبط فيه الكتاب والمترجمون له مدى خمسة قرون ، فهو عند الشيخ احمد بابا ابن بحبش ، بباء موحدة ، فحاء مهملة ، وباء ثانية ، وهو عند ابن عسكر يحبش بياء مثناة ، فحاء مهملة ، فباء ، سواء فى النسخة المطبوعة او فى مخطوطة عندنا مظنون بها الصحة ، لانها مرت بيد غير واحد من العلماء ، وكذا هو ايضا عند ابن القاضى فى الدرة ، والناصرى فى الاستقصا ، ودع عنك المحدثين والمعاصرين من الكتاب ، فى حين ان ما حققه المؤلف مستندا الى وثائق خطية من بلـد المترجم ، فيها ظهائر ملوكية وغيرها ، هو انه (يجبش) بجيم مشددة مفتوحة ، بين ياء مثناة وباء موحدة ، وقد كنت رايته هكذا اى بجيم من غير ضبط فى احد التقاييد، فظننته تصحيفا نظرا لتمالؤ المصادر على جعله بالحاء المهملة ، واذا التصحيف فى هذه المصادر لا فى ذلك التقييد.

والى جانب آثار المترجم الادبية ، كمعارضتـه لمنفرجة ابن النحوى مع تحليلها والموازنة بينها وبين هذه ، اثبت المؤلف فى كتابه تاليف ابن يجبش فى الجهاد والحظ عليه بنصه الكامل ، وقارن بينه وبين كتابى ابن الخطيب ، وابن عاصم فى الموضوع ، مقارنة لم يحد فيها عن الصواب من ترجيح كتاب ابن يجبش مضمونا وتفوق كتابى ابن الخطيب وابن عاصم عليه شكلا ، وهذا امر لا ريب فيه ، فابن يجبش مع تعاطيه للكتابة ونظمه للشعر لم يكن يصدر عن طبع ادبـى مرهف كصاحبيه ، وهذا ما اكده المؤلف ونوافقه عليه ، وان كان فى بعض الاحيان ينساه فيبالغ فى تقرير كلامه بما لا يوجد فيه ، لحد انه تمنى لو احرق المسجد الاقصى قديما او تأخر عهد ابن يجبش الى حين احراقه ، ليكون قوله فيه ابلـغ .

والاحظ على المؤلف كتابته (مـن ما) بغير الاصطلاح المعمول به وهو الادغام ، وقوله فى كتاب المقتبس(1) فى اخبـار المغرب وفاس والاندلس (بفتح اللام) ، فان ذلك لا يصح ، وتخالف السجعتين فى اسماء الكتب معهودا كثيرا . على أن ضبط المؤلف لكثير من الالفاظ وحسـه الرقيـق بانكسار الوزن فى الشعر ، يجعل مثل هذه الهنوات من نوادر الهفوات، التى قلما يخلص منها مؤلف ، او لا تمر على مصنف ، وانى أهنئه بكتابه هذا ، بل اهنىء المكتبة المغربيـة بظفرها بهذا الاثر النفيس، والباحثين المغاربة بباحث من هذا الطـراز ، ينضم الى صفوفهم ، ويعزز جهودهم فى نفض الغبار عن مآثر الاجداد ، ومفاخر البلاد ، واسأل الله أن يديم له التوفيق والسداد .

عبد الله كنـون

(1) المقتبس (بفتح اللام) انظر دليل مؤرخ المغرب ج 1 ص 59 .



التجديد سمة صحة وسلامة طالما لازم تطورات الامة ، ولا ينمو النزوع الى التجديد الا فى جو تسوده الحرية ليتاح التعبير عن الراى ولا يتهيأ هذا الجو الا اذا كانت شؤون الامة موكولة اليها لتشرف على تسييرها بهذا الاسلوب أو بذاك .

واذا كانت أمة فى حاجة الى تجديد تفكيرها لتبدأ عند ذاك بتجديد اسلوب حياتها على جميع المستويات فهى الامة العربية المسلمة لانها ذات ثروة حضارية غنية بالفكر ، وذات رسالة خالدة اسدت للانسان الكثير من الخير ، ولا تزال هذه الرسالة مستعدة للعطاء من جديد رغم الانجازات العظيمة التى تمت فى ميدان العلوم والتقنيات والتحولات الخطيرة التى طرات على الشعوب والامم ، وغيرت كثيرا من مفاهيمها عن الكون والحياة والانسان ، وتكونت فلسفات كثيرة وحدثت ثورات جبارة كان لبعضها اكبر التاثير على سير الانسانية ، ومع ذلك فالرسالة الاسلامية صامدة لا تقبل أن تكون فى موقف الدفاع السلبى وانما هى تتقدم دائما متحدية خلال تاريخنا الحديث مما يفزع كثيرا من المراقبين الراصدين لسيرها كما يتبين ذلك فى كثير من الدراسات والابحاث والتقارير عنها منذ وعى اعداؤها مدى ما تملكه من قوى فكرية وبشرية ومادية !! .

ومن مظاهر حيوية هذه الامة انها من حين لآخر تنبت من صميم تربتها رجالا افذاذا فى مجال الفكرة والسلام : دعاة تجديد أو قادة مقاومة حتى فى عصر الجفاف والعقم والتدهور ! وفى العصر الحاضر يبرز كثير من دعاة التجديد ولكل منهم ظروفه ومناخه وثقافته ومزاجه مما كان له اثر فى تنويع مدارس التجديد ، ومذاهبه الا ان احدا منهم لم يخرج عن الفكرة الاصيلة وهى وجوب الانطلاق من الاسلام كمنبع لحضارتنا وتطورنا وما نأمله من تقدم ومعاصرة بما يناسب ماضينا العظيم .

ولعل من ابسط ما يجب ان يتحقق فى الداعى الى التجديد :

أولا : ايمان بدين الامة وعقيدتها .

ثانيا : معرفة واسعة بفكرها وماضيها وتاريخها .

ثالثا : استعداد فكرى يؤهله للمقارنة والاستشراف والاستنباط والاستنتاج والابداع بالاضافة الى وعيه العميق بمصره وعصره .

فالتجديد ليس نزوات طائش ولا فقاقيع هوى ولا فرقعات مغامر ولا عمليات ترقيع او افكار

تبريرية بدافع عقدة نقص او محاولات جريئة للفت الانظار وتخطى المراحل نحو الزعامة الفكرية أو الادبية او السياسية .

ان الكثير مما وقع فى هذا المجال خلال هذا القرن كان من تلك الانواع ، وبخاصة من أولئك المفكرين الذين بعثوا الى الخارج ليعودوا الى بلادهم معجبين ببلاد الغرب وعازمين على التجديد والدعوة الى اللحاق بالحضارة على النمط الاوربى وقد ادرك بعضهم ، بعد فوات الاوان انه كان من الدعاة لفكر مستلب مستغربا من بساطة طلابه ومريديه وتحمسهم لفكرته التى لم يكن هو مقتنعا بها . ولئن صحا هذا البعض من الغفوة الكابوسية فان البعض الآخر لا يزال فى المتاهات المحكمة يتخبط فى توتراته ! ! ومهما يكن من شىء فان ظاهرة القلق لمحاولة المراجعة والتمحيص تطفو أحيانا فى ظروف تمتاز بالتقلب والرجة والمفاجاة وتغيير الاوضاع تغييرا ماديا ومعنويا تنعكس فى حياة بعض «المفكرين» ومن ثم على تفكيرهم · وهناك نماذج من المفكرين حاولوا استدراك ما بدر منهم من تفكير ، واعلنوا بكل صراحة وصدق ووضوح انهم كانوا يفكرون بفكر أجنبى عند ما تصدوا لعلاج مشاكل امتهم وادركوا انهم انتجوا افكارا متناقضة ورغم ذلك فهم لا يزالون مصرين على التفكير فى مشاكل امتهم وتقديم الحلول لتخلفها ولهم الحق فى ذلك بل انه واجبهم . ومن هؤلاء المفكر المصرى الدكتور زكى نجيب محمود الاستاذ الجامعى الكبير وصاحب المؤلفات العديدة ، ومن هذه المؤلفات كتابه : « تجديد الفكر العربى » وفى هذا الكتاب يستعرض الكاتب ما كان يعانيه من اضطراب شديد حيث تسلطت عليه حيرة تنازعته فى منتصف طريقه الفكرية الذى يسير فيه منذ عدة سنوات ولكن عقله الفلسفى لم يستطع ان يجد جوابا لسؤال ملح وهو كيف يمكن للعالم العربى ان يجمع بين التراث والمعاصرة ؟ وقد تطور موقفه من هذا السؤال منذ تعرض له واعترضه من أمد بعيد ·

ولكنه كان كما قال « من المتعجلين الذين يسارعون بجواب قبل ان يفحصوه ويمحصوه ليزيلوا ما يتناقص من عناصر » وانطلاقا من هذه العجلة والتعجل ارتمى فى أحضان تعصب شديد طالما اخفى عنه الحقائق مما اوقعه فى وهم صور له انه وقع على الحقيقة واكتشف الجواب يقول : « فبدات بتعصب شديد لاجابة تقول : انه لا امل فى حياة فكرية معاصرة الا اذا بترنا التراث بترا وعشنا مع من يعيشون فى عصرنا علما وحضارة ووجهة نظر الى الانسان والعالم ، بل انى تمنيت عندئذ ان ناكل كما ياكلون ونجد كما يجدون ونلعب كما يلعبون ونكتب من اليسار الى اليمين كما يكتبون على ظن منى انذاك ان الحضارة وحدة لا تتجزأ فاما ان نقبلها من اصحابها — واصحابها اليوم هم ابناء اوربا وامريكا بلا نزاع — واما ان نرفضها ، وليس فى الامر خيار بحيث ننتقى جانبا كما دعا الداعون الى اعتدال »
ويفصح عن الدافع الخفى لهذا التعصب وهو :

المامه بالثقافة الغربية وجهله جهلا يكاد يكون تاما بالتراث العربى · ويقول السيد الدكتور « **الناس اعداء لما جهلوا** » .

ثم بعد ذلك تغير موقفه ولكن هذا التغيير لم يكن تغيرا جذريا يتسم بسمة الريادة الواعية ولم يكن نتيجة لمراجعة مبدأ المنطلق ولكن الظروف الخارجية تغيرت نظرات على المناخ القومى والسياسى مظاهر جديدة غيرت الثقافة او حورتها وقد اصاب ذلك التغيير فلسفة الكاتب الكبير .

وهكذا اندفع فى تطرف وتعصب لفكرة جديدة مناقضة للتى آمن بها سابقا ايمان تعصب ، وقد باح لنا بذات نفسه بكل صدق وعفوية وامانة عند ما قال بصريح العبارة (13) ·

« ثم تغيرت وقفتى مع تطور الحركة القومية فما دام عدونا الالد هو نفسه صاحب الحضارة التى توصف بانها معاصرة فلا مناص من نبذه ونبذها معا ».

واندفع هكذا دون تمحيص أو تفكير يعتمد منهجية علمية ، يدعو مع الداعين الى ثقافة غربية خالصة ، ولكنه كان ازاء هذه النظرة المتعاطف معها « بلا حول » لانه لم يكن هنا ايضا على الملم بالتراث . يقول :

« فلا انا قد اتيحت لى ايام الدرس فرصة كافية للالمام بقسط موفور من تلك الثقافة العربية الخالصة — اللهم الا النزر اليسير الذى كان يتلقاه التلميذ فى المدارس المدنية — ولا انا استطيع ان اجد الفراغ لاتوفر على الدرس من جديد » . ولكنه اخيرا اتيح له فراغ ومكتبة عربية وكان ذلك السؤال لا يزال يلاحق فكره ويلح عليه الحاحا قويا وحينذاك سهل عليه ان يحسب بان الحل هو فى وجود تركيبة عضوية يمتزج

فيها تراثنا مع عناصر العصر الراهن الذى نعيش فيه ولكن « الكيف » هو الذى حيره وقد حاول مرارا ان يتصور هذا الكيف وتقاذفه الامل والياس وكثيرا ما تخيل له انه وقع على الحل ولكن سرعان ما يفتام ويختفى وهو ويعترف بان المستمع الى محاضراته وندواته ·· والقارىء لمقالاته يجد آراءه متعارضة متناقضة لا يستق بعضها مع بعض .

وهو فى كل ذلك كان صادقا مع نفسه ومع الناس وكاد بيأس عبر رحلته الفلسفية الى درجة انه اتهم سؤاله الذى ربما كان بطبيعته لا يحتمل الجواب. وطرح مثل هذا السؤال لا ينتهى بصاحبه الا الى الفشل والحيرة كما لو حاولت الاجابة عن سؤال : كيف السبيل الى تربيع الدائرة والى تلبيث المربع ؟

ولكن الكاتب الكبير غالب يأسه واعتصم بالامل لانه تحمل مسؤولية انارة الطريق لقومه داخل الجامعة وخارجها واستطاع اخيرا أن ينتصر على وساوسه اذ فجاه وجود الحل الذى اهتدى به ولكن الحل لم يكن ايضا نتيجة اجتهاد فكرى واجهاد فلسفى اذ لم يكن الحل نابعا من تفكير الرجل وانما ورد عليه من الخارج حيث عثر عليه فى عبارة قراها نقلا عن **«هربرت ريد »** وملخص هذه العبارة أن **قيمة التراث هو فى كونه مجموعة من وسائل تقنية يمكن اخذها عن السلف لاستخدامها اليوم بجانب ما نستخدمه من وسائل حديثة واعتمادا على ذلك يبتكر الدكتور هذا الحل : ان ناخذ من الاقدمين ما نستطيع تطبيقه عمليا ونرفض كل طريقة غير ملائمة اى ما دامت الثقافة طرائق عيش فلناخذ من التراث ما ينفع فى حياتنا ولنترك ما لا ينفع نفعا عمليا تطبيقيا .**

وقبل ان اثير بعض **الاسئلة حول مبدأ عثوره على هذا المفتاح اقول : ان من يقرأ كلام الفيلسوف الكبير يجد أن الرجل يحاور مستوى فكريا بسيطا يناقش فى** بعض الافكار التى تعتبر من البداهة بمكان وهو يتوتر ويسترسل وياخذ حذره · على كل فانى اود هنا أن اثير بعض الاسئلة التى يثيرها كل من يقرأ كلام الدكتور وله المام بالثقافة · ما هذا التراث ؟ وهل تراث المسجد هو تراث الكنيسة ؟ ثم ما هى طبيعة المشاكل التى نتخبط فيها ؟ وهل المفتاح الذى وجده عند «ريد» قادر على حل هذه المشاكل ؟ اليس من واجب الفيلسوف ان يكون حذرا وان يشك قبل ان يقبل او يرفض ؟ وان

يفحص كل المقترحات المطروحة فحصا دقيقا فى اطار من شروط معينة يقتضيها الموضوع ؟

ان التسرع فى العثور على المفاتيح تحت ضغط بعض الدوافع يقينا انها ليست نابعة من قلق فلسفى — لا يجدى فى حل المشكل ، بل ربما عقده بالنسبة للكاتب وبالنسبة للقارىء ، اما الكاتب فقد يسترسل فى هذا « الخط الذى يركن الى الاسهل الايسر » معتقدا انه الخط السليم فيبنى على ذلك ويستنتج ويقيس وربما كون **نظرية شاملة** ذات بناء متكامل فى حين انها مؤسسة على رمال معرضة لعواصف الحقيقة وأمواج التجربة . وأما القارىء وبخاصة ذلك النموذج الشائع عندنا فيتلقف الفكرة ظانا انه وقع على الحل فيروح ويغدو ويشيع الخطأ ويدعو « للجهل » وقد يكتب هو ايضا فى الموضوع مرقعا ذلك ببعض اللقيط من الافكار السائدة والسقيط من الثقافات الرخيصة !! (وهى السلعة الرائجة الآن) .

لعلنا نتفق ان التصدى لعلاج مشاكل مجتمع ما يخضع لشروط موضوعية بدونها يصبح العلاج ضربا من تعقيد المرض واستفحاله . وربما القضاء على المريض باسهل وسيلة واقرب طريق . وقد توفرت شروط مهمة فى الدكتور نجيب محمود فهو رجل عميق الفكر واسع الاطلاع على الثقافة الغربية مخلص وشجاع وقد لمست فيه هذه الصفات من خلال قراءتى لكتابه ولم يكذب الخبر الخبر والفكر الرؤية والاتصال عند ما سعدت بلقائه وحاورته فى جلسة طويلة وكشفت له عن رايى فى كتابه المذكور فكان مثال العالم المتواضع المنصف ، ولكن رغم ذلك فهناك شرط اساسى يعوز كاتبنا الكبير وهو الالمام بتراث هذا المجتمع وثقافته الاصيلة وقد كفانا هو نفسه عناء استنتاج ذلك فى المقدمة لهذا الكتاب فى اعتراف صريح مخلص واستسمح القارىء الكريم بأن انقل اليه معظم اعتراف الدكتور لما فيه من فائدة جليلة وتنبيه خطير بل وتعرية **كاشفة** لصنف من المثقفين الذين هم دون الدكتور **نجيب علما** ومعرفة وفكرا بل واخلاصا وموضوعية **انبروا بكل** جراة للخوض فى مشاكل امتهم وهم **يجهلون هذه الامة** وادلوا بآراء فى ثقافتها وهم ابعد الناس عن **معرفة** ابسط عناصرها ومبادئها ولذلك تراهم **يتخبطون فى** العلاج نظرا لاضطراب فى تصوراتهم **ومنطلقاتهم وان** كانوا لم يدخروا وسعا فى الاغتراف من قاموس **الثلب**

يل من امتهم والتنقيص من قيمتها مع الاشادة
بضارة الغرب وفضل الغرب وعظمة الغرب !!!

يقول الدكتور نجيب محمود معترفا بقصور
معرفته بالتراث « ولم تكن قد اتيحت لكاتب هذه
الصفحات فى معظم اعوامه الماضية فرصة طويلة
الامد ، تمكنه من مطالعة صحائف تراثنا العربى على
مهل ، فهو واحد من الوف المثقفين العرب
الذين فتحت عيونهم على فكر اوربى قديم او جديد حتى
سبقت الى خواطرهم ظنون بان ذلك هو الفكر
الانسانى الذى لا فكر سواه لان عيونهم لم تفتح على
غيره لتراه ولبثت هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات
اعواما بعد اعوام : الفكر الاوربى دراسته وهو طالب
والفكر الاوربى تدريسه وهو استاذ والفكر الاوربى
تسلاته كلما اراد التسلية فى اوقات الفراغ وكانت
اسماء الاعلام والمذاهب فى التراث العربى لا تجيئه
الا اصداء مفككة متناثرة كالاشباح الغامضة » .

ثم يقول : « استيقظ صاحبنا ـ كاتب هذه
الصفحات بعد أن فات اوانه او اوشك فاذا هو يحس
حيرة تؤرقه فطفق فى بضعة الاعوام الاخيرة التى
. لا تزيد على السبعة او الثمانية يزدرد تراث آبائه
ازدراد العجلان كانه سائح مر بمدينة باريس وليس
بين يديه الا يومان ولا بد له خلالهما ان يريح ضميره
بزيارة اللوفر فراح يعدو من غرفة الى غرفة يلقى
النظرات العجلى هنا وهناك ليكتمل له شىء من الزاد
قبل الرحيل هكذا اخذ صاحبنا ـ وما يزال يعب
صحائف التراث عبا مريعا والسؤال ملء سمعه
وبصره : كيف السبيل الى ثقافة موحدة متسقة يعيشها
مثقف حى فى عصرنا هذا بحيث يندمج فيها المنقول
والاصيل فى نظرة واحدة » .

اذن فصاحبنا الدكتور زكى كان منغمسا فى جو
الثقافة الغربية طالبا ومدرسا ومتسليا لم تصله من
الثقافة العربية الا اصداء مفككة متناثرة كالاشباح
الغامضة وعند ما استيقظ للتعرف على التراث كان
ان ذلك قد فات او اوشك .

المامه بالتراث بعد ذلك كان كالمام سائح مر
بمدينة باريز وليس له الا يومان وكان عليه ان يلم
بمقتنيات اللوفر فراح يعدو من غرفة الى غرفة مكتفيا
بالقاء النظرات ولكن النظرات العجلى .

وبناء على ذلك احب ان اضع سؤالا يفرض
نفسه بنفسه هو :

هل العدو خلال يومين من غرفة الى غرفة داخل
متحف «اللوفر» العظيم والقاء النظرات العجلى على
تحفه وروائعه تؤهل المهرول الجديد لمعرفة دقائق
تلك اللوحات الروائع وتقديم فكرة سليمة عنها جميعا
او على الاقل عن واحدة منها ثم انتقاد فن اصحابها
واخيرا اقتراح افكار تجديدية فى ادارة ذلك الفن هذا
مع ان وجه الشبه بين اللوفر والحضارة الاسلامية
بعيد كل البعد عن الحقيقة ، فالحضارة العربية
الاسلامية عالم عظيم مترامى الآفاق سحيق الاغوار
متشعب المسالك ضارب فى أعماق التاريخ له من الانتاج
الفكرى والحضارى ما يزرى بحضارات عظمى بله
متحفا كاللوفر .

ان الدكتور الفاضل نراه يعترف بكل شجاعة
وبراءة عن مكانته فى معرفة التراث وقد كان اكثر
صراحة عند ما حاورته فى هذا الامر ايام لقاءنا فى
فرصة ثقافية وقد ازددت اعجابا بالرجل واتساع عقله
وشدة غيرته على امته وحرصه على الاسهام فى تقويمها
واخراجها من دائرة التخلف ولكن هذا الاخلاص وحده
لا يسوغ لاى واحد ان يجدد هذا الفكر والا لاستباح
كل الناس لانفسهم أن يصبحوا دعاة تجديد كما وقع
بالفعل بالنسبة لبعض من يجهل ثقافة امته وحضارتها
ومع ذلك هاجم هذه الثقافة وازرى بهذه الحضارة
واعلن بصوت جهورى الا تقدم لنا الا بتبنى تجارب
الآخرين وركوب طريقهم واختصار تصوراتهم وليس
غريبا ان يجد هذا الصنف وسطا مناسبا ومناخا
خصبا للتجارب مع افكاره لتشابه الشروط وتوافق
المشارب الثقافية !!!

وقد واجهت استاذنا الجليل ببعض ما اعلق به
على كتابه هذا وبانصاف العالم وتواضع المثقف
وافقنى على ملاحظتى . ومما قلت له هناك : ان
اكتشافه لكتاب « العقد » لابن عبد ربه واعجابه بما
ورد فيه عن العلم وقوله « لقد اشتملت مجموعة
الاقوال التى اوردها بن عبد ربه عن العلم والعلماء
ـ على قلة صفحاتها ـ خطوطا رئيسية تصلح ان
تكون دستورا للحياة العلمية كلها منهجا ومعيارا
(339 ـ 340) ـ هو امر ليس اكتشافا للكتاب بقدر
ما هو اكتشاف نفسه بالنسبة لما لا يعرفه من التراث

ثم ان ذلك يبين اولا أن اطلاعه على هذا الكتاب جاء متأخرا جدا ذلك انه كان معروفا ومتداولا بين المثقفين قبل أن توجد الطباعة وقد طبع الكتاب فى مصر منذ مدة كما درس هو وصاحبه من قبل عدة بحاث بمصر ولبنان والمغرب وغيرها وهذه القطعة يعرفها تلاميذ المدارس لانها من مختارات الكتب المدرسية ، ثم ان ما غاب على سيادة الدكتور فى هذا المجال كثير وكثير جدا مما يصلح أن يكون دستورا للحياة العلمية كلها منهجا ومعيارا .

ومهما يكن من شيء ، فلو أن الدكتور اطلع على العلم الاسلامى والتراث العربى الذى اعجب به من مؤلفات قليلة اتيح له ان يطلع عليها لتغير كثير من نظراته واعتدلت بعض احكامه القاسية .

ان كتابات الدكتور فى تجديد الفكر العربى ليس سوى لقطات وانطباعات سريعة وربما تكون هناك اندفاعات ناتجة عن انفعالات حادة المس من خلالها ان ثمة عراكا عنيفا وخصومات شديدة تكمن وراء تلك الافكار التى اعترف هو نفسه انها تتناقض ، ومما يكشف عن التسرع واصدار الاحكام بناء على نظرة مسبقة ما وقع فيه الدكتور من اخطاء فى فهم بعض الاساليب العربية ، مما جعله يصوب الخطأ ويخطىء الصواب وقد اثار ذلك الكاتب الكبير الاستاذ محمود شاكر فى تعليقه على بعض مواقف الدكتور زكى وافكاره (مجلة الكاتب ص 13 — 36 السنة الخامسة عشرة العدد 170 مايو 1975) :

« وبعد : فان العرب عرفوا منذ مطلع هذا القرن بالسفه المالى اذ تصرفوا فى ثرواتهم تصرف الطائشين فبددوها فى التفاهات ووجوه الانفاق الاستهلاكية الكمالية بل والاسراف فى الترف والتبذير وهم كذلك ايضا فى ميدان الفكر ، فهذه الطاقة الهائلة التى منحهم الله اياها سخروها — الا اقلهم — فى ابداع المذاهب لتمزيق هذه الامة وجعلها طرائق قددا ودفعها الى التطاحن والتقاتل والصراع الداخلى دفاعا عن شعارات فارغة المحتوى وانتصارا لنزعات منحرفة خطيرة وان لبست ألمع ملابس العصر وصبغت وجهها بأحدث صبغات القوم » .

ولعل بعض سفهاء المال قد تنبهوا اخيرا بعض التنبه الى ما ارتكب أسلافهم فى حق أمتهم من تبذير لثروة المسلمين فمتى ينتبه بعض سفهاء الفكر الى ما ضيع « أسلافهم » وضيعوا هم على امتهم من امكانيات عظيمة للتقدم والتخلص من هذا التخلف المخيف ، فيعملوا على تجديد هذه الامة انطلاقا من روحها وتراثها الحقيقى وحضارتها الاصيلة ؟ ومن المؤسف أن كثيرا من كتابنا ومفكرينا لا يصحون من غفوتهم ولا يتنبهون الى ما ضيعوا على امتهم الا بعد فوات الاوان وبعد أن يكون عطاؤهم الفكرى والحركى قد تبدد اكثره فى مجالات هدامة او سلبية او مضطربة كما يعترفون هم بذلك عند ما يتخلصون من المتاهة والتيه .

فاس — د . عبد السلام الهراس

ثورة توقظ الوجود

للأستاذ الشاعر

عبد الرحمن الدكالي

القى الشاعر الاستاذ عبد الرحمان الدكالى هذه القصيدة بين يدى صاحب الجلالة نصره الله فى رحاب مسجد حسان بمناسبة الذكرى الاولى للمسيرة الخضراء المظفرة ، وقد عبر فيها عن مشاعر الشعب المغربى وهو يحتفل بمرور سنة على مسيرة القرن ، ومسيرة الفتح المباركة .

هى فى الغيب فكرة ورجاء … كتبتها كما تريد السماء

كيف كانت تخيلا وافتراضا … كيف صارت بنورها يستضاء

اهو السر سر ربك فيها … اهو الراى والنهى والذكاء

امة كلها امتثال لامر … يتبارى رجالها والنساء

سمعت فى المساء خير نداء … فالمسا مائج به ، وضاء

لا وعيد لا صولة لا انتقام … لا سيوف لا غزوة لا دماء

انما هى والكتاب امام … فى انتظام « مسيرة خضراء »

برزت للوجود زحفا خطيرا … ما تولى طباعها الخيلاء

كبر الله كل فرد ونادى … : انا قصدى وغايتى الصحراء

كل شبر منها بالف شباب … فى سبيل استقلالها شهداء

ثورة توقظ الوجود اندهاشا … وهضاب ماجت بها البيداء

ما الذى خلفها ولا يعرف عنها … جل فيها الاظهار والاخفاء

فالى الله هجرة نيل منها … كل قصد وضمت الاجزاء

اى شىء ابهى واجمل رؤيا … من مئات الالوف وهى سواء

اى شىء يارب اعظم ممن … وقفوا كلهم اليك التجاء

كبروا للصلاة فاهتزت الار … ض والسما واستجيب الدعاء

واذا قبلوا الرمال اشتياقا … فهم اليوم فوقها السعداء

ها هو الحق قد علا باتصال … ها هو الباطل الزهوق هباء

لا انفصام بعد اللقا لا فروق … لا شقاق يجد منه شقاء

امة حرة وشعب كريم … مستقل ودولة علياء

* *

كل هذا بناء أعظم ملك   حبذا الملك اصله والبناء
شيد ما لم يشد زمان ولا انـ   ـشأ عصر ولا بنى بناء
حسن الشعب يا ابن خير رسول   لك من ربك العظيم الجزاء
هيبة الله اينما سرت سارت   فى ركاب تجله العظماء
ويد الله مدها لك فاهنأ   فلك العرش عاليا والرداء
هى اعمالك العظيمة تتلى   بجميع اللغات وهى الثناء
ملك ما رأى له الدهر ندا   اين منه الامثال والنظراء
سوف يرضى محمد سيد الكو   ن وترضى وتفخر الزهراء
طالما قامت الخلافة فيكم   فاطمأنت فأنتم الخلفاء
فيكم شيمة الرسول ومنكم   دولة الله ساسها الحكماء

* *

فاعذر الحاسدين مولاى انهم   كل دعواهم خنى وافتراء
ما الذى يبتغى عدو لذوذ   وفريق فى ارضهم غرباء
ركبوا الطيش والهوى واستبدوا   وهم فى الجزائر الاقوياء
زعموا انهم حماة نظام   سلطته الارادة العمياء
وطن كله جياع وضعف   وانين ومحنة وشقاء
كم ايامى يبكين فقد رجال   ويتامى صباحهن مساء
اى شعب قد استقل سيرضى   ان يداس استقلاله ويساء
هذه الحال بؤس وجور   بعدها النصر لامع وضاء
ما تناهى الفساد فى تلكم الار   ض وساءت الاوجاء اعتداء
انما ينكر الحقيقة غر   او لئيم او حاسد مستاء
رب رحماك بالجزائر تحيى   فى اضطهاد وساءها العملاء
رب رحماك بالجزائر تشقى   لا يوافى جفونها الاغفاء
اصبرى امة الجزائر حتى   يمحو الليل ذاك الضياء
اشهد الله يا جزائر انا   واياكم على العهود سواء

* *

يا لواء التوحيد والحق والعد   ل الذى نوره به يستضاء
انت بالله ما حييت قوى   بك نالت مرادها الصحراء
لن ينال العدو حبة رمل   فلذات الاكباد هى الفداء
بيديك القلوب مكنك اللـ   ـه بها فلتسر بها ما تشاء
مغرب كله سلام وامن   ونهوض ووحدة وصفاء
بلد كله نعيم مقيم   ضافى الظل والحياة رخاء
رفع الله صرحه وبناه   عز من قد بنى وعز البناء

* *

ايها الشعب انت احفظ للعهـ   ـد لمن فيه للرعايا رجاء
طاعة الله ان نكون جميعا   حول عرش تحفه الاسماء
واذا قيل ما مفاخر شعب   قيل منها اخلاصنا والولاء
ها هو الشعب كله جاء يحيى   غزوة الفتح حين جل النداء
ها هو الشعب قوة واتحاد   وحشود ضاقت بها الارجاء
ان تردهم للحرب كانوا اسودا   لم تزلزل اقدامهم باساء

او تـردهم لسلـم جاءوا كراما ... وبمـا ينتهـى اليـه العـلاء
وقفـوا كلهـم امـام ضـريـح ... فـى حمـاه الآيـات والآلاء
واستعـادوا ذكرى وايـة ذكرى ... وتعـالى تكبيـرهـم والدعـاء
فعلـى المـاهـل العظيم سـلام ... واعتـراف بفضلـه وثنـاء
ليس ينسى وان تقادم عهـد ... من لـه المجـد والعلى والعـلاء
كيف ينسى « محمـد » يحمل الكـ ... ـل واهـل الحمـايـة السفهـاء
يوثـر النفـى كـى يحرر شعبـا ... ويضحـى لاجلـه ويسـاء

* *

بطـل الدهـر قـل لـربك انـا ... بسعيـد مـن فضلـه سعـداء
بارك اللـه يا « محمـد » ملكـا ... كـل يـوم لـه يـد بيضـاء
فيـه ، عزنـا المـؤيد دومـا ... وبـه سـاد فى الصحـارى اللواء
ولـه وقفـة علـى كـل ارض ... وعلـى كـل شاطـىء ارسـاء
ولـه الحب خالصا مـن رعـاياه ... وكـل الهـوى لـه والوفـاء

* *

حسـن الشعب اى يـوم كهـذا ... جـد فيـه الـرضى وجـد اللقـاء
زادك اللـه مـا اردت لشعـب ... تتـوالـى بأرضـه النعمـاء
ثبت اللـه كـل غـرس وابقـى ... ولـى العهـد خلفـه الامـراء
والامير « الرشيـد » فى العز تنمو ... اسـرة الملـك حـولهـا العلمـاء
يـا حبيب القلـوب عفوا اذا مـا ... خاننـى الشعـر بـزنى الشعراء
ان ديـوانـى الكبيـر سجـل ... كتبتـه المـواقـف الشمـاء

انه لا يوجد قاموس واحد يتفق مع القواميس الاخرى فى تعريف الاشتراكية ، ان اشتراكية بعض الناس انهم يفقرون الغنى ، وانا اشتراكيتى اننى اغنـى الفقيـر .

جلالة الملك الحسن الثانى



قصائد من ديوان المسيرة

للأستاذ الشاعر

وجيه فهمي صلاح

عاش الشاعر الاستاذ وجيه فهمى صلاح مع المسيرة الخضراء بعقله ووجدانه وجادت قريحته الفياضة بأروع القصائد التى واكب بها خطوات المسيرة مرحلة بعد مرحلة .

وقد خص الشاعر وجيه فهمى صلاح مجلة دعوة الحق بباقة مختارة من ديوانه المخطوط عن المسيرة الخضراء تعبر فى صدق وحرارة وعفوية عن تجاوب عميق مع القرار التاريخى العظيم الذى اعلن عنه قائد الامة ورائد المسيرة الخضراء صاحب الجلالة الملك الحسن الثانى نصره الله .

طلائع النصر

طلائع النصر هبت من مرابعنا ... يحثها لبلوغ القصد ايمان

قد كبرت باسم رب الناس وانطلقت ... جموعها من حماة المجد فرسان

الى العيون حنين دافق عرم ... والوجد محتدم والشوق نيران

مشت تغنى نشيد النصر صادقة ... مسيرة فى جبين الدهر عنوان

كلنا عقبة

نحن كالامس يارمال رجال ... كلنا عقبة وطارق ابن زياد

كلنا نفتدى العيون لتبقى ... قرة العين حب كل فؤاد

منك هبت سمر الرجال لتبنى ... فوق هام المدا صروح بلادى

نفحة الرسول

انفحة من رسول الله عاطرة ... ام ريحة من سماء الله سمحاء

سرت فأينعت الصحراء وانتعشت ... كأن خطوك فى الصحراء انداء

مسيرة هتفت كل القلوب لها ... على محجتنا البيضاء خضراء

باسم الحق

صف الكرامة باسم الحق مجتمع على المسيرة من قاص ومن داني
والمؤمنون أتوا من كل ناحية مؤيدين الخطى فى ركب فرسان
والكل اجمع انا للعيون اب الا الذى زاغ عن هدى وايمان
سيصفع الحق افاكا ومعتديا لا يرتدى الحق يوما ثوب بهتان

بوركت ياشعب

بوركت ياشعب هذا المغرب البطل بوركت فى ساحة الاخلاص والعمل
غنت وفاءك ارض قد علقت بها وكل شعب ابى صادق بطل
واكبر الهمة القعساء عاهلنا فى حشدك الحر حشد النصر والامل
تخذ مسيرتك الخضراء متجها صوب العيون لتلق الحب فى المقل

الله اكبر

الله اكبر تعلو فى قوافلنا وملء ارواحنا عزم وايمان
شعب ابى وملك ماجد بطل يحدوهما لبلوغ القصد قرآن
سلم اذا السلم حيانا ببسمته فى الوغى نحن طول الدهر بركان

لانرد

نحن شعب شامخ الامجاد اسد ان عقدنا العزم يوما لاترد
قد مضينا للعيون اليوم نبنى ما بنى من قبلنا للعز جد
بورك العاهل يحدو للعلى شعبه والشعب للتحرير جند

وانطلقنا

انطلقنا فى نظام رائع ملهم الخطوة قدسى الرنين
جلجلت فى جوه اصواتنا نشيد الفوز والفتح المبين
واقتحمنا كل خط زائف وكسرنا حدود الغاصبين
ودخلنا بسلام ارضنا وانتصرنا رغم انف الحاسدين
فسجدنا فوق رمل طاهر نرفع الشكر لرب العالمين
هكذا العاهل اوصى شعبه حينما اطلق ركب الزاحفين

سيف القانون

لن يوقف زحفك ياوطنى حساد او مجلس امن
مادمت عزيزا بالحسن سيف القانون اب السنن
انا نختال على الزمن بمليك يعصف بالمحن
ويرود طلائع امتنا لنصون ترابك ياوطنى

من وحي ذكرى 18 نوفمبر

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

لقد كتب الله العزيز لنا النصر ... وقد طفحت كل المحافل بالبشرى
وقد اشرق العيد السعيد بشمسه ... وكان تمينا أن تقام له الذكرى
يهش له المخبوء فى بطن امه ... وفى جوه ما يسكر الكأس والخمرا
تراءت به الآمال وهى فسيحة ... فنقطفها زهرا ، وننشرها عطرا
الا ايها العيد السعيد تحية ... ارتلها لحنا ، وانشدها شعرا

* *

نقدم للشهم الحبيب حليينا ... ونهدى له فى اوج فرحتنا التمرا
نما زال وردا عاطرا متفتحا ... ولو كان يلقى حوله الشوك والسدرا
له السعد ياتى طائعا بجنوده ... وفى وجهه جيش المكاره قد فرا
وكم من غيور جاد طوعا بروحه ... ولكن دم الابطال لم اره بطرا
اذا بيت الطاغون شرا فانهم ... نسوا أن رب الحق يمنحنا الخيرا
لقد حفروا للحق بئرا عميقة ... ولكن لقد خاب الذى باشر الحفرا
لئن كان فى الصديق (يوسف) عبرة ... نقد ادرك العليا ، وان سكن البئرا
لقد لعبوا فى كل ذلك دورهم ... ولكن ارى الاقدار قد لعبت دورا
وقد مكروا ، والحق ينكر بغيهم ... وانى رايت الله اعظمهم مكرا
نهيهات أن تحيا بلاد فتية ... بغير مليك لا يطيق بها جورا
لقد عرفت فيه البطولة تاجها ... وقد زال كذب كان فى ذاته يفرى
ارى لقضاء الله حكما منفذا ... فليس الذى نحياه حلما ولا سحرا
بغار علينا الله فى رد مجدنا ... وانى رايت الله فى امرنا ادرى
هنيئا لنا بالتاج يوم رجوعه ... فأعظم به يوما ، وأحبب به شهرا !

* *

توحدت الاحرار حول امامها ... لقد فاز اذ ادى امانته جهرا
ارى العرش يزهو نخوة بمليكه ... وفى عيدنا ما يفرح العرش والقصرا
لقد كان فى منفاه يطفح عزة ... نما حاد يوما عن هداه وما افترا
وحين غدا منا المليك بنجوة ... لقد عقروا منا حشاشتنا عقرا
ونحن اباة الضيم ، نحفظ عهدنا ... ولا نرتضى فى العيش كبتا ولا قهرا

لقد كان شهما ثابتا فى جهاده ... فما غر بالاوطان لحظا وما أزرى

اراه هزبرا فى توثب عزمه ... وقد زجر الاوهام من حوله زجرا

يقاسى بصبر فائق كل شدة ... ويأخذ فى الاهوال من خصمه حذرا

لقد كان فى مسعاه شهما موفقا ... وكان أبيا لا يباع ولا يشرى

فكم ستر الاوطان والهول قائم ... وها هو ذا قد نال من ربه السترا

وقد كان فى ايمانه كل كنزه ... فما غره مال ، وما رضى الكبرا

ومن يحتقر سقط المتاع فانه ... ينال جزاء باقيا ، يفضل التبرا

ومن كان فى الدنيا وثوقا بربه ... فذاك الذى قد لا يجوع ولا يعرى

وانى لملوك لنبل فؤاده ... فمن قلبه السماح نقتبس الطهرا

فما ولدت أنثى نظير مليكنا ... ولكنه قد صار فى مجده وترا

لقد راح من بعد الرسول دليلنا ... وانى رأيت الزيغ عن أمره كفرا

توحدت الاضداد فى حضن حبه ... وفى عهده الميمون ما يبسم الثغرا

لله ما ادى لصالح شعبه ! ... ولله ما اسدى ، ولله ما اجرى !

هنيئا وقد أمسى يعلم شعبه ... ويلهمه الاحسان والحق والبرا

فيا عين يكفى ما بكيت تفجعا ... فقد كان منك الدمع منهمرا ثرا

وفى عهدك الميمون يا خير مالك ... ترجى قلوب الناس فى كسرها جبرا

شربنا من الصاب الكؤوس مليئة ... ولكن رأينا فيك ما يجبر الكسرا

وفى المغرب الاقصى من الاصل فرعه ... وانى ارى الياقوت يحتضن الدرا

لقد آن أن نحيا حياة مجيدة ... فصبرا على ما قد بلينا به صبرا

ومهما يطل سقم العليل فانه ... يفر الى الله الذى يكشف الضرا

وفى الملك الانقى دواء لدائنا ... فانى ارى الجرح الاليم به يبرا

وفى المغرب الاقصى اتحاد وقوة ... وقد كان فى الاهوال ذا مهجة حيرى

ولن يقبل التاريخ عذرا لظالم ... ولكن ارى التاريخ قد خلد الحرا

وليست حقوق الشعب نهبا لغاصب ... فان حقوق الشعب قد نالها قسرا

لقد طربت كل المشاعر ها هنا ... بعيد أتانا بحمل الرشد والبشرا

تفاءلت الدنيا ، وأينع روضها ... وصارت طيور البان من شدوها سكرى

تآخى بنو الاوطان حول مليكهم ... فها يدنا اليمنى تصافحها اليسرى

الا ايها التاريخ سجل دقائقا ... يغار لها زهر الربيع اذا افترا

وفى العيد ما يجلو قتام صدورنا ... فكم نرتجى فى ليل محنتنا فجرا

ارى الدهر بحرا فى تحول طبعه ... فطورا ترى مدا ، وطورا ترى جزرا

فلا نذكر الماضى ، ففيه شقاؤنا ... بل الزمن الآتى سيصدقنا الخبرا

ونحن غدونا وحدة وطنية ... ودون علانا اليوم قيصر أو كسرى

فيارب بارك فى البلاد وعرشها ! ... ويارب وفق فى تكتلنا السيرا :

هنيئا لنا بالعيد وهو حقيقة ... وقد كان قبل الملتقى علقما مرا

هنيئا لمن ضحوا فنالوا كرامة ... وقد بدل الرحمان عسرهمو يسرا

فلست ارى فى العيد غير حماسة ، ... وقد زانت الاوطان الوية حمرا

ترفرف بالمجد الذى نحن حصنه ... ومن بينها تبدو لنا انجم خضرا

سرى قبس الايمان فى كل مهجة ... واكدى الذى يهوى التمرد والهجرا

وانا لنفدى بالدماء بلادنا ... فلم ننس منها لا ذراعا ولا شبرا

فيا حبذا العيد السعيد وبشره ! ... ويا حبذا العهد الجديد وما اجترا

لقد صارت الاكوان تصغى لامرنا ... وتذكر بالاكبار بقعتنا الصغرى
ارى المغرب الاقصى بتوجيه عرشه ... اجل بلاد تستنير بها الغبرا
وفى المغرب الاقصى نماء وثروة ... وما زالت الاوطان فى خيرها بكرا
اذا كنت تهوى البكر ، فابذل جهازها ... فلست ارى للمجد فى كسبه سعرا
فيارب بارك فى المليك وشعبه ! ... ويارب ساعد بيننا ولده الغرا !
اذا نصر الرحمان عبدا فلا يرى ... عكوسا، ولا يشقى، ولا يحمل الضيرا
يعيش برغم الداء والهول باسما ... ويصبح فى اعلى سماواته نسرا
وللحق من فوق الجميع تصرف ... عظيم ، وجند الله لا تعرف القهرا
ووحدتنا فى الصف نحن نصونها ... ففى صفنا لا تقبل الخلف والبترا

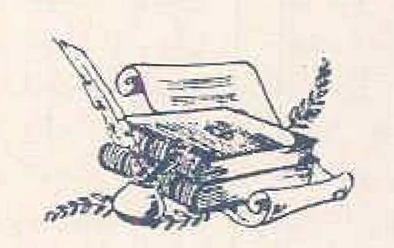
* *

كذاك المعالى لا تنال رخيصة ... فانى رايت الصبر فى طعمه صبرا
وفى (كورسيكا) قد كان روح بلادنا ... وحيدا ، وعين الله تخفره خفرا
لقد كان فى (أنتسيربى) متبتلا ... يخصص من اوقاته للدعا شطرا
وكان لنا جذرا ، وروحا ورحمة ... وهيهات أن نهدا، وقد ابعدوا الجذرا
لقد ناحت الاكباد وهى قريحة ... كما ناحت (الخنساء) حين بكت (صخرا)
لقد طال فى حال البعاد اشتياقنا ... الى طلعة المحبوب من يشغل الفكرا
لقد قال : « لا » للظلم دون تخوف ... وما كان ولى للذى يعتدى ظهرا
اذا ما اراد الشعب شيئا فانه ... يفوز بما يرجو ، وان شددوا الحظرا
تزيد الدواهى كل يوم نضالنا ... ثباتا وعزما لا نرى لهما حورا
لقد كان فى الابعاد بدء نهاية ... تزيل عن الشعب الحماية والحجرا
تنام عيون الغافلين ، وها هنا ... مليك عن الاوطان ما نام أو قرا
اتته المعالى فى انقياد لامره ... فما اغتر بالاوهام لحظا ولا سرا
يريد حقوقا كاملات ، ولم يكن ... ليقبل فى ادراكها الهدف النزرا
ارى انه تاج الملوك بحكمة ... تشرف فى الانساب عدنان او فهرا
وما زال للدنيا وللدين قبلة ... وما انفك بالاوطان مهتبلا برا
اتته وفود كى تقدم طاعة ... وتهدى ولاء للذى بذر البذرا
يسابقها الشوق العظيم لوجهه ... وانى ارى الايمان يحشرها حشرا
ومن كل صوب برقيات تحوطه ... وقد عبرت شتى البلاد له عبرا
وفى مهجة الاسلام والعرب فرحة ... ونار الاعادى منه قد زفرت زفرا
يحق لهذا الكون ان يزدهى به ... وان يجعل السلطان فى رسمه طغرى
نذرنا الى الرحمن شكرا ، وها هنا ... نوفى له فى شخص عاهلنا النذرا
وتحت ظلال العرش ، اصبح شعبنا ... قويا رفيع الجاه متحدا حرا
وللباطل المصنوع فى الناس جولة ... وللحق فى التاريخ صولته الكبرى
وفى ذمة الامجاد بهجة عيدنا ... ففى عيدنا ما ادهش الناس والعصرا
وفى (الخامس) استقرارنا وخلاصنا ... وفى سعيه المحمود ما اثلج الصدرا
وفى (الحسن الثانى) طموح وهمة ، ... وفيه للاستمرار ما يبهر الدهرا
وهذا (ولى العهد) يزكو باصله ... ويحفظ للابطال فى شخصه سرا
وفى الشمس نور ان توارى عشية ... فاشعاعها الهادى لقد غمر البدرا
(اذا مات منا سيد قام سيد) ... يخطط للاوطان مرحلة اخرى

وللعرش والشعب الوفـى تجاوب ... وفى ذمة التاريخ ما يشرح الامـرا
وقاعدة الاحرار تسمو بقمة ... وتحت ظلال العرش نحتضن النصرا

* *

امولاى يا فخر الملوك تحية ... من القلب اهديها لسدتكم نورا
ففى عهدكم تحيا البلاد سعيدة ... وفى عيدكم يبدو المعاش لنا نضرا
ارى هذه الاوطان فى ظل عرشكم ... ستزداد خيرات البلاد بها وفرا
ازف التهانى للمليك عميقة ... من القلب، والسلطان اعظم من يطرى
لقد قادنا للمجد والعز وحدة ... نشكرا على ذاك الكفاح له شكرا !
امولاى قد صارت عواطف مهجتى ... بحور ولاء منكمو زخرت زخرا
تحييكمو منى عرائس خاطرى ... فانظم فى آلائكم انجما زهرا
ومن حسناتى ان اكون خديمكم ... اصوغ من الامداح ما يخجل الدرا
اسطر للذكرى لآلىء عبقر ... وذوب فؤادى صرت اعصره عصرا
ابوح بعجزى فى اكتمال مديحكم ... وعرشكم قد عاش فى قلبنا طرا
ارى فيكمو وحيى، ونبع مشاعرى ... فنوركم الوهاج يستنهض الفكرا



مسيرة القرآن

للاستاذ :
محمد الحجوى الثعالبي

خضراء ، تنطلق المسيرة بالسلام   بالغصن فى ثغر البشير من الحمام
بالحب ، بالشوق الكبير الى اللقا   بالحق ، بالنور المبدد للظلام
بالعزم نعقده لوحدة أرضنا   بالنصر ، بالفتح المبين ، وبالوئام
فى ظل قرآن مجيد فصلت   آياته للناس من رب الانام

« رأى » العدالة جاء يثبت حقنا   يا سعدنا ، بنضالنا نلنا المرام !
صحراؤنا حقا ببيعة اهلها   جزء من الوطن الحبيب على الدوام
بعد القطيعة حان جمع شتاتنا   يا شعب ابشر وانطلق نحو الامام !
هيا الى الصحراء خلف مليكنا   رمز العلا والعزة والشهم الهمام
الرائد الاسمى زعيم مسيرة   « حسنية » بانى البطولات الجسام
الله اكبر . حصحص الحق المبيـ   ـن ، وخاب سعى الحاقدين من اللئام !
والباطل المدحور خر محطما   وهوى زهوقا فى متاهات الحمام
الله اكبر حزبه لا يغلب   والحق يعلو شامخا فوق الغمام !

يا أيها الحسن العظيم تباركت   خطوات سيرك بين اسلاف عظام
فاهنأ بنصرك واثقا مستبشرا   الله ينجح مبتغاك على التمام
يارب واهزم كيد كل معاند   واشدد بمنك ازر مولانا الامام
واكلأ بلطفك يا عزيز مسيرة   بالسلم مجراها ، و «فتح» فى الختام!



للأستاذ الشاعر

محمد الحلوي

اساء صهيون ما يجرى بلبنان ؟ ... أم سرها وهو يغلى شبه بركان ؟

ماذا دهى بلد الارز الجميل وما ... اصاب بيروت من جرح واحزان ؟

ماذا دهى بسمة الدنيا وشامتها ... ومشتهاها ، ومغنى كل فنان ؟

وموطن الشعر والابداع يرسله ... فنا وحرفا يغذى كل وجدان

وجنة الله فى الدنيا لمن قصرت ... به الخطيئة عن جنات عدنان !

ومرتع السلم والحب الذى انصهرت ... به مطامح احزاب واديان

تعايشت فى تصاف لم يدع طمعا ... فيها لباغ ولا مأوى لشيطان !

فما لوجهك يا لبنان مكتئبا ... وما لروضك امسى غير ريان ؟

اين المباهج والاضواء غامرة ... والليل شعر واسمار بلبنان ؟

اين الجمال واين الحب مترعة ... كؤسه دون ما ساق ولا حان ؟

اين السلام الذى ذاقت حلاوته ... كل القلوب وغذته بايمان ؟

ايختفى كل هذا فى مغامرة ... رعناء تهدم فيه كل بنيان ؟

شاهت رؤاه فلا لحن ولا نغم ... ولا مجالس ايناس وخلان !

الا دمارا ونارا فى خرائبه ... تاججت ، وضحايا دون اكفان !

الا سبيل الى الاصلاح غير دم ... يراق مسترخصا فى كل ميدان ؟

ما كان نيروز فيها وهو يحرقها ... بدافع الحقد الا شبه انسان !

ما اهون الخطب لو ذابت انانية ... وكان للعقل فيهم اى سلطان !

اذا تبنى قضايا الشعب سوقته الـ ... غوغاء بشر قضاياه بخسران !

هنا يلاقى بنو لبنان حتفهم ... لا فى الجنوب ولا فى خط جولان !!

يا شعب لبنان لو كنا نجاوركم ... جدنا باروحنا فى خير جيران !

نرنو اليكم وفى اكبادنا حرق ... وملء اعماقنا آهات اشجان

كفى دماء فما انتم وان خفقت ... راياتكم فوق لبنان بفرسان !

اى انتصار مرير الطعم يحرزه ... ماش اليه على اشلاء اخوان ؟

يا من تحبون لبنان اعيذكم ... بالله أن تهدموا أمجاد لبنان

ردوا السيوف الى الاغماد ان لها ... يوما سيكتب فى تاريخ لبنان !

تطوان — محمد الحلوى

● شهريات العالم الاسلامي

الندوة العالمية للشباب الاسلامي تبحث موضوع الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية

عقد فى أواخر اكتوبر الماضي بالرياض اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الاسلامي ، وقد شارك فى هذا اللقاء ممثلون عما يقارب مائة منظمة وهيئة اسلامية الى جانب ثلاثين مفكرا وباحثا اسلاميا ، وكان موضوع الندوة « **الاعلام الاسلامي والعلاقات الانسانية نظريا وتطبيقيا** » ودرست فى هذا الاطار الموضوعات التالية :

* الاعلام المعاصر ، فلسفته ، نظرياته ، ووسائله
* النظرية الاسلامية فى الاعلام والعلاقات الانسانية .
* اسباب واساليب هدم الشخصية الاسلامية فى الاعلام المعاصر .
* مسح شامل للمادة العلمية والعلماء المسلمين فى مجالات الاعلام
* الخطوات العملية العلمية فى ايصال المعلومات وتنمية العلاقات الانسانية واحداث التغيرات الاجتماعية فى اتجاه اسلامي
* مقترحات وبدائل لبرامج التدريب فى مجالات الاعلام .
* كيف تبنى مؤسسات الاعلام بشتى فروعه على أساس اسلامي ؟
* مسح للمادة الفنية الترفيهية .
* كيف تطور دراسات الاعلام على اساس اسلامي .

وتمثل الابحاث التى طرحت فى المؤتمر عددا من المواضيع المتخصصة التى تقدم مادة علمية مركزة تعى واقع الاعلام والعلاقات الانسانية وتعرضها عرضا مقارنا يعرف بالمادة العلمية والوسائل المستخدمة ويحلل الاحتياجات الاسلامية فى هذه الميادين وكيفية استخداماتها فى شؤون الدعوة والنشاطات والتوعية والترويح فى برامج منظمات الشباب المسلم والمجتمعات الاسلامية ، كما ان الابحاث فى مجموعها كانت غنية بالمادة العلمية التى احاطت بواقع العمل والعاملين الاسلاميين فى هذه المجالات من الناحية النظرية والتطبيقية .

وتجدر الاشارة الى ان « **دعوة الحق** » كانت اول مجلة اسلامية تتناول موضوع الاعلام الاسلامي من وجهة نظر معاصرة من خلال سلسلة ابحاث عن « **الاعلام والدعوة** » نشرها فى تسعة أعداد متتالية عبد القادر الادريسي .

* *

بناء وترميم المساجد فى قبرص

تقوم رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة بجهود واسعة النطاق لمساعدة المسلمين وخاصة منهم الاقليات الاسلامية فى مختلف بقاع العالم . وفى هذا الصدد قدمت الرابطة مساعدات مالية كبيرة للجمعية الاسلامية فى قبرص لترميم عدد كبير من المساجد القبرصية التى تعرضت للتخريب واصبح بعضها آيلا للسقوط من جراء الحروب الصليبية التى استهدف لها على مدى سنوات المسلمون فى قبرص .

5 آلاف منـــدوب

يحضر مؤتمر المسلمين فى الهند

انعقد فى 30 اكتوبر الماضى فى « حيدر ابـــاد » بالهند المؤتمر السادس للجمعية العليا للمسلمين فى الهند . وقد حضر المؤتمر خمسة آلاف مندوب من جميع ارجاء العالم العربى والاسلامى .

وقد بحث المؤتمر وسائل تدعيم العلاقات الثقافية بين الدول الاسلامية ومسلمى الهند والسبل الكفيلة بدعم ونشر التعاليم الاسلامية فى العالم .

* *

صحيفة التايمز تعلق على انتشار الاسلام

علقت صحيفة (التايمز) البريطانية على انتشار الاسلام فى كافة أنحاء العالم ولا سيما فى افريقيا السوداء وقالت ان انتشار الاسلام يعود الى حد ما الى خصائص المساواة التى ينادى بها فى عصر التحرير . وأضافت تقول انه قد يأتى الوقت الذى تـــرى فيـــه دول افريقية عديدة وهى الآن دول علمانيـــة أن قسما كبيرا من سكانها قد اعتنق الاســـلام الى حد قد يجعلها تفكر فى أن تجعل الدولة تتحول الى دولة دينية . وهكذا يتسع نطاق الاسلام بزيادة عدد الحكومات التى تديـــن به وليس بمجرد عدد المسلمين . وتتوقع التايمز نتيجة لمثل هذا التطور تزايد تأييد الاقليات من المسلمين فى كل مكان ، ولكن لا ترى أية دلائل على وجود تنسيق لهذا . كما لا ترى الا أسبابا ضئيلة عما اذا كانت هـــذه الدول الاسلامية ستكون دولا تقدمية او تقليدية او ديمقراطية او استبدادية .

* *

اعتماد الاخلاق الاسلامية

فى المدارس العسكرية بتركيا

جاء من تركيا أن القيادة العامة للقوات المسلحة التركية اصدرت تعليماتها الى المـــدارس العسكريـــة التابعة لها باعتماد الاخلاق والتربية الاسلاميـــة فى مناهجها الدراسيـــة .

ومعلوم انه تقرر انشاء مجمع للائمة والخطباء فى اسطنبـــول .

* *

الجامعـــة العربيـــة

تدرس التشريع الجنائى الاسلامى

انعقدت بالرياض فى المملكة العربية السعودية الدورة العربية لدراسة تطبيق التشريـــع الجنائـــى الاسلامى واثره فى مكافحة الجريمة فى الفترة ما بين 16 — 20 شـــوال المنصرم . وذلك تحـــت اشراف الجامعة العربيـــة .

* *

كفـــاح الشعب الايرتيرى المسلم

افتتحت جبهة التحرير الارترية مكتبا لها بتونس العاصمة وذلك لتعريف الشعب التونسى والراى العام بالكفاح البطولى الذى يخوضه شعب ايريتريا منـــذ سنوات من اجل الاستقلال واقرار سيادته الاسلامية على وطنه المغتصب .

* *

مؤتمر الدعوة والدعاة

فى العـــالم الاسلامى

من المقرر ان تنظم الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة مؤتمرا لبحث شؤون الدعوة والدعاة فى العالم الاســـلامـــى .

وسيتولى المؤتمر دراسة أوضاع العالم الاسلامى من النواحى المتعددة والظروف الراهنة التى تجتازها الدعوة الاســـلامية فى شتى أنحاء العالم وكذا وضع أسس عملية لبرامج اسلامية للمدى الطويل تستهدف بالدرجة الاولى تنشئة الاجيال الصاعدة على عقيـــدة الاسلام وتحصينها ضد المذاهب الهدامة .

وقد دعيت عدة شخصيات اسلامية لحضـــور هـــذا المؤتمـــر .

* *

المؤتمر الدولى للتربية

الاســـلاميـــة

تدعيما لسياسة التضامن الاسلامى ، تقرر أن ينعقد فى شهر مارس القادم بالمملكة العربية السعودية

المؤتمر الدولى للتربية الاسلامية تحت اشراف جامعة الملك عبـد العـزيـز .

وسيدرس المؤتمر واقع التربية الاسلامية فكرة وتطبيقا فى العالم الاسلامى المعاصر · ومن المنتظر ان يلقى عدد من كبار المفكرين واساتذة الجامعات بحوثا ودراسات فى الموضوع .

* *

مسابقـة دوليـة لحفظ القرآن الكريم بمصر

نظمت الجمعية العامة للمحافظة على القـرآن الكريم بالقاهرة مسابقة دولية فى الحفظ خصصت لها جوائز متنوعة منها أداء فريضة الحج · وقد اشترك فى المسابقة مجموعة من الطلبة والطالبات من البلاد الاسلامية . وكانت الجائزة الاولى من نصيب طالبـة سعودية .

* *

اجهـزة تسجيـل للائمـة المكفـوفين بمصر

وزع وزيـر الاوقـاف وشـؤون الازهـر فى مصـر اجهـزة تسجيـل علـى ائمـة المسـاجـد المكفوفين فى جميع اقاليم جمهورية مصر العربية ، وذلك لمساعدتهم على اعداد خطبهم ومواعظهم وتسجيـل الموضوعات الاسلامية التى تعتبر مراجع لهم ·

واعلن الوزير المصرى انه يدرس مشروعا لتكوين لجنة مراجع اسلامية سمعية متكاملة على شرائـط « كاسيت » مسجل عليها الكتب الاساسية فى الفقـه والحديث والتوحيـد .

* *

50 الف مسلم فى كولونيـا

ذكرت مجلة « بريد الشرق » فى عددها لشهر شتمبر انه يعيش فى مدينة كولونيا بالمانيا الغربيـة مـا لا يقل عن خمسين الف مسلم ، اى ان كـل واحد من عشرين من السكان يعتنق الاسلام ·

المحامون الباكستانيون يدعون الى تطبيق الاسلام

فى الاجتماع الوطنى الكبير للمحامـين والقضاة الباكستانيين طالب المجتمعون بالغاء كـل القـوانين المخالفة للقرآن والسنة فى باكستـان .. وحظـر المشروبات الروحية والقمار والبغاء كما هو مقرر فى الدستـور ..

وصرح المفكر الاسلامى السيد ابـو الاعلـى المودودى : بأنه يجب ان تنتقل السلطة الـى اولئك الذين يؤمنون بالاسلام ويعرفونه ولهم امكانيات تطبيقه.

* *

مصاحف من العراق الى غانـا

اهدت الحكومة العراقية مجموعة مـن نسـخ القرآن الكريم والكتب الدراسية الى المدرسة الرفاعية الاسلامية فى غانا ·

* *

المصحف الامـام يوزع على سفـارات العالم الاسلامى

بعد 8 سنوات من العمـل صدر « المصحف الامام » عن مشيخة الازهر .. وهـو اول مصحف يطبعه الازهر ويخرجه للعالم الاسلامى ، مضبـوطا بالشكل الكامل ، وخاليا من اى تحريف او اخطاء .. وقد تقرر ان تودع نسخ من المصحف فى جميع دور الوثائق العالمية وجامعات العالم ودور اذاعاتها الرسمية والمكتبات والهيئات الاسلاميـة والثقافية والاجتماعية والمعارض العالمية .. كذلك تقرر ان تودع نسخ مـن المصحف فى سفارات العالم الاسلامى باعتباره المرجع الرسمى المعتمد لجميع المصاحف التى تطبع او تنشر فى العـالم .

وسيبعث بأول مجموعة من المصحف الى المملكة العربية السعودية لتغطية كل مجالات تنقلات حجاج بيت الله الحرام . بعد ان لاحظ فى بعض الاعوام انتشار بعض النسخ التى تحمل أخطاء فى بعض الرسوم وبعض الحروف وان تودع نسخ « المصحف الامام » المعتمد فى الحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة وجميـع مساجد المملكة ورابطة العالم الاسلامى .

وسيتصل الازهر باليونسكو لتسجيل نسخ من هذا (المصحف الامام) المعتمد فى المسجد الاقصى بالقدس الشريف ومساجد أرض فلسطين المحتلة لتكون فى ايدى المسلمين هناك ردا على المصاحف المحرفة التى تنشرها اسرائيل .

وقد بدأ الاعداد لاخراج هذا المصحف المعتمد منذ ثمانى سنوات بتشكيل لجنة عكفت على اعداده خلال هذه الفترة واشتركت فى مراجعته على امهات المراجع القرآنية القديمة رسما وضبطا وطبعا واخراجا.

❊ ❊

عشرات الامريكيين يشهرون يوميا اسلامهم بالمركز الاسلامى فى واشنطن

فى كل يوم يتردد على المركز الاسلامى بواشنطن عشرات الامريكيين من البيض والسود على السواء بهدف اشهار اسلامهم .

وليس صحيحا ان هؤلاء الامريكيين يدخلون الاسلام — كما يقال — بهدف الزواج ، ولكن عن عقيدة وايمان راسخ بالاسلام .

وكل من يحضر للمركز الاسلامى بهذا الهدف يناقش مناقشة قد تمتد الى عدة جلسات للتعرف على مدى جديته ورغبته فى ذلك .. وبعد التأكد من صدق رغبته يشهر اسلامه .. وتبدأ معه دراسة منتظمة للغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم وفق برامج موضوعة لهذا الغرض .

ويقوم المركز بصفة منتظمة بالقاء دروس دينية اسبوعية عقب صلاة المغرب كل يوم السبت يحضرها المئات من المسلمين الامريكيين ، هذا فضلا عما يحدث خلال صلاة الجمعة التى تقام فى مسجد المركز وتحضرها اعداد تزيد على الخمسمائة شخص اسبوعيا .

❊ ❊

الاتجاه الاسلامى الغالب

« لا يتردد الشعب المصرى على الاطلاق فى اعطاء الاولوية للاتجاه الاسلامى فى الفكر ، ولا شك ان اية فكرة يثبت تعارضها مع هذا الاتجاه ستكون مرفوضة » .

« ان نسبة كبيرة جدا من المطبوعات المصرية الحالية تختص بالفكر الدينى . وعملية احياء تراث الاسلام تعتبر فى نظر الاغلبية العظمى بمثابة الطريق الآمن الوحيد الى البعث القومى » .

هكذا حدد الدكتور زكى نجيب محمود معالم الفكر المصرى فى الوقت الحاضر فى المحاضرة التى القاها بمكتبة الكونجرس فى واشنطن اخيرا تحت عنوان : « الحياة الفكرية فى مصر المعاصرة » واستمع اليها ثلاثمائة من المفكرين .

❊ ❊

بيان وزارة الاوقاف فى الاردن الى العالم الاسلامى

ارسل وزير الاوقاف والشؤون والاماكن المقدسة الاسلامية الاردنى الى وزراء الاوقاف العرب والمسلمين رسائل يستعرض فيها الموقف فى الخليل بفلسطين المحتلة ويدين السياسة الاسرائيلية التى تعد جزءا من خطة تنفذ منذ حريق المسجد الاقصى فى 21 غشت 1969

وكانت وزارة الاوقاف والشؤون والاماكن المقدسة الاسلامية فى الاردن قد اذاعت بيانا فى الموضوع جاء فيه :

لقد روع المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها للجريمة النكراء التى اقدمت عليها سلطات الاحتلال الصهيونى بتمزيقها القرآن الكريم واهانتها للعلماء والاعتداء عليهم بالضرب واغلاقها المسجد الابراهيمى فى الخليل واستهتارها بمقدسات المسلمين وقيمهم الدينية وليس هذا بمستغرب على مثل هذه العصابة التى لها تاريخ اسود فى الاجرام حيث كذبت الانبياء وقتلت الرسل وأحرقت الكتب المقدسة وأقدمت على كل فعل مشين وقد وقف اخواننا المسلمون من ابناء الضفة الغربية عامة ومدينة الخليل خاصة وقفة رائعة مشرفة حيث تصدوا للسلطات الغاشمة واصطدموا بها وسقط منهم شهداء وجرحى دفاعا عن عقيدتهم ومقدساتهم .

ونحن بدورنا نشارك اخواننا أبناء الخليل والضفة الغربية مأساتهم ويهمنا

ان نناشـد المسلمين جميعـا حكامـا ومحكـومين أن يقفوا وقفة صلبة ويتخذوا اجراءات حاسمة لردع هذه الزمرة عن غيها وأن تكون غضبتهم لله ورسوله غضبة تزلزل كيان الظالمين ودعاة الفساد فى الارض الذين لعنهم الله من فوق سبع سماوات ويجب ان تكون غضبتنا هذه لها صفـة الاستمرارية والدوام والعمل الايجابى الحاسم وقوة الردع الزاجرة التى تمنع تكرار هذه المآسى ، ولـن يكون لنا شان وقوة الا اذا استمسكنا بكتاب ربنا وسنة نبينا وعدنا الى تطبيق شرعنـا ففيه عزتنا وسعادتنا وفوزنـا ونجاتنـا فى الآخرة ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عـزيـز .

* *

بيان مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بالاردن حول الاعتداء الصهيونى على المسجد الابراهيمى

بسم الله الرحمن الرحيم

ما فعله اليهود فى الحرم الابراهيمى الطاهر من تدنيس المسجد وتمزيق الكتاب المجيد ووطئه بالاقدام وما فعلوه من قبل من حرق للاقصى وحفر فى اساساته وما يصادر من اراض واملاك وما يطرد من عائلات ، وما يتعرض له اخواننا فى فلسطين من مهانة واذلال وما سوف يفعله اليهود فى مستقبل الايام ، كل ذلك انما هو ثمرة مرة للصراع المعيب والخلاف المشين بين ابناء الامة العربية الذيـن انقلبوا علـى اعقـابهم فأوغلوا فى الكيد بعضهم لبعض كأنما الآلة العربيـة الجبارة أخذت تدور فى اتجاه معاكس لتنفجر من داخلها وتحطم نفسها وتقضى على ذاتها . لو كانت الامـور تسير فى اتجـاه سوى ويتصرف العرب علـى هـدى الشعور العميق بالمسؤولية لكان الجواب على فعلة اليهود النكراء وجريمتهم الشنيعة اقرب مما يسمعون ولتحركت الجيوش الموحدة الى الحدود .

وامعتصماه : « وامعتصماه » كلمة صاحت بها فتاة عربية مسلمة اصابها علج بذل فى اقصى من الارض فاستنفر الجيش الاسلامى فثار لما أصابها أيما ثار ذلك ان الايمان بالله والخوف من غضبه والشعور بوحـدة الامة وان كل عضو منها وان كان فتاة له حق النصرة كان هو الدافع الى التحرك فكان ما كان فى تاريخنـا القديم من فخار وانتصار .

العالم العربى فى شغل : يتلفت المواطن مـن المحيط الى الخليج فيجد هذا البحر الواسع الممتـد والمسمى العالم العربى مشغولا بصغائر الامور والاعيب العبث واللهـو والشتـائم والتهم المتبادلة ، بينمـا هو اصم واعمى عما يدبر له فى الخفـاء ومـا يخطط لتدميره من مؤامرات . لماذا لا تكون احدى الدول العربية ذات القيادة المترفعة ، والاعـلام الاذاعـى العف ، والصحافة الملتزمة مثالا يحتذى وقدوة تتبع من قبل جميع الدول العربية الاخرى ؟

ان الشعوب العربية مطالبة بالتوقف فورا عن كل ذلك والزام كل دولة بالمبادىء العامة التالية :

1 ــ قصر الجهود كلها على الاستعداد لتحرير الاراضى المحتلة .

2 ــ عدم تدخل اى دولة بشؤون الدول الاخرى .

3 ــ وقف الحملات الصحافية والاذاعية .

4 ــ اعلان حالة الاستنفار الوطنى الاجتماعى والصناعى والعلمى والعمرانى داخل العالم العربـى لنلحق بالركب الحضارى ولنكون اقدر على عمليـات التحـريـر .

5 ــ سرعة عقد لقاء بين الملوك والرؤساء العرب ووضع ميثاق وطنى ملزم للجميع .

ان ما حدث فى الحرم الابراهيمى الشريف ينبغى ان يكون لنا نذيرا بأن اليهود انما يصدرون عن تخطيط ينفذ على مراحل واننا اذا لم نتنبه فلسوف يجتاحنـا السيل من حيث ندرى ولا ندرى وعندئذ لا ينفع الندم ولا يجدى التحسر .

عمـان
مجلس المنظمات والجمعيات
الاسلامية بالاردن

* *

فوق هذا الحجر كانت تنصب رايات الجيوش الاسلامية المنطلقة للـذب عن ديـار المسلمين جميعا

فى افتتاح المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الاسلامية فى اسطمبول القى البروفسور نجم الديـن أربكان زعيم حزب السلامة الوطنـى ونائب رئيس الوزراء فى تركيا خطابا تاريخيا اغفلت عنه جميع وكالات

الانباء العالمية فى أوربا وامريكا ، ولم تعره الصحافة العربية والدولية ادنى اهتمام فى حين انه وثيقة اسلامية تسجل ظاهرة التحول الاسلامى الكبير الذى تشهده الشقيقة تركيا بعد ما يزيد عن نصف قرن من العلمانية والتغريب .

ونظرا للاهمية الفكرية لخطاب البروفسور نجم الدين اربكان ، وفى نطاق اهتماماتنا بأحداث العالم الاسلامى ورصدنا الاعلامى لتطوراته وظروفه ، ندرج بعض الفقرات ذات الدلالة الخاصة فيما يلى :

« .. ان هذا القصر الذى شاء الله ان يعقد فيه هذا المؤتمر الاسلامى الكبير .. وقد نقشت على بابه كلمة الاسلام الجامعة « لا اله الا الله » ،، هو قصر السلطان محمد الفاتح الذى بناه عقب فتح استانبول .. كيف لا يكون هذا المكان تاريخيا وفيه كانت تدبر شؤون العالم الاسلامى ردحا من الزمن ؟ وكيف لا يكون تاريخيا ومنه كانت تنطلق جيوش المسلمين الى جميع انحاء الدنيا مجاهدة فى سبيل الله ، تنشر النور والهداية والعدل اينما حلت وحيثما ضربت ..

كيف لا يكون تاريخيا وفوق هذا الحجر الذى يرتكز عليه الميكرفون ، كانت تنصب رايات الجيوش الاسلامية المنطلقة للذب عن ديار المسلمين جميعا . واذكر على سبيل المثال لا الحصر ان قرار ارسال الاسطول الاسلامى للحيلولة دون وقوع كل من أندونيسيا والفلبين فى براثن الاستعمار الهولندى اتخذ فى هذا المكان .. وفيه ايضا اتخذت قرارات ارسال الجيوش والاساطيل الاسلامية لحماية شمال افريقيا من الغزاة الطامعين ..

وفوق هذا كله فان هذا البناء التاريخى يضم بين جدرانه لواء الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم وبردته المباركة وسيوفه وكثيرا من آثاره الشريفة .

ان الآمال العريضة لتداعب نفسى ، وانا اخاطبكم معبرا عما فى صدرى .. اخاطبكم وقد اختلط الامل بالاعتزاز والفخر ،، كيف لا وقد اجتمع ممثلو خمسين دولة اسلامية فى هذا المكان الذى كان مركزا للدولة الاسلامية الكبرى يوم كانت تنتظم كل هذه الدول الخمسين فى دولة اسلامية واحدة .

لذا .. فاننا بالتقائنا فى هذا المكان التاريخى اكدنا تساندنا وتضامننا ، وعليه فانه من اوجب الواجبات ان نعمل جادين على توحيد كلمتنا واستعادة قوتنا لكى نتمكن من استلام راية القيادة من جديد .. عندها فقط نخلص العالم من المظالم والفساد وننشر نور الاسلام فى كل ارجاء الدنيا .

ان مدينة القدس الشريف اسلامية ، وستعود اسلامية ان شاء الله بعد تخليصها من ايدى الصهاينة المعتدين — اعداء الله ورسوله .. ومساهمة منا فى قضية فلسطين الاسلامية اعلنت تركيا استعدادها التام لفتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى تركيا . كما اننا نستنكر المعاملة الوحشية التى يتعرض لها اخواننا مسلمو فلسطين ، ونطالب باعادة حقوقهم المغتصبة وارجاعهم الى ديارهم فى اقرب وقت . ونستنكر ايضا حرب الابادة التى تشن ضد المسلمين فى الفلبين وارتيريا وكشمير وتراقيا الغربية وتركستان الشرقية وفى كل مكان فى العالم يضطهد فيه المسلمون .

اننا نطالب بان تترجم اقوالنا هذه افعالا .. فنعمل على تطوير العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين سائر الدول الاسلامية كخطوة فى طريق الوصول الى وحدة العالم الاسلامى الكبير .. واعلموا ايها الاخوة الكرام ان الدول الاسلامية فى غنى عن تقليد الدول الغربية الراسمالية المستغلة وعن الشيوعية المضادة لطبيعة الانسان وفطرته ، ولذا لا بد من القيام بدراسات ثقافية واجتماعية وبحوث اقتصادية واعية نابعة من صميم الشريعة الاسلامية لبناء مجتمعنا الاسلامى على اسس سليمة تحفظ له طابعه الاسلامى وشخصيته المتميزة .

احـوال المسلميـن فـى السينغـال

تسلم الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية رسالة من الرئيس السينغالى تتعلق بشرح احوال المسلمين فى السينغال ووسائل دعم العلاقات بين البلديـن .

* *

توحيد هيئات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى السعودية

تم فى المملكة العربية السعودية توحيد هيئات (الامـر بالمعـروف والنهـى عـن المنكـر) فى هيئـة واحـدة ، وبميزانيـة واحـدة ، وتحت اشراف رئيس واحد .

وقد صدر مرسوم ملكى فى الموضوع .

* *

مجمع اسلامى فى اسلام آباد

تدم سفير السعودية فى الباكستان مبلغ 9 ملايين دولار للحكومة الباكستانية كجزء من مساهمة المملكة العربية السعودية فى نفقات تأسيس مجمع اسلامـى فى مدينة « اسلام آباد » ، ويضم المسجـد ومركـزا للدراسات الاسلامية ومكتبة وقاعة للمحاضرات

* *

مسجـدان جديدان فى لنـدن

تدمت المملكة العربية السعودية مبلغا ماليا محترما الى « المجلس الاسلامى لاوروبا » لاقامة مسجديـن بجنوب لندن أحدهمـا فى « رنجبـى » والثانـى فى « ساوث هول » .

* *

جـوائـز بحـوث السيرة النبـويـة الشريفـة

* قررت رابطة العالم الاسلامى تقديم خمس جوائز مجموعها مائة وخمسون الف ريـال سعـودى لاحسن بحث يكتب عن السيرة النبوية مع طباعة البحث الفائز بالجائزة الاولى على نفقتها وستوزع الجوائز على النحو التالى :

الجائزة الاولى : خمسون الف ريال ، الجائـزة الثانية : اربعون الف ريال ، الجائزة الثالثة : ثلاثون الف ريال ، الجائزة الرابعة : عشرون الف ريال ، الجائزة الخامسـة : عشرة آلاف ريـال ، والشروط المطلـوبـة هى :

— ان يكون البحث متكاملا مع ترتيب الحوادث التاريخية حسب وقوعها .

— ان يكون جديدا ولم يسبق نشره من قبل .

— ان يذكر الباحث جميع المراجع والمخطوطات والمصادر العلمية التى اعتمد عليها فى كتابة البحث .

— ان يكتب الباحث ترجمة كاملة ومتصلة عن حياته مع ذكر مؤهلاته العلمية ومؤلفاته ان وجدت .

— ان يكتب البحث بخط واضـح ويستحسـن نسخه على الآلة الكاتبة .

— تقبل البحوث باللغة العربية واللغات الحية الاخـرى .

— يبدأ موعد قبول البحوث من غرة ربيع الثانى 1396 هـ وينتهى موعد القبول بغرة محرم 1397 هـ .

— تسلم البحوث الى امانة الرابطة بمكة المكرمة فى ظرف مختوم وتوضع الامانة عليه رقما مسلسلا .

— تقوم بفحص البحوث لجنة عليا تتكون مـن السادة : الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالى بالمملكة العربية السعودية ، والشيخ عبد الله بن حمد رئيس الاشراف الدينى بالمسجد الحرام ورئيس مجلس القضاء الاعلى ، والشيخ عبد العزيز بنعبـد الله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة ، والاستاذ كوثر نيازى وزير الشؤون الدينية ورئيس لجنة السيرة النبوية بالباكستـان ، والدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر ، والشيخ ابو الحسن الندوى عضو المجلس التأسيسى للرابطة ورئيس ندوة العلماء بالهند ، والشيـخ ابو الاعلـى المودودى عضو المجلـس التأسيسى للرابطـة وامير الجماعة الاسلامية بالباكستان .

* *

مؤتمر الفقه الاسلامى بالرياض

عقدت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية فى المملكة العربية السعودية مؤتمرا للفقه الاسلامى فى غرة ذى القعدة حضرته نخبة من علماء المسلمين وفقهائهم

من مختلف اقطار العالم الاسلامى ، وقد ناقش المؤتمر الموضوعات التالية :

اولا : وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل زمان ومكان .

ثانيا : اثر تطبيق الحدود الشرعية فى تحقيق الامن والاستقرار .

ثالثا : اثر تطبيق الاقتصاد الاسلامى فى المجتمع

رابعا : المصارف الاسلامية بين النظرية والتطبيق .

خامسا : التربية الاسلامية واثرها فى المجتمع .

سادسا : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام .

مركز اسلامى فى مدريد

قدم خمسة سفراء عرب الى ملك اسبانيا خوان كرلوس بمشروع اقامة مركز اسلامى فى اسبانيا تبلغ تكاليف بنائه عدة ملايين من الدولارات .

وسيضم هذا المركز مسجدا ومركزا ثقافيا ومكتبة وقاعة للمحاضرات .

* *

45.000 مسلم فى مقاطعة الالزاس الفرنسية

دشن مؤخرا «بسان لوى» مقاطعة الالزاس بفرنسا مسجد جديد ، بحضور اسقف المقاطعة ، وقد ذكر الاسقف أن 45.000 مسلم يعيشون الآن فى الالزاس وان المسيحيين لا يجوز لهم ان يتجاهلوا القيم الدينية للاسلام :

ومن المنتظر ان يشيد بجانب المسجد ملحقات تحتوى على مدرسة لتعليم الدين الاسلامى ومرافق اخرى

شهريات الفكر والثقافة

المغـرب :

● اصدر الدكتور عباس الجرارى الاستاذ بكلية الآداب كتابا جديدا بعنوان : « **صفحات دراسية من القديم والحديث** » فى 180 صفحة من القطع الكبير . ويتضمن الكتاب تسعة ابحـاث فى الادب والثقافـة العربية المعاصرة سبق ان نشر بعضها بدعوة الحق فى اوائل الستينات .

الكتاب صدر عن دار الثقافة بالبيضاء .

● « **الخوارج فى بلاد المغرب حتـى منتصف القرن الرابع الهجرى** » عنوان دراسة تاريخية صدرت حديثا بالمغرب للدكتور محمود اسماعيل عبـد الرازق تقع فى 340 صفحة من القطع الكبير . وتتضمن خمسة ابواب بالاضافة الى الملاحق والخاتمة .

● نظم اتحاد كتاب المغرب اسبوع « **الكتاب المغربى** » لفائدة الثورة الفلسطينية وقد ساهم عدد من الكتاب والادباء المغاربة بمؤلفاتهم وخصص ربع المبيعات لدعم منظمة التحرير الفلسطينية .

● الاستاذة **حبيبة البورقادى** من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية اعتمدهـا معهـد البحـوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للثقافـة والعلوم كمراسلة له فى المغرب .

● ورد فى نشرة مكتبة الكونجرس الامريكـى عرض عن الاطروحات والبحوث التى قدمت عن المغرب من طرف الباحثين والجامعيين فى امريكا .

فقد كتبت خمس واربعون اطروحة عن المملكة تناولت كلها الفترة ما بين 1883 — 1968 .

كما كتب عن نفس الفترة اربعة وعشرون بحثا ورسالة عن افريقيا الشمالية تناولت ايضا المغرب .

تـونـس :

● صدرت فى تونس خلال الفترة الاخيرة الكتب التالية : « **فهرست مخطوطات مكتبة حسن حسنـى عبد الوهاب** » من اعداد السيد عبد الحفيظ منصور . « **قابور : حياته وآثاره وتفكيره الاصلاحى** » بقلم عمر ابن سالم « **دراسات فى اللغة والحضارة** » ويضـم مجموعة المحاضرات التى قدمت فى ملتقى ابن منظور المنعقد بتونس سنة 1974 . «**العلم والايمان فى الاسلام**» ويضم الدراسات التى القيت فى ندوة المولد النبـوى الشريف بالقيروان فى السنة الماضيـة . « **ديـوان الفيتورى تليش** » وهو من الشعر الشعبى حققه وقدمه محمد المرزوقى . « **حسونة الليلى** » وهى ملحمة شعبية من تقديم محمد المرزوقى .

● زار تونس المدير العام للآثار الاسلامية فى مصر السيد عبد الرحمن عبد التواب فى نطاق التعاون الثقافى بين البلدين .

● اصدر الكاتب التونسى محمد صالح الجابرى رواية جديدة باسم « **البحر والواجه** » .

● « **السجن داخل الكلمات** » احدث ديـوان شعر ظهر فى تونس لصاحبه محيى الدين خريف .

● اصدر الاستاذ عبد الحفيظ منصور فى الفترة الاخيرة بتونس مجموعة من الكتب من تاليفه او تحقيقه، ومـن بينهـا :

ـ « **فهرس ـ مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس ـ خزانة جامع الزيتونة** » ، وهو من تاليفه وصدر ببيروت عن « دار الفتح للطباعة والنشر » .

ـ **مستفاد الرحلة والاغتراب** ، تاليف القاسم ابن يوسف التجيبى السبتى ، حققه الاستاذ منصور ، واصدرته الدار العربية للكتاب .

ـ **الموطا برواية القعنبى** ، وهو كتاب موطأ مالك ابـى عبد الله مالك بن أنس الاصبحى ، رواية عبد الله بن مسلمة التمنبى ، حققه الاستاذ منصور واصدرته الدار التونسية للنشر .

* الاديب التونسى البشير المجذوب صدر لـه كتاب جديد باسم « **كلمات** » ، كتب المقدمة وزير الثقافة الاستاذ محمود المسعدى .

الجـزائـر :

* صدر حديثا فى الجزائر كتاب عن « **سيكولوجية القصة فى القرآن** » للدكتور التهامى نفرة يقع الكتاب فى 650 صفحـة .

والكتاب دراسة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراة من جامعة الجزائر عام 1971 .

ليـبـيـا :

● الدكتور محمود عبد المولى صدر له فى ليبيا كتاب جديد تحت عنوان « **ابن خلدون وعلوم المجتمع** ».

مصـر :

● اصدر شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود كتابين فى ابطال مزاعم وخرافات الشيوعية ، الاول بعنوان : « **فتاوى عن الشيوعية** » والثانى عن « **ابى ذر الغفارى والشيوعية** » .

ويتضمن الكتاب الاول عددا من انتقادات كبـار الكتاب والمفكرين من مختلف بلاد العـالم للمـذهب الماركسى مع كشف أخطاره على البشرية وتبيان ارتباطه باليهوديـة والصهيونية العالمية .

صدر الكتابان عن دار المعارف

● صدر مؤخرا بالقاهرة للدكتـور ابراهيـم دسوقى اباظة كتاب بعنوان « **المبشرون بالنار** » وهو دراسة علمية للفكر الماركسى . ومما يذكر ان الدكتور عبد الحليم محمود شيخ جامع الازهر اصدر كتـابا بعنوان « **المبشرون بالجنة** » فى ترجمة الصحابة العشرة الذين ورد ذكرهم فى الحديث الشريف .

● صدر عن « دار الانصار » بالقاهرة كتاب « **النظام العقابى الاسلامى : دراسة مقارنة** » للدكتور ابو المعاطى حافظ ابو المعاطى .

● « **التفسير الواضح** » كتاب جديد للدكتـور محمد محمود حجازى صدر مؤخرا بالقاهرة .

● عادت مجلة « **المسلم المعاصر** » الى الصدور وهى من المجلات الاسلامية الجادة التى تعالج شؤون الحياة المعاصرة فى ضوء الشريعة الاسلامية . ويرأس تحريرها الدكتور جمال الدين عطية .

● الشاعر العوضى الوكيل اصدر كتابا بعنوان « **من امهات الكتب العربية** » تناول فيه بالدراسة عددا من المراجع الادبية القديمة ، مع التحليل والعرض وكتابة انطباعاته عن كل مرجع .

● عقدت جامعة الدول العربية مؤتمرا للمراة العربية العاملة بأجهزة الاعلام المختلفة .

وقد بحث المؤتمر نظرة المجتمع العربى للمـراة من خلال اجهزة الاعلام المختلفة .

● تقرر انشاء خمس كليات تابعة لجامعة الازهر فى كل من طنطا والمنصورة وذلك لتخريج اعداد كبيرة من مدرسى اللغة العربية ، كما تقرر زيادة عدد الطلبة الذين يقبلون بكلية اللغة العربية ، وكلية الدعـوة الاسلاميـة .

* صدر كتاب جديد للشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبـار العلمـاء بعنوان « **أسماء الله الحسنى** » .

* صدر فى القاهرة الجزء العشرون من كتـاب « نهاية الارب فى فنون الادب » لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى بتحقيق الدكتور رفعت فتح الله .

صدر قبل ذلك من دار الكتب 18 جزءا بتحقيق الاستاذين محمد حسنين وابراهيم اطفيش .

* « **العقاد كما عرفته** » كتاب جديد صـدر فى القاهرة من تاليف حسن على الريس ، يحلل نفسيـة العقاد ويكشف ملامح شخصيته .

*« ثلاث معارك فكرية » كتاب جديد للدكتور مختار التهامى استاذ الصحافة بجامعة القاهرة ، يتحدث فيه عن ثلاثة كتب اثارت جدلا عنيفا عند صدورها فى ثلاثة مجالات مختلفة .

والكتب حسب صدورها هى :

« **تحرير المراة** » لقاسم امين و « **الاسلام واصول الحكم** » للشيخ على عبد الرازق ثم «**فى الادب الجاهلى**» لطه حسين .

سوريا :

● تم توحيد المناهج الدراسية لجميع العلوم بالنسبة للتعليم الابتدائى بين سوريا والاردن . وقد بدات الدراسة هذا العام طبقا للمناهج الموحدة .

● توفى فى سوريا الكاتب « **جورج سالم** » . آخر مجموعة قصصية صدرت له « **عزف منفرد على الكمان** » .

السعودية :

● اعلن فى المملكة العربية السعودية عن انشاء جائزة عالمية باسم جلالة المغفور له فيصل بن عبد العزيز تمنح للاعمال التى يقوم بها اى شخص فى العالم فى مجالات الاجتماع والعلوم الطبيعية وقضية السلام العالمى ، وذلك تحت اشراف مؤسسة الملك فيصل الخيرية .

ومن الاهداف الاخرى للمؤسسة تقديم مساعدات لبناء مساجد ومدارس وجامعات ودور نشر اسلامية وغير ذلك من المؤسسات ذات الصبغة الانسانية .

العراق :

● نظم فى العراق خلال الشهر الماضى مهرجان ثقافى بمناسبة مرور عام على وفاة المؤرخ البريطانى « **توينبى** » تقديرا لمكانته العالمية ودفاعه عن حقوق الشعب الفلسطينى .

● صدر كتاب عن « **الارقام العربية ، ورحلة الارقام عبر التاريخ** » للباحث سالم محمد الحميدة .

● زار الشاعر العراقى « عبد الوهاب الصاحب الممتاز » القاهرة بدعوة من الجامعة العربية ليقدم اليها نظريته الجديدة فى وزن الشعر ، ومنها يسافر الى الولايات المتحدة وفرنسا وعدد من دول العالم .. ليقدم هذه النظرية التى تحدث تغييرا كاملا فى فهم الاوزان الشعرية فى كل لغات العالم .

والشاعر رجل قانون كبير فى وزارة العدل العراقية ، وقد راس وفد بلاده فى عشرات المؤتمرات القانونية فى دول العالم .. ولكنه بدا يكتب الشعر عام 1947 وكان قد تخرج من كلية الحقوق ويستعد للسفر للدراسة فى امريكا .

وقد اكتشف القانونى الشاعر انه يكتب بعض قصائده على غير الاوزان المعروفة والتى حددها الخليل بن احمد . وعارضه النقاد فيما فعل ولكنه كان يشعر انه يكتب باحساس صادق بسلامة اوزانه .. وبدا يبحث ،، حتى توصل الى ان كل نغمات الوجود تدور فى دائرة متداخلة لا يمكن تحديدها كما فعل الخليل .. ومع ذلك فهى محدودة باوزانها النغمية وهو لا يؤمن بالشعر الحر الذى لا يتقيد بوزن وتفاصيل نظريته يرفض ان يتحدث فيها قبل ان تنتهى اجراءات اعلان اكتشافه وقد نظم له الدكتور محيى الدين صابر ، والدكتور ابراهيم انيس عميد دار العلوم ، والدكتور عبده بدوى لقاء مع الشعراء المصريين واساتذة العروض والنقاد وقد القى محاضرة فى اتحاد الكتاب .

● **يعقد فى الحادى والعشرين من الشهر المقبل المؤتمر العام الثالث لاتحاد الجامعات العربية الذى تنظمه جامعة بغداد بالتعاون مع الامانة العامة للاتحاد**

وسيدرس المؤتمرون الاسس الرئيسية لتنظيم التعليم الجامعى وتحقيق اهداف الجامعات وانماط التعليم الجامعى المعاصر فى الوطن العربى والاتجاهات الحديثة والتجارب المعاصرة فى هذا المجال

ويشارك فى المؤتمر اكثر من 1000 من اساتذة الجامعات العربية الاعضاء فى الاتحاد والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد البحوث والدراسات العربية ولجنة استراتيجية التعليم فى الوطن العربى والمنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو والاتحاد الدولى للجامعات والمركز الدولى لتخطيط التعليم العالى فى باريس .

● تبرعت الجمهورية العربية العراقية بمبلغ 2000 دينار عراقى «نحو 62 الف درهم» من اجل جامع

نسخ اضافية من مجلة اللسان العربى **توزع مجانا على** القراء فى مختلف البلاد العربية .

وكانت «اللسان العربى» **تطبع 7000 نسخة ثم** ضعفت الكمية الى 3000 نسخة ، وبفضل دعم وزارة الاعلام العراقية اصبحت تطبع 5500 نسخة **من كل عدد**

الكـويـت :

● تحتفل جامعة الكويت فى أواخر هذا الشهر بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها . وقد افتتحت جامعة الكويت رسميا فى 27 نوفمبر 1966 وبدات الدراسة بثلاث كليات هى العلوم والآداب والتربية وتضم الآن سبع كليات .

الامـارات العـربيـة :

● توفد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ثمانية من الخبراء المتخصصين فى مجال العلوم والرياضات الاجتماعية الى دولة الامارات العربية المتحدة للاسهام **فى تطوير المناهج الدراسية بمختلف مراحل التعليم** .

البحـريـن :

● رواية جديدة صدرت فى البحرين للاديب محمد ابن عبد الملك بعنوان « **نحن نحب الشمس** » .

اليمـن :

※ « **الابعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر فى اليمن** » كتاب جديد للناقد والاديب اليمنى عبد العزيز المقالح يعرض فيه خلال فصوله الثمانية للمراحل او التيارات الاربعة التى قسم فيها تطور الحركة الشعرية وهى (التيار الليبرالى الاصلاحى — التيار المكمل المشابه له — التيار الرومانسى — تيار الطليعة بعد ثورتى 14 اكتوبر و 26 سبتمبر) ، وتحدث عن شعراء كل مرحلة بالتفصيل فنيا وفكريا وظروف نشأتهم السياسية والاجتماعية .

اسبـانيـا :

● اجتمعت فى برشلونة فى الايام الاولى من شهر اكتوبر **لجنة خبراء المجلس الدولى للمتاحف التابعة للاونسكو** . وقد ضمت اللجنة خبراء يمثلون فرنسا وبريطانيا واليابان والاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة واسبانيا .

● من المقرر ان ينعقد فى اسبانيا خلال شهر دسمبر « **المؤتمر الاول للتاريخ الخاص بالاندلس** » . وينتظر ان يشارك فى هذا المؤتمر الف شخص بينهم مؤرخون بارزون من مختلف الدول .

● اقيم فى برشلونة **المعرض الخامس والعشرون للكتاب المستعمل** اشترك فيه سبعون بائع كتب . وقد عرضت فيه ما يزيد على سبعمائة الف مجلد .

● ذكرت النشرة « اس » التى تصدرها وزارة الاعلام فى اسبانيا أن كتاب « **اسبانيا الملكية** » لمؤلفه الفيلسوف خوليان مارياس من اكثر الكتب رواجا فى البلاد خلال شهرى يوليوز وغشت .

※ جرى بقرطبة فى فاتح اكتوبر الماضى احتفال الذكرى الالفية الاولى لوفاة **الحكم الثانى** الذى تميزت خلافته بالازدهار الثقافى الكبير ، وبهذه المناسبة نظمت بلدية قرطبة وبمساعدة الاكاديميا الملكية للعلوم والفنون الجميلة والفنون الشريفة برنامجا واسعا من الحفلات فى قصر الملكين المسيحيين ، تكلم فيه عامل المدينة والمستشرق اوكانيا خيمنس الذى تحدث عن صفات الخليفة الشهير ، ثم دشن اثر تذكارى من عمل النحات بابلويوستى اقيم فى « كامبودى لوس مارتيرس » .

والحكم الثانى هو ابن عبد الرحمن الناصر ، توفى فى مدينة الزهراء سنة 366 هجرية ، تقابلها سنة 976 ميلادية بعد أن حكم خمس عشرة سنة اشتهرت بالازدهار الثقافى ، انشأ 27 مدرسة فى قرطبة وجمع مكتبة ضمت اربعمائة الف مجلد ، قرا اكثرها وصحح فيها .

بـريطـانيـا :

● اشترك عدد من المستشرقين وطلبة المعاهد المسرحية فى بريطانيا فى تكوين فرقة اسمها « **المسرح العربى المعاصر** » تهدف الى اعطاء الجمهور البريطانى فرصة الاطلاع على بعض حقائق المجتمع العربى .

● « **الهندسة فى الفن الاسلامى فى شمال افريقيا** » احدث الكتب التى ظهرت فى بريطانيا عن الحضارة العربية الاسلامية من تاليف المؤرخين « ديربلشبهل » و « لوسين جوفلين » .

الولايـات المتحـدة :

● نظم فى واشنطون فى الشهر الماضى « **مؤتمر الحضارة العربية والامريكية** » . شارك فيه عدد من الباحثين والمفكرين من العالم العربى وامريكا . وقـد حضره **د . زكى نجيب محمود و د . سهير القلماوى والشاعر نزار القبانى والدكتور عبد الله العـروى مـن المغـرب** .

● قرر النقاد فى امريكا اعتبار كتاب « **مصير امريكا** » احسن كتاب صدر خلال عام 76 ، ويتناول هذا الكتاب قصة اكبر هجرة فى التاريخ عند ما هاجر 35 مليون شخص من مختلف دول اوروبا الى امريكا فى الفترة ما بين عام 1830 وعام 1930 .

● حصل « ميلتون فريدمان » استاذ الاقتصاد بجامعة شيكاغو الامريكية على جائزة نوبل فى الاقتصاد وقدرها 85 الف جنيه استرلينى .

واعلنت الاكاديمية الملكية السويدية للعلوم انها اختارت فريدمان بسبب اعماله فى مجالات تحليـل النظرية النقدية وتاريخ نظرية النقد .

كما حصل د . باروخ بلو مبرج وكارلتون جادوسك الامريكيان على جائزة نوبل فى الطب بسبب توصلهما الى اكتشاف اصل واسباب انتشار الامراض المعدية .

الفلبيـن :

● افتتح الرئيس الفلبينى فرديناند ماركـوس فى الشهر الماضى « **مؤتمـر بقـاء الجنس البشرى** »

وقد ناقش المؤتمر مبدأ تطبيق العلم فى المجالات الحيوية مثل الطاقة ـ الغذاء ـ الصحة ـ التعليم ـ مواجهة زيادة السكان ـ المواصلات ـ القدرة علـى التنبأ بحدوث الكوارث ـ التكنولوجيا ـ وحماية البيئة .

الاتحـاد السوفيـاتـى :

* سيقام فى موسكو من 6 الى 14 سبتمبـر عام 1977 اول معرض دولى تحت شعار « **الكتـاب فى خدمة السلام والتقدم** » وتنظمه لجنة مجلس الوزراء لشؤون دور النشر والطبع والتجارة بالكتب مع وكالة حماية حقوق المؤلفين لعموم الاتحاد السوفيتى ومؤسسة « ميجدونار ودنايا كنيغا » بالاشتراك مع مؤسسات حكومية واجتماعية اخرى واتحاد الادباء ، وتقوم باعداد المعرض واجرائه اللجنة التنظيمية والمديريـة العامـة لمعارض واسواق الكتب الدولية .

ويعمل الفنانون الآن لوضع تصاميم المعرض الذى سيشغل مساحة تعادل 25 الف متر مربع فى معـرض انجازات الاقتصاد الوطنى .

ولقد نظمت فى موسكو فى الثلاثين عاما الاخيرة ثلاثة معارض دولية للكتب ولقى كل منها اقبـالا كبيرا واشتركت فى تلك المعارض دور النشر والشركات المصدرة للكتب فى عشرات البلدان .

ومما يميز المعرض القادم عن المعارض السابقة انه سيكون فى الوقت نفسه سوقا ومركزا عالميا لبيـع وشراء الكتب حيث تتوفر للمشتركين فيه كل الامكانيات لعقد صفقات جديدة .

الفهرس

مكتبة دعوة الحق

ديوان المجلة



دعوة الحق
مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها:
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
بالمملكة المغربية
العدد التاسع ــ السنة السابعة عشرة
ذو القعدة ــ 1396 ــ نوفمبر 1976
ثمن العدد:
3 دراهم